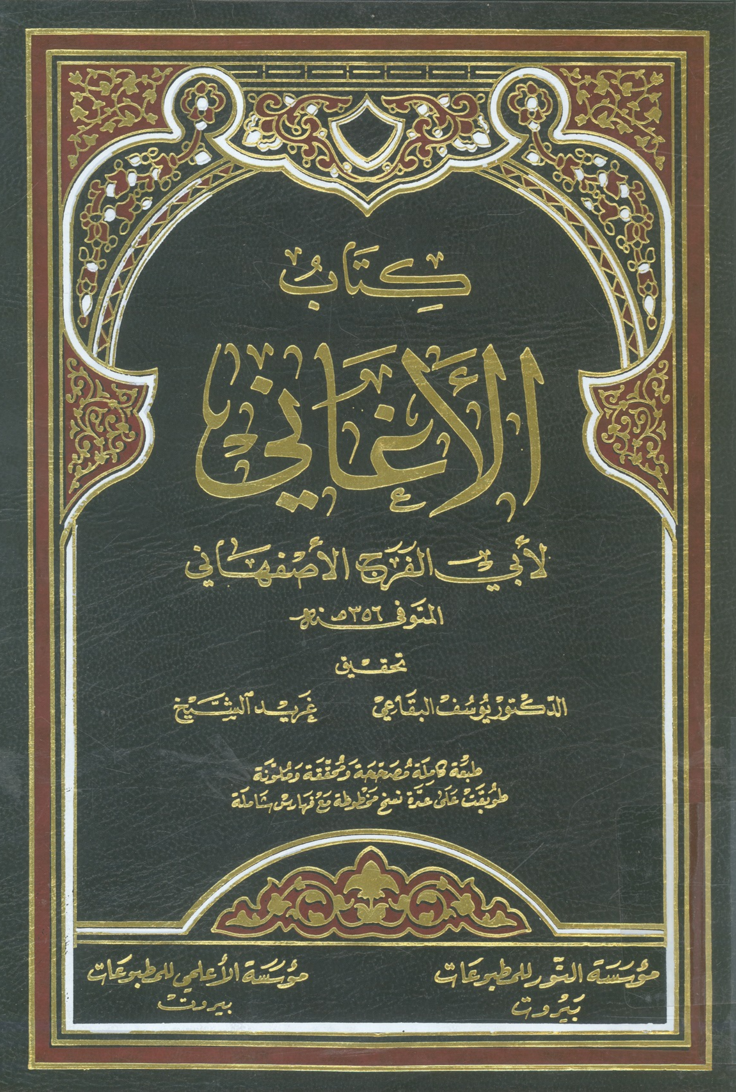

كتاب
الأغاني
لأبي الفرج الأصفهاني
المتوفى ٣٥٦ هـ
تحقيق
الدكتور يوسف البقاعي
غريد الشيخ
طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة
مؤسسة النور للمطبوعات
بيروت
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت



كتاب الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

المتوفى ٣٥٦هـ

تحقيق

الدكتور يوسف البقاعي غريد الشيخ

طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة

الجزء الثالث والعشرون

منشورات

مؤسسة الأعلى للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة.
ملك الأعلمي - ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف: ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أخبار نُصيب الأصغر

[توفي نحو سنة ١٧٥هـ /نحو سنة ٧٩١م]

[نشأته ومدحه لهارون الرشيد]

نُصيب مولى المهديّ؛ عبدٌ نشأ باليمامة، واشْتريَ للمَهديّ في حياة المنصور، فلما سمع شعره قال: والله ما هو بدون نُصيب مولى بني مَروان، فأعتقه، وزوَّجه أمةً له يقال لها: جعفَرَة، وكناه أبا الحَجْناء، وأقطعه ضَيْعةً بالسواد، وعُمِّر بعدَه. وهذه القصيدة يمدح بها هارون الرشيد، وهي من جيّد شعره وفيها يقول: [الطويل]

خَلِيلَيَّ إني ما يَزالُ يَشُوقُني ... قَطينُ الحِمى والظَّاعِنُ المُتَحَمِّلُ[1]

فَأَقْسَمْتُ لا أنْسَى لياليَ مَنْعج ... ولا مأسَلٍ إذ مَنْزِلُ الحَيِّ مأسَلُ[2]

أَمِنْ أَجْلِ آياتٍ وَرَسْمٍ كَأَنَّهُ ... بَقِيَّةُ وَحْيٍ أو رِداءٌ مُسَلْسَلُ[3]

جَرَى الدَّمْعُ مِنْ عَيْنَيْكَ حَتى كأنَّهُ ... تَحَدُّرُ دُرٍّ أو جُمانٌ مُفَصَّلُ

فيا أيها الزنجيُّ ما لكَ والصِّبا ... أَفِقْ عن طلابِ البِيضِ إن كُنْتَ تَعْقِلُ

فَمِثْلُكَ من أحبوشةِ الزَّنجِ قُطِّعَتْ ... وسائلُ أَسْبابٍ بها يُتوسَّلُ[4]

---

(١) قطين الدار: أهلها. والظاعنُ: المرتحل. والمتحمل: المرتحل أيضاً.

(٢) منعج: وادٍ يدفع في بطن فلج، انظر: (معجم البلدان ٥/ ٢١٣). ومأسل: اسم جبل (معجم البلدان ٥/ ٤٢).

(٣) رداءٌ مُسَلسلٌ: مهلهل، رديء النسج.

(٤) أُحبوشة: جماعة من الناس لم تعرف قبيلتهم، وجمعها: أحابيش.

قَصَدْنا أميرَ المُؤمنينَ ودونَهُ ... مهامِهُ مَوماةٍ من الأرضِ مَجْهَلُ[(١)]
على أرحبيَّاتٍ طوى السيرُ فانطوتْ ... شمائلُها مما تُحَلُّ وتُرْحَلُ[(٢)]
إلى ملكٍ صَلْتِ الجَبينِ كأنه ... صَفيحَةُ مَسنونٍ جلا عنه صَيْقَلُ[(٣)]
إذا انبلَجَ البَابانِ والسّترُ دونَهُ ... بَدَا مثل ما يبدو الأغرُّ المُحَجَّلُ[(٤)]
شريكان فينا منهُ عينٌ بَصيرةٌ ... كَلوءٌ وقلبٌ حافظٌ ليسَ يغفُلُ[(٥)]
فما فاتَ عَيْنَيْهِ وعاهُ بقلبهِ ... فآخِرُ ما يَرْعى سواءٌ وأوّلُ
وما نازَعَتْ فينا أمورَكَ هفْوةٌ ... ولا خَطلةٌ في الرأي والرأيُ يَخطَلُ
إذا اشْتَبَهَتْ أعناقُهُ بيَّنتْ له ... معارفُ في أعجازِه وَهْوَ مُقْبلُ
لئن نالَ عبدُ الله قبلُ خِلافةً ... لأنتَ من العهدِ الذي نلتَ أفضلُ
وما زادك العهدُ الذي نلتَ بسطةً ... ولكن بتقوى الله أنتَ مُسربَلُ
ورثتَ رسول الله عُضْواً ومَفصِلاً ... وذا من رسولِ الله عُضوٌ ومَفصِلُ
إذا ما دَهَتْنا من زمانٍ مُلمَّةٌ ... فليس لنا إلا عليكَ المعوَّلُ[(٦)]
على ثقةٍ منا تَحِنُّ قلوبُنا ... إليكَ كما كُنَّا أباكَ نُؤمِّلُ

وهي قصيدة طويلة، هذا مختار من جميعها.

[بذّر مال المهدي فأوثقه بالحديد]

أخبرني الحسنُ بن عليّ، قال: حدثنا محمدُ بن القاسم بن مَهرُويه، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك، قال: حدثني أبي، قال: وجَّه المهديُّ نُصَيْباً الشاعر مولاه إلى اليمن في شراء إبلٍ مَهرِيَّة[(٧)]، ووجَّه معه رجلاً من الشِّيعة، وكتب معه إلى عامله على اليمن بعشرين ألفَ دينار، قال: فمدَّ أبو الحجناء يدَه في الدنانير يُنفقها في الأكل والشرب، وشراءِ الجواري والتزويج، فكتب الشيعيُّ بخبره إلى المهديّ، فكتب المهديُّ في حَمْلِه مُوثَقاً في

(١) مهامه: جمع مهمه، وهو الفلاة الواسعة. والموماة: المفازة.
(٢) أرحبيات: نجائب منسوبة إلى أرحب. وهو فحل من فحولهم.
(٣) صلت: واضح.
(٤) الأغر: الكريم الأفعال. ويقال: يوم أغر محجّل: أي مشهور.
(٥) كلأ بصره في الشيء: ردّده فيه وأمعن النظر إليه.
(٦) الملمّة: المحنة الشديدة.
(٧) إبل مهرية: منسوبة لقبيلة مهرة بن حيدان.

الحديد. فلما دخل على المهديّ أنشده شعْرَه، وقال: [الطويل]

تـأوَّبـنـي ثِـقـلٌ مـن الـهـمِّ مُـوجِـعُ ... فـأرَّق عَـيْـنـي والـخَـلـيُّـونَ هُـجَّـعُ[١]

هُـمـومٌ تَـوالـتْ لـو أطـافَ يَـسـيـرُهـا ... بِـسَـلْـمَـى لـظلَّـتْ شُـمُّـهـا تـتـصـدَّعُ

ولـكـنَّـهـا نِـيـطـتْ فَـنـاءَ بِـحَـمْـلِـهـا ... جَـهيرُ المنايا حائنُ النَّفس مجزعُ

وَعـادتْ بـلادُ الله ظـلـمـاءَ حِـنـدِسـاً ... فخِلتُ دُجى ظلمائها لا تقشَّعُ[٢]

وهي قصيدة طويلة يقول فيها:

إلـيـكَ أَمِـيـرَ الـمـؤمـنـيـنَ ولـم أجـدْ ... سِواكَ مُـجـيـراً مـنـكَ يُـدني ويَـمـنـعُ

تـلمّستُ هل من شافعٍ لي فلم أجدْ ... سِوى رحـمـةٍ أعـطـاكَـهـا الله تَـشـفـعُ

لـئن جَـلَّـتِ الأجرامُ منّي وأفظعتْ ... لَـعَـفْـوُكَ عـن جُـرمـي أجـلُّ وأوسـعُ

لـئن لـم تـسـعْـني يابنَ عـمِّ محمد ... لـمـا عـجـزتْ عـنـي وسـائـلُ أربـعُ

طُبِعت عـلـيـهـا صـبـغـةً ثـم لـم تَـزلْ ... على صـالحِ الأخلاقِ والدِّينِ تُطْبَعُ

تغابيكَ عن ذي الذَّنْبِ ترجو صلاحَهُ ... وأنـت تـرى مـا كـان يَـأْتـي ويـصْـنَـعُ

وعـفـوكَ عـمَّـن لـو تـكـونُ جـريـمـةٌ ... لـطـارتْ بـه فـي الـجَـوِّ نـكـبـاءُ زعـزَعُ

وأنّـك لا تـنـفـكّ تُـنـعِـشُ عـاثِـراً ... ولـم تعترضْهُ حين يَكْبو ويخْمَعُ[٣]

وحلمكَ عن ذي الجَهْلِ من بعدما جرى ... به عَنَقٌ من طائشِ الجهلِ أشنعُ[٤]

فـفـيـهـنَّ لـي إمّـا شَـفَـعْـنَ مـنـافـعٌ ... وفي الأربعِ الأولى إلـيـهـنَّ أَفـزَعُ[٥]

مُناصحتي بالفعلِ إن كنت نائياً ... إذا كـان دانٍ مـنـك بـالـقـول يَـخـدَعُ

وثـانـيـةٌ ظـنّـي بـك الـخَـيْـرَ غـائـبـاً ... وإن قلتَ عبدٌ ظاهرُ الغشّ مُسبَعُ[٦]

وثـالـثـةٌ أنـي عـلـى مـا هَـويـتَـه ... وإنْ كـثَّـرَ الأعـداءُ فـيَّ وشَـنَّـعـوا

ورابـعـةٌ أنّـي إلـيـكَ يـسـوقُـنـي ... وَلائِـي فَـمَـوْلاكَ الـذي لا يُـضـيَّـعُ

وإنّـي لـمـولاكَ الـذي إن جـفـوتَـه ... أتـى مـسـتـكـيـنـاً راهِـبـاً يَـتَـضـرَّعُ[٧]

وإني لـمـولاكَ الـضَّـعِـيـفُ فـأَعْـفِـنـي ... فـإنـي لـعـفـوِ مـنـكَ أهـلٌ ومـوضـعُ

---

(١) الخليّون: جمع خليّ: وهو الفارغ البال من الهمّ. والهُجّع: النيام.

(٢) الحِندِس: الظلمة الشديدة.

(٣) يخمع: يعرج، وهنا: يتعثر.

(٤) العنق: ضرب من السير السريع الفسيح.

(٥) أفزع: ألجأ.

(٦) المسبع: الخبيث.

(٧) راهباً: خائفاً. ويتضرع: يرجو.

[المهدي يقبل شفاعته ويزوجه]

فقطع المهديّ عليه الإنشادَ، ثم قال له: ومَنْ أعتقك يابن السوداء! فأومأ بيده إلى الهادي، وقال: الأمير موسى يا أمير المؤمنين، فقال المهديُّ لموسَى: أعتَقْته يا بُنيَّ؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، فأمضى المهديُّ ذلك وأمر بحديده، ففُكَّ عنه، وخلعَ عليه عِدّةً من الخِلَع الوشْي والخزِّ والسوادِ والبياض، ووصله بألفَيْ دينار، وأمر له بجارية يقال لها جعفرة جميلة فائقة من رُوقة[1] الرقيق. فقال له سالم قيِّمُ الرقيق: لا أدفعها إليكَ أو تعطِيَني ألف دِرهم، فقال قصيدتَه: [البسيط]

أآذَنَ الحَيُّ فانْصاعوا بترحالِ ... فهاجَ بينهمُ شَوْقي وبلبالي[2]

وقام بها بين يدي المهديّ فلما قال:

ما زلتَ تَبْذلُ لي الأموالَ مجتهداً ... حتى لأصبحتُ ذا أهلٍ وذَا مالِ
زوَّجْتَني يابن خَيْرِ النَّاس جاريةً ... ما كان أمثالُها يُهدَى لأمثالِي
زوَّجتَني بضَّةً بيضاءَ ناعمةً ... كأنَّها دُرَّة في كفِّ لآلِ[3]
حتى توهَّمتُ أن الله عجَّلَها ... يابن الخلائفِ لي من خيرِ أعمالِي
فَسالَني سالِمٌ ألفاً فقلتُ له ... أنّى ليَ الألفُ يا قُبِّحتَ مِن سالِ[4]!

ـ أراد: من سائل، كما قالوا: شاكي السلاح وشائك ـ

هيهات ألفُك إلاّ أن أجيءَ بها ... مِنْ فَضْلِ مولًى لطيفِ المَنِّ مِفْضال

فأمر له المهديُّ بألف دينار ولسالم بألف درهم.

[رأته ابنته مقيداً فبكت فأنشد...]

قال ابن أبي سعد: وحدثني غير محمد بن عبد الله، أنه حُبس باليمن مدةً طويلةً، ثم أُشخص إلى المهديّ، فقال وهو في الحبس، ودخلتْ إليه ابنتُه حَجْناءُ،

---

(١) روقة الرقيق: حِسانُه.
(٢) البلبال: الهم الشديد والوسواس.
(٣) اللآل: بائع اللؤلؤ.
(٤) سالني: مخفف الهمزة من سألني. وسالِ: سائل.

فلما رأت قيوده بكت، فقال: [الطويل]

لقد أصبحتْ حَجناءُ تبكي لوالدِ ... بدَرَّةِ عَينٍ قَلَّ عنه غناؤها(١)
أحجناءُ صَبْراً، كلُّ نفسٍ رهينةٌ ... بموتٍ ومكتوبٌ عليها بَلاؤها
أحجناءُ أسبابُ المنايا بمرصدٍ ... فإلاَّ يعاجلْ غَدْوُها فمسَاؤها
أحجناءُ إن أُفلتْ مِنَ السِّجنِ تَلْقَنِي ... حُتوفُ منايا لا يُرَدُّ قَضاؤها(٢)
أحجناءُ إن أضحى أبوكِ ودَلْوُه ... تعرّت عُراً منها ورثَّ رِشاؤها(٣)
لقد كان يُدْلي في رجالٍ كثيرةٍ ... فيمتَحُ مَلأى وهي صفرٌ دِلاؤها
أحجناء إن يُصْبِحْ أبوكِ ونفسُه ... قليلٌ تَمنِّيها قصيرٌ عَزاؤها
لقد كان في دنيا تفيَّأَ ظلُّها ... عليه ومجلوبٌ إليه بَهاؤها

[مدحه ثمامة العبسي]

قال ابن أبي سعد: ولما دخل نُصَيْب على المهديّ مُقَيَّداً رَفَدَه ثمامَةُ بن الوليد العبسيّ عنده واستعطفه له، وسوَّغ عذره عنده، ولم يزل يرفُقُ به، حتى أمر بإطلاقه، وكان نُصيب في متقدّم الأيام منقطعاً إلى أخيه شَيبة فقال فيه: [الكامل]

أَثمامُ إنك قد فَكَكْتَ ثُماما ... حَلَقاً برينْ من النُّصيبِ عظاما(٤)
حَلَقاً توسَّطها العمودُ فلزَّها ... لولا ثمامةُ والإلهُ لداما(٥)
الله أنقذني به من هُوَّةٍ ... تيهاءَ مُهلكةٍ تكونُ رِجاما(٦)
فلأشكُرنَّك يا ثمامةُ ما جرتْ ... فِرقُ السَّحابِ كَنَهْوراً ورُكاما(٧)
وخلفْتَ شيبةَ في المقامِ ولا أرى ... كمقامِ شيبةَ في الرِّجالِ مَقَاما
ولأشكُرنّكَ يا ثمامةُ ما دَعَتْ ... وُرق الحَمامِ على الغُصون حماما
أغنَى إذا الْتَمَسَ الرِّجالُ غنَاءه ... في كُلِّ نازلةٍ تكونُ غَراما
وأعمُّ منفعةً وأكرمُ حائطاً ... تهدِي إليه تحيَّةً وسلاما

---

(١) درة العين: حبُها، الدمع الغزير.
(٢) الحتوف: جمع حتف: أي الموت.
(٣) الرشاء: حبل يربط به الدلو.
(٤) الحَلَق: جمع حلقة: أي القيد.
(٥) لزّها: ألصقها.
(٦) هوّة تيهاء: مضلّة والرجام: حجر أو ما يشبهه يربط بخيط ويلقى في الماء ليعلم عمقه.
(٧) كنهوراً: قطعاً. والركام: المتجمع.

لا يبعدَنَّ ابنُ الوليدِ فإنه ... قد نالَ مِنْ كُلّ الأمورِ جِساما
لو مِن سوى رَهط النَّبِيِّ خليفةٌ ... يُدْعَى لكان خليفةً وإماما

[يرثي شَيبه أخا ثمامة]

قال ابن أبي سعد: ودخل نُصَيْب على ثُمامة بعد وفاة أخيه شيبة، وهو يفرِّق خيلَه على الناس، فأمر له بفرس منها؛ فأبى أن يقبله؛ وبكى، ثم قال: [البسيط]

يا شيبة الخيرِ إمَّا كنتَ لي شَجَناً ... آليتُ بعدكَ لا أَبكي على شَجنِ
أَضْحَتْ جيادُ أبي القعقاعِ مُقْسَمةً ... في الأقربينَ بلا مَنٍّ ولا ثَمنِ
ورَّثْتهم فَتَعَزَّوْا عنك إذ وَرِثوا ... وما ورِثْتُكَ غيرَ الهمِّ والحَزَنِ

فجعَل ثُمامة ومَنْ عنده حاضرٌ من أهْله وإخوانه يبكون بن الوليد هذا وأخوه من وجوه قواد المهديّ. وفي شَيبة يقول أبو محمد اليزيديّ يهجوه، وكان عارضَه في شيء من النحو بحضرة المَهديّ: [الخفيف]

عِشْ بِجَدٍّ فلن يضرَّك نَوْكٌ ... إنما عَيْشُ مَنْ ترى بالجُدودِ[1]
عِشْ بجَدٍّ وكن هبنَّقة القيـ ... ـسيَّ جَهْلاً أو شَيبةَ بنَ الوليدِ[2]

أخبرنا بذلك محمدُ بنُ العباس اليزيديّ عن عمه عن أبيه.

أخبرني عمي قال: حدثنا القاسم بن محمد الأنباريّ، قال: حدثنا عبد الله بن بشر البَجَليّ عن النضر بن طاهر قال: أتى نُصَيبٌ مولى المهديّ عبدَ الله بن محمد بن الأشعث، وهو يتقلَّد صنعاء للمهديّ، فمدحه، فلم يُثِبه، واستكساه بُرداً فلم يكسُه، فقال يَهجوه: [الطويل]

سأكسوكَ من صنعاءَ ما قد كسوتَني ... مقطَّعةً تَبقى على قِدم الدَّهْرِ
إذا طُوِيتْ كانتْ فُضوحُك طَيَّها ... وإن نُشرتْ زادتْك خِزياً على النَّشر[3]
أغرَّكَ أن بيَّضْتَ بيتَ حمامةٍ ... وقلت: أنا شبعانُ منتفجُ الخَصْرِ
لقد كنتَ في سَلْحٍ سَلَحْتَ مخافةَ الـ ... ـحرُوريّة الشَّارين داعٍ إلى الضرّ[4]

---

(١) النَّوْك: الغباء. والجُدود: جمع جَدّ وهو: الحظّ.
(٢) هبنّقة القيسي: يزيد بن ثروان، يلقب بذي الودعات وكان مضرب المثل في الغفلة.
(٣) الخزي: الفضيحة.
(٤) الحرورية: طائفة من الخوارج في اليمن.

ولـكـنـهُ يَـأْبَـى بـكَ الـبُـهـر كُـلَّـمَـا جَرَيْتَ مع الجاري وضيقٌ من الصَّدرِ[١]

[تساجل مع الربيع حول فرسه]

قال النضر: وكان النُّصيب مَلعوناً، هَجّاء، فأهدى للربيع بن عبد الله بن الربيع الحارثي فَرساً فقبله، ثم ندم خوفاً منْ ثِقَل الثواب، فجعل يَعِيب الفرس، ويَذكر بُطأَه وعجْزه، فبلغ ذلك النُّصَيْبَ، فقال: [الوافر]

أعَـبْـتَ جـوادَنـا ورغـبـتَ عـنـه ومـا فـيـه لَـعَـمْـرُكَ مـن مَـعـابِ
ومـا بِـجـوادِنـا عَـجْـزٌ ولـكـن أظـنُّـكَ قـد عـجـزتَ عَـنِ الـثَّـوابِ

فأجابه الربيعُ فقال: [الوافر]

رُوَيـدَكَ لا تَـكُـنْ عَـجِـلاً إلـيـنـا أتـاكَ بـمـا يُـسـوؤُكَ مِـنَ جـواب
وجـدتُ جـوادَكـم فَـدْمـاً بَـطـيـئـاً فـمـا لَـكُـمُ لَـديـنـا مـن ثَـوابِ[٢]

فلما كان بعد أيام رأى النُّصيبُ الفرسَ تحتَ الربيع فقال له: [الوافر]

أخـذتَ مُـشَـهَّـراً فـي كُـلّ أرضٍ فـعـجِّـلْ يـا ربـيـعُ مـشـهَّـراتـي
يـمـانـيَـةً تـخـيَّـرهـا يَـمـانٍ مـنـمـنَـمـةَ الـبـيـوتِ مُـقـطَّـعـاتِ
وجـارِيَـةً أضـلَّـت والـدَيْـهَـا مـولَّـدةً وبـيـضـاً وافـيـاتِ
فـعـجِّـلْـهـا وأَنـفِـذْهـا إلـيـنـا ودعْـنـا مـن بَـنَـاتِ الـتُّـرَّهـاتِ[٣]

فأجابه الربيعُ فقال: [الوافر]

بـعـثْـتَ بـمـقـرِفٍ حَـطِـم إلـيـنـا بـطـيءِ الـحُـضْـرِ ثـم تـقـولُ: هـاتِ[٤]

فقال النُّصَيْبُ: [الرمل]

فـي سـبـيـلِ الله أودى فَـرَسـي ثـم عُـلِّـلـتُ بـأبـيـاتِ هَـزَجْ
كـنـتُ أَرجـو مـن ربـيـعٍ فـرجـاً فـإذا مـا عـنـده لـي مـن فَـرَجْ

(١) البُهر: انقطاع النَّفس من الإعياء.
(٢) الفدم: العييّ.
(٣) الترّهات: الأباطيل.
(٤) المقرف: الذي أمه عربية وأبوه غير عربي. وحطم: منكسر. والحطم: المصاب بداء في قوائمه والحُضْر: شدة عدو الفرس.

[الربيع يجيزه دراهم عوضاً عن جارية وعده بها]

قال: ثم خرج الرَّبيعُ إلى مكة، وقد كان وعد النُّصيبَ جاريةً، فلم يعطه، وأمر ابنه أن يدفع إليه ألفي درهم ففعل، فقال النُّصيب: [الطويل]

ألا أَبلغا عنِّي الرَّبيع رِسالةً ... ربيعَ بني عبد المَدانِ الأكارِمِ
أَعزَّتْ عليكَ البِيضُ لما أَرغتُها ... فرُغتَ إلى إعدادِ بيضِ الدراهمِ[١]
أَلَمْ تَرَ أني غَيْرُ مستطرفِ الغِنى ... حديث وأنّي من ذُؤابةِ هاشِمِ؟[٢]
وأنك لم تهبطْ من الأرضِ تَلعةً ... ولا نجوةً إلا بعهدي وخاتَمِي

قال: ثم قدم الربيعُ فأَهدى إلى دُفافَة بن عبد العزيز العَبسيّ طبق تمر، فقال فيه دُفافة: [الطويل]

بَعَثْتَ بتَمرٍ في طُبيقٍ كأَنَّما ... بعثت بياقوتٍ توقَّدَ كالجَمْرِ
فلو أن ما تُهدِي سَنِيًّا قَبِلتُهُ ... ولكنما أهديتَ مثلَك في القَدرِ
كأَنَّ الذي أهديتَ من بُعد شُقَّةٍ ... إلينا من المُلْقَى على ضفَّة الجِسْرِ[٣]

فأَجابه الربيعُ فقال: [الطويل]

سَلِ النَّاسَ إما كنتَ لا بدَّ طالباً ... إليهم بألا يَحْمِلُوكَ على القَدْر
فإنك إن تُحْملْ على القَدْرِ لا تَنل ... يَدَ الدَّهرِ من بَرٍّ فَتيلاً ولا بَحرِ
لقد كنتَ منّي في غَديرٍ وروضةٍ ... وفي عَسلٍ جَمٍّ وما شِئْتَ من خَمْرِ
وما كنتُ منَّاناً ولكنْ كَفرْتني ... وأظهرتَ لي ذمّاً فأظهرتُ من عذري
لعَمْري لقد أُعطِيتَ ما لستَ أهلَهُ ... ولا أَهْلَ ما يُلْقَى على ضِفَّة الجِسْرِ

فبلغتْ أبياتُهما نصيباً، فشمت بالربيع، وقال فيه هذه القصيدة: [الطويل]

رضيتُكما حِرصاً وَمنعاً ولم يكن ... يَهيجُكما إلا الحَقيرُ مِنَ الأمرِ
متى يَجْتَمِعْ يوماً حريصٌ ومانعٌ ... فليس إلى حَمْدٍ سبيلٌ ولا أجرِ
أحارِ بن كعبٍ إنّ عبساً تغَلغَلَتْ ... إلى السَّيرِ مِنْ نَجرانَ في طَلَبِ التَّمْرِ
فكيف ترى عَبْساً وعبسٌ حريصةٌ ... إذا طمِعَتْ في التَّمرِ من ذلك العُبْرِ[٤]
لقد كُنتُما في التَّمرِ لله أنتُما ... شَبيهيْنِ بالمُلقى على ضِفَّةَ الجِسرِ

---

(١) أرَغْتُها: طلبتها. ورُغتَ: مِلت وَحِذتَ.
(٢) مستطرف الغنى: حديثه. وذؤابة القوم: سيدهم وأعلاهم مقاماً.
(٣) الشقة: السفر البعيد.
(٤) العُبر: الكثير من كل شيء.

[مدحه الفضل بن يحيى]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمدُ بنُ يزيد النحويّ، قال: حُدِّثت من غير وجه، أنّ النُّصيب دخل على الفضل بن يحيى بن خالد مسلِّماً، فوجد عنده جماعة من الشعراء قد امتدحوه، فهم يُنشِدونه، ويأمر لهم بالجوائز، ولم يكن امتدحه، ولا أعدَّ له شيئاً. فلما فرغوا ـ وكان يُرَوّي قولاً في نفسه ـ استأذن في الإنشاد، ثم أنشد قصيدته التي أولها قولُه: [الكامل]

طَرَقَتْكَ ميَّةُ والمزارُ شَطِيب ... وتُثيبكَ الهجرانَ وهْي قريبُ(١)
لله ميَّةُ خُلَّةً لو أنها ... تَجْزي الوِدادَ بوُدِّها وتُثيبُ
وكأنّ ميَّةَ حين أَتلَعَ جيدُها ... رشأٌ أغنُّ مِنَ الظِّباءِ ربيبُ(٢)
نصفانِ ما تَحْتَ المؤَزَّرِ عَاتِكٌ ... دعْصٌ أغرُّ وفوقَ ذاك قَضيبُ(٣)
ما للمنازِلِ لا تكادُ تجيبُ ... أنى يُجيبكَ جَندلٌ وجَبُوبُ(٤)
جادتْك مِنْ سَبَلِ الثُّريا ديمةٌ ... ريًّا ومن نَوْءِ السِّماكِ ذَنوبُ(٥)
فلقد عَهِدْتُ بك الحلالَ بغبطةٍ ... والدَّهْرُ غضٌّ والجَنابُ خصيبُ
إذْ للشبابِ عَلَيَّ مِنْ وَرقِ الصِّبا ... ظِلٌّ وإذ غُصْنُ الشبابِ رطِيبُ
طرِبَ الفؤادُ ولاتَ حين تطرُّبِ ... إن الموكَّلَ بالصِّبا لَطروبُ
وتقول ميَّةُ ما لمِثلكَ والصِّبا ... واللَّوْنُ أسودُ حالكٌ غِرْبيبُ؟
شَاب الغرابُ وما أَراكَ تَشيبُ ... وطلابُكَ البِيضَ الحِسانَ عجيبُ(٦)
أعلاقَةٌ أسبابهُنّ وإنَّما ... أفنانُ رأسكَ فُلفُلٌ وزَبيبُ
لا تهزَئي مني فَرُبَّتَ عائبٍ ... ما لا يعيبُ الناسَ وهو معيبُ
ولقد يصاحِبُني الكرامُ وطالَما ... يسمو إليَّ السيِّدُ المحجُوبُ
وأجُرُّ من حُلَلِ الملوكِ طَرائفاً ... مِنها عَلَيَّ عصائبٌ وسَبيبُ(٧)

---

(١) الشطيب: البعيد.
(٢) أتلعت جيدها: رفعت عنقها. والرشأ: ولد الظبية.
(٣) العاتك: الخالص من الألوان. ويقال: أحمر عاتك: أي شديد الحمرة.
(٤) الجندل: الصخر. والجبوب: وجه الأرض الصلب.
(٥) السَّبَل: المطر الهاطل. والديمة: المزنة. والنوء: النجم إذا مال للغروب.
(٦) شيب الغراب: ضرب من المستحيل.
(٧) السبيب: جمع سبيبة: ضرب من الثياب الرقيقة.

وأُسالِبُ الحَسناءَ فَضْلَ إزارها ... فَأصورُها وإزارُها مسلوبُ[1]
وأقولُ منقوحَ البدِيِّ كأنّه ... بردٌ تَنافَسَهُ التِّجارُ قَشيبُ[2]

يقولُ فيها في مدح الفضل:

والبَرْمكيُّ إذا تقاربَ سِنُّهُ ... أو باعدَتْهُ السِّنُّ فهو نجيبُ
خرقُ العطاءِ إذا اسْتَهَلَّ عطاؤُهُ ... لا مُتْبِعٌ مَنّاً ولا مَحسوبُ
يا آلَ بَرْمَكَ ما رَأَيْنا مثلَكمْ ... ما منكمُ إلا أغرُّ وَهوبُ
وإذا بَدَا الفَضْلُ بنُ يحيى هِبْتُهُ ... لِجلالِهِ إنَّ الجليلَ مَهيبُ
قاد الجِيادَ إلى العِدَا وكأَنها ... رَجْلُ الجرادِ تَسوقهنّ جَنُوبُ
قُبّاً تُبارِي في الأعنَّةِ شُزَّباً ... تَدَعُ الحُزونَ كأنهنَّ سُهوبُ[3]
مِنْ كُلِّ مُضْطرِبِ العِنانِ كأنه ... ذِئْبٌ يبادرُهُ الفريسةَ ذِيبُ
تَهْوِي بكلِّ مغاورٍ عاداتُه ... صَدِقُ اللقاءِ فما لَه تَكْذيبُ
حتى صَبَّحْنَ الطالبيَّ بعارضٍ ... فيه المنايا تَغْتَدِي وتَؤُوبُ
خَافَ ابنُ عبدالله ما خوَّفتَهُ ... فجفاكَ ثم أتاكَ وهو مُنيبُ
ولقد رآك الموْت إلا أنَّه ... بالظَّنِّ يُخْطِىءُ مرةً ويُصيبُ
فرمى إليكَ بنفسِهِ فنَجا بهَا ... أجلٌ إليه يَنتهي مكتوبُ
فكسوتَه ثَوْبَ الأمانِ وإنَّه ... لا حبلُه واهٍ ولا مقضوبُ[4]
شِمْنا إليك مَخيلةً لاخُلَّباً ... في الشَّيم إذْ بعضُ البروقِ خَلوبُ[5]
إنَّا على ثِقةٍ وظنٍّ صادقٍ ... مِمَّا نؤَمِّلُهُ فليسَ نَخيبُ

قال: فاستحسنها الفضلُ، وأمر له بثلاثين ألف دِرهم، فَقَبضها، وَوَثب قائماً، وهو يقول: [البسيط]

إني سَأَمْتَدِحُ الفَضْلَ الذي حُنِيَت ... منّا عليه قُلوبُ البِرِّ والضِّلَعُ[6]

---

(١) فضل الإزار: ما تدلى منه. وأصورها: أميلها.
(٢) البدي: البديهة. والبرد القشيب: الثوب الجديد.
(٣) القُبّ: الضوامر. والشُزَّب: جمع شازب وهو الخشن اليابس. والحزون: الأراضي الغليظة.
(٤) مقضوب: مقطوع.
(٥) المخيلة: السحابة التي تخالها ماطرة لرعدها وبرقها. والخلوب: السحاب يومض برقه حتى يُرجى مطره، ثم يخلف ولا يهطل المطر.
(٦) الضِّلَع هنا: الإغاثة.

جَادَ الربيعُ الّذي كُنَا نؤمّلُه فكلنا بربيعِ الفضْلِ مرتَبعُ
كانت تطولُ بِنَا في الأرضِ نجعتُنا فاليوم عند أبي العباسِ نَنْتَجعُ
إن ضاقَ مَذْهبُنا أو حلَّ ساحتَنا ضَنكٌ وأزْمٌ فعند الفضلِ متَّسَعُ[١]
ما سلّم الله نفسَ الفضلِ من تلَفٍ فما أُبالي أقامَ الناسُ أم رَجعُوا
إن يَمْنعُوا ما حوتْ منا أكفهُم فلن يضرَّ أبا الحَجْنَاءُ ما مَنَعُوا
أو حَلَّؤونا وذادوا عن حياضِهُم يومَ الشُّروعِ ففي غُدْرانِكَ الشّرعُ[٢]
يا ممسكاً بِعُرا الدُّنْيا إذا خُشيت منها الزَّلازلُ والأمرُ الذي يقعُ
قد ضرَّسَتْك الليالي وهي خاليةٌ وأحْكَمَتْكَ النُّهى والأزلَمُ الجَذَعُ[٣]
فغادرا منك حَزناً عن مُعاسرةٍ سَهْل الجنابِ يسيراً حين يتَّبَعُ
لم يفتلِتْك نقيراً عن مُخادعةٍ دَهْيُ الرِّجالِ وللسؤّال تَنخدعُ[٤]
فأنت مصطلِحٌ بالملكِ تَحْمِلُهُ كما أبوكَ بثِقلِ المُلْكِ مُضطلعُ

[مدحه لزبيدة في الحج]

قال ابن أبي سعد: لما حجّتْ أم جعفر زُبيدةُ لَقِيَها النُّصيب، فترجّل عن فرسه وأنشأ يقول: [الطويل]

سَيَسْتَبْشِرُ البيتُ الحرامُ وزمزَمٌ بأمِّ وَليِّ العهدِ زين المواسم
ويعلم مَنْ وافى المُحَصَّب أنها ستحملُ ثِقلَ الغُرمِ عن كُلِّ غارمِ[٥]
بَنُو هاشِم زَينُ البَرِيَّةِ كُلِّها وأُمُّ وليِّ العهدِ زينٌ لهاشم
سليلةُ أملاكٍ تَفرَّعتِ الذُّرى كرام لأبناءِ الملوكِ الأكارِمِ
فوالله ما نَدري: أفضلُ حديثها عليهم به تَسمو أم المُتقادمِ
يظنُّ الذي أعطتْهُ منها رغيبةً يقصُّ عليه النَّاسُ أحلامَ نائمِ

فأمرت له بعشْرة آلاف دِرهم وفرس، فأُعطيَه بلا سرج؛ فتلقّاها لما رحلتْ

(١) أزم: شدّة.
(٢) حلؤونا: منعونا الشرب.
(٣) الأزلم الجذع: الدهر الكثير البلايا.
(٤) الدهي: الدهاء.
(٥) المحصَّب: موضع رمي الجمار بمنى. (معجم البلدان ٥/ ٦٢).

وقال: [الوافر]

لــقــد ســادتْ زُبــيــدةُ كُــلَّ حَــيٍّ ومـيْـتٍ مـا خـلا الـمـلـكَ الـهُـمـامـا
تُـقَـىً وسـمـاحـةٌ وخـلـوصُ مَـجـدٍ إذا الأنـسـابُ أخـلـصـتِ الـكـرامـا
إذا نـزلـتْ مـنـازلَـهـا قـريـشٌ نـزلـتِ الأنـفَ مـنـهـا والـسَّـنـامـا
بـلـغْـتِ مـن الـمـفـاخـرِ كُـلَّ فَـخْـرٍ وجـاوزْتِ الـكـلامَ فـلا كـلامـا
وأعـطـيـتِ الـلُّـهـى لـكـنَّ طِـرْفـي يُـريـدُ الـسَّـرجَ مـنـكـم والـلِّـجـامـا

فأمرت له بسَرج ولِجام.

[الحجناء تمدح المهدي وابنته العباسة]

قال ابنُ أبي سعد: خرج المهدي يتنزه بعيسى بَاذ[1]، وقدم النُّصيبُ، ومعه ابنتُه حجْناء، فدخل على المهديّ، وهي معه، فأنشدته قولَها فيه: [الخفيف]

رُبَّ عَـيْـشٍ ولـذةٍ ونـعـيـم وبـهـاءٍ بِـمـشـرِقِ الـمَـيْـدانِ
بـسـط الله فـيـه أبـهـى بِـسـاطٍ مـن بَـهـارٍ وزاهـرِ الـحـوْذانِ[2]
ثـم مـن نـاضرٍ مـن الـعُـشْـب الأخْـ ـضَـرِ يـزهـو شـقـائـقَ الـنُّـعـمـانِ
مـدَّه الله بـالـتَّـحـاسـيـنِ حـتـى قَـصَـرت دونَ طـولِـهِ الـعَـيـنـانِ[3]
خُـقِّـفَـتْ حـافـتـاهُ حـيـثُ تَـنـاهـى بـخـيـامٍ فـي الـعَـيـنِ كـالـظُّـلْـمَـانِ[4]
زيَّـنـوا وسـطَـهـا بـطـارمـةٍ مِـثْـ ـلِ الـثُّـرَيَّـا يَـحـفُّـهـا الـنَّـسـرانِ[5]
ثـم حَـشْـوُ الـخـيـامِ بِـيـضٌ كـأمْـثـا لِ الـمَـهـا فـي صَـرائـمِ الـكُـثْـبـانِ[6]
يـتـجـاوبْـنَ فـي غِـنـاءٍ شَـجِـيٍّ أَسْـعِـدَانـي يـا نـخـلَـتَـيْ حُـلـوانِ[7]
فـبـقـصـرِ الـسـلامِ مـن سَـلَّـمَ الـ ـلَـهُ وأبـقـى خـلـيـفـةَ الـرحـمـنِ
ولـديـه الـغِـزلانُ بَـل هـنَّ أبـهـى عـنـده مـن شَـوادِنِ الـغِـزْلانِ

(١) عيسى باذ: محلة كانت بشرقي بغداد منسوبة إلى عيسى بن المهدي. انظر: (معجم البلدان ٤/ ١٧٢).
(٢) الحوذان: بقلة لها نور أصفر طيب الرائحة.
(٣) التحاسين: جمع تحسين: وهو ما يوضع للزينة.
(٤) الظلمان: جمع ظليم وهو ذكر النعامة.
(٥) الطارمة: بيت من خشب كالقبة.
(٦) صرائم: جمع صريمة وهي: القطعة من الرمل.
(٧) نخلتا حلوان: (انظر معجم البلدان ٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩٣).

يــا لــه مــنــظــراً ويــومَ ســرورٍ شـهـدتْ لـذَّتَـيْـهِ كُـلُّ حَـصَـانِ(١)

فأمر لها المهديّ بعشرة آلاف دِرهم، وله بمثلها؛ قال: ثم دخلت الحَجناءُ على العبَّاسة بنت المهدي، فأنشدتها تقول: [الطويل]

أتـيـنـاكِ يـا عـبـاسـةَ الـخَـيْـرِ والـحيا وقـد عَـجَـفَـتْ أُدْمُ الـمـهـاري وكَـلَّـتِ(٢)
ومـا تَـرَكَـتْ مـنـا الـسُّـنـونَ بـقـيـةً سِـوى رِمَّـةٍ مـنـا مـن الـجَـهـدِ رَمَّـتِ
فـقـالَ لـنـا مَـنْ يَـنْـصَـحُ الـرأي نـفـسَـهُ وقـد ولَّـتِ الأمـوالُ عـنـا فـقـلَّـتِ
عـلـيـكِ ابـنـةَ الـمـهـديِّ عُـوذي ببـابـهـا فـإنَّ مـحـلَّ الـخَـيْـرِ فـي حـيـث حلَّـتِ

فأمرتْ لها بثلاثة آلاف درهم وكُسوة وطيب، فقالت: [البسيط]

أغـنـيـتِـنـي يـابْـنَـةَ الـمَـهْـديِّ أيَّ غِـنًـى بـأعـجـريـنِ كـثـيـرٌ فـيـهـمـا الـوَرَقُ

ـ أي: أغنيتني على عقب ما أغناني أخوكِ. بأعجَرين: بكيسين ـ.

من ضـرب تـسـع وتـسـعـيـنِ مُـحَـكَّـكَـةٍ مـثـلِ الـمـصـابـيـح فـي الـظَّـلـمـاء تـأتَـلِـقُ
أمـا الـحَـسـودُ فـقـد أمـسـى تـغـيُّـظُـهُ غـمًّـا وكـادَ بـرَجْـعِ الـرِّيـقِ يَـخْـتَـنِـقُ
وذو الـصـداقـةِ مـسـرورٌ بـنـا فَـرِحٌ بـادي الـبِـشـارة ضـاحٍ وجـهُـهُ شَـرِقُ

[مدحه صديقه إسحاق بن الصباح]

وقال ابن أبي سعد: كان إسحاق بن الصباح الأشعثي صديقاً للنُّصَيْب، وقدم قدمة من الحجاز، فدخل على إسحاق؛ وهو يهب لجماعة وردوا عليه بُرّاً(٣) وتمراً، فيحملونه على إبلهم ويمضون، فوهب لنصيب جارية حسناءَ يقال لها مَسرورة، فأَردفها خلفَه، ومضى وهو يقول: [الطويل]

إذا احْـتَـقَـبُـوا بُـرّاً فـأنـتِ حَـقـيـبـتـي مِـنَ الـبـشَـريَّـاتِ الـثـقـالِ الـحَـقـائـبِ(٤)
ظَـفِـرْتُ بـهـا مـن أَشْـعـثـيٍّ مـهـذَّب أغـرَّ طـويـل الـبـاع جـمٍّ الـمـواهـبِ
فـدًى لـكَ يـا إسـحـاقُ كُـلُّ مـبَـخَّـلٍ ضـجـورٍ إذا عَـضَّـتْ شِـدادُ الـنَّـوائـب
إذا مـا بـخـيـلُ الـقَـوْمِ غُـيِّـبَ مـالَـهُ فـمـالُـك عِـدٌّ حـاضـرٌ غـيـرُ غـائـبِ

(١) الحَصَانِ: المرأة العفيفة.

(٢) عجفت: هزلت. والأدم: جمع أدماء وهي السمراء.

(٣) بُراً: قمحاً.

(٤) احتقبوا: حملوا في حقائبهم.

إذا اكْتَسَبَ القومُ الثَراءَ فإنَّما ... تَرَى الحمدَ غُنماً من كريم المكاسبِ

وقال فيه أيضاً: [الطويل]

فتًى من بني الصَّبَّاحِ يَهْتَزُّ للنَّدى ... كما اهْتَزَّ مسنونُ الغِرارِ عتيقُ

فتًى لا يذُمُّ الضَّيْفُ والجَارُ رِفْدَه ... ولا يَجْتَويهِ صاحبٌ ورَفيقُ[1]

أغرُّ لأبناءِ السَّبيلِ مَوارِدٌ ... إلى بيته تَهديهمُ وطريقُ

وإن عُدَّ أنسابُ الملوكِ وجدتَهُ ... إلى نَسبٍ يعلوهُمُ ويَفوقُ

فما في بني الصَّبَّاح إن بَعُد المَدَى ... على النَّاس إلا سابقٌ وعَريقُ

وإني لِمَنْ شاحَنْتُمُ لمشاحِنٌ ... وإني لِمَنْ صادقتُم لصَديقُ[2]

[زيارته لخزيمة ومدحه]

قال: وكان النّصيبُ إذا قَدِم على المَهديّ استهداه القوَّادُ منه، وسألوه أن يأمره بزيارتهم، فكان فيمن استزاره خُزَيمة بن خازم، فوصله وحمله، وقال فيه: [الوافر]

وَجَدْتُكَ يا خُزَيمةُ أريحِيّاً ... بما تحوي وذا حَسَبٍ صَميمِ

تميمٌ كانَ خيرَ بني معدٍّ ... وأنت اليومَ خيرُ بني تميمِ

سِوى رهطِ النبيِّ وهم أديمٌ ... وأنت قُدِدْتَ من ذاك الأديمِ

وقال فيه أيضاً: [البسيط]

يا أفضلَ الناسِ عُوداً عند مَعْجَمِهِ ... إذا تَفاضلَ يوماً مَعْجَمُ العُودِ[3]

إني لواحدُ شعرٍ قد عُرفتُ به ... وذا خزيمة أضحى واحدَ الجودِ

إن يُعْطِكَ اليوم معروفاً يَعِدْكَ غداً ... فأنت في نائلٍ منه وموعودِ

وقد رأينَا تميماً غير مُكْرهَةٍ ... ألقتْ إليك جميعاً بالمقاليدِ

فأنت أكْرَمُها نفساً وأفضَلُها ... إنّ الصناديدَ أبناءُ الصَّناديدِ

وقال: وكان في غزاة سَمَالو[4] مع المهدي، فوقف به فرسه، ومرّ به جَعْد

(١) الرفد: العطاء. ويجتويه: يكرهه.
(٢) شاحنتم: عاديتم. والمشاحنة: المعاداة.
(٣) عجم عوده: امتحنه، اختبره.
(٤) سمالو أو صمالو: من ثغور الشام قرب المصيصة وطرسوس. وأصلها بالصاد معجم البلدان ٣/ ٤٢٣.

مولى عبد الله بن هشام بن عمرو، وبين يديه فرس يُجنَب[١] فقال له: قد ترَى قيام فرسي تحتي، فاردُدْ إليّ جَنِيبك حتى يتروَّح فرسي ساعة، فسكَتَ، ولم يُجِبْه فقال فيه: [الطويل]

أُنادي بأعلى الصَّوْتِ جَعْداً وقد يَرَى مكاني ولكن لا يُجيبُ ويَسْمَعُ
ولم يرني أهلاً لحُسنِ إجابةٍ ولا سُوئها إني إلى الله أرجعُ
فلو أنَّني جازيتُ جَعْداً بفِعلهِ لقد لاحَ لي فيه من الشعرِ مَوضعُ
ولكنَّني جافيتُ عنهُ لِغيرهِ بحُسْن الذي يأتي إلَيَّ ويَصْنَعُ
رَأَيْتُكَ لم تَحْفَظْ قرابَةَ بيننا وما زالتِ القُربى لدى الناسِ تَنْفعُ

قال: وسأَلَ عُبيدَ الله بن يحيى بن سليمان مركباً، فأعطاه إياه، وجعل معه شريكاً له فيه، فقال: [البسيط]

لقد مدحتُ عبيداً إذ طَمِعتُ به وقد تملَّقْتُه لو ينفعُ الملَقُ[٢]
فعادَ يَسْأَلُ ما أصبحتُ سائلهُ فَكُلُّنا سائِلٌ في الحِرْصِ مُتَّفِقُ
أحينَ سارَ مديحي فيكمُ طُرُقاً وحيث غنَّتْ به الركبانُ والرُّفَقُ
قَطَعْتَ حَبْلَ رجاءٍ كنتُ آملُهُ فيما لديكَ فأضحى وهو مُنْحَذِقُ[٣]
قد كان أورَقَ عودي من أبيك فقد لَحيْتَ عُودي فجفَّ العُودُ والوَرَقُ
مَنْ نازعَ الكَلْبَ عَرْقاً يرتجي شِبَعاً كمصطلٍ بحريقٍ وهو يَحتَرِقُ

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بَكّار قال: كتب إليَّ أبو محمد إسحاق بن أبي إبراهيم يقول: أنشدتُ الفضل بن يَحيى قولَ أبي الحَجْنَاء نُصَيْب: [الكامل]

عند الملوكِ مَضرَّةٌ ومنافعُ وأرى البرامِكَ لا تضرُّ وَتَنْفَعُ
إن العُروق إذا استسرَّ بها الثَّرى أشرَ النباتُ بها وطابَ المَزْرَعُ[٤]
فإذا نَكِرتَ مِنِ امْرِئٍ أعراقَهُ وقديمَهُ فانْظُرْ إلى ما يَصْنَعُ

قال: فأعجبه الشعر، فقال: يا أبا محمد، كأني والله لم أسمعْ هذا القول إلا

(١) فرس يجنب: يقاد إلى جنب آخر.
(٢) الملَقُ: الرجاء، التضرع.
(٣) منحذق: منقطع.
(٤) أشر النبات: ازدهر.

الساعة، وما له عندي عيب إلا أنّي لم أكافئه عليه. قال: قلتُ: وكيفَ ذلك أصلحكَ اللهُ، وقد وهبتَ له ثلاثين ألْفَ دِرهم! فقال: لا والله ما ثلاثُون ألْفَ دينار بمكافِئة له، فكيفَ ثلاثون ألْفَ درهم!

أخبرني أحمد بن عبد الله بن عمار قال: أخبرني أحمدُ بنُ سليمان بن أبي شيخ قال: كان أبي يستملح قولَ نُصَيْب وقد رأى كثرةَ الشعراء على باب الفضل بن يحيى. فلما دخل النَّاس إليه قال له: [الخفيف]

ما لَقِينا مِنْ جُودِ فَضْلِ بن يحيى ... تَرَكَ الناسَ كلَّهم شُعراءَ

ويقول: ما في الدنيا أحسنُ من هذا المعنى، وعلى أنه قد أخذ منهم مالاً جليلاً ولكنْ قلما سمعتُ بطبقته مثلَه.

صوت

طافَ الخيالُ ولاتَ حينَ تطَرُّبِ ... أن زارَ طيفٌ موهِناً من زَينبِ[1]
طرقَتْ فنفَّرتِ الكَرى عن نائم ... كانت وسادَتُه ذِراعَ الأرحبي
فبكى الشَّبابَ وعَهْدَهُ وزمانَهُ ... بَعْدَ المشيبِ وما بُكَاءُ الأشيبِ!

عَروضه من الكامل، الشعر لأبي شُراعةَ القَيسي، والغناء لدَعامة البَصريّ خفيف رَمَل بالبنصر من كتاب الهشاميّ.

---

(١) الموهن: نصف الليل أو بعده بساعة.

أخبار أبي شراعة ونسبه

[نسبه وبعض أخباره]

هو ـ فيما كتب به إلينا ابنُه أبو الفيَّاض سوَّار بن أبي شُراعة من أخباره ونسبه ـ أحمدُ بن محمد بن شُراعة بن ثعلبة بن محمد بن عمير بن أبي نُعَيم بن خالد بن عَبدة بن مالك بن مُرة بن عَبَّاد بن ضُبيعة بن قيس بن ثَعلبة بن عُكابة بن صَعب بن عليّ بن بكر بن وائل. شاعرٌ بصْريّ من شعراء الدولة العباسية جيِّدُ الشعر جزلُه، ليس برقيق الطبع، ولا سهل اللَّفظ، وهو كالبدويِّ الشعر في مذهبه، وكان فصيحاً يتعاطى الرسائل والخُطَب مع شعره، وكانت به لُوثة[١] وهَوَج.

وأُمه من بني تميم من بني العنبر، وابنه أبو الفيَّاض سوَّار بن أبي شُراعة أحدُ الشعراء الرواة، قدم علينا بمدينة السلام بعد سنة ثلاثمائة، فكتب عنه أصحابُنا قِطعاً من الأخبار واللّغة، وفاتني فلم أَلقه، وكتب إليَّ وإلى أبي ـ رحمه الله ـ بإجازة أخباره على يدي بعض إخواننا، فكانت أخبار أَبيه من ذلك.

فمنها ما حكاه عنه أنه كان جواداً لا يُليقُ[٢] شيئاً، ولا يُسأَلُ ما يقدر عليه إلا سَمح به، وأَنه وقف عليه سائل يوماً فرمى إليه بنَعْلِه وانصرف حافياً، فعَثَر فَدَمِيتْ إصبعُه فقال في ذلك: [الطويل]

ألا لا أُبالي في العُلا ما أصابني ... وإن نَقِبت نَعلاي أو حَفِيتْ رِجْلي[٣]

فلم تَرَ عَيْني قطُّ أحسنَ منظَراً ... مِنَ النكبِ يدمَى في المواساةِ والبذلِ

(١) اللوثة: الحمق.

(٢) لا يُليق شيئاً: لا يمسك شيئاً.

(٣) نقبت نعله: تخرّقت.

ولســتُ أُبــالــي مَــنْ تــأَوَّبَ مــنــزلــي إذا بقيتْ عندي السراويلُ أو نَعْلي[(١)]

[أخوه يتهمه بالجنون فينشد شعراً]

قال: وبلغه أن أخاه يقول: إن أخي مجنون، قد أفقرنَا ونفسَه، فقال:

[الطويل]

أأُنبَـزُ مَـجـنـونـاً إذا جُـدتُ بـالـذي مـلـكـتُ وإن دافَـعْـتُ عـنـه فـعـاقِـلُ
فـداموا عـلـى الـزُّورِ الـذي قُـرِفـوا بـه ودمتُ على الإعطاءِ ما جاءَ سائلُ[(٢)]
أبـيـتُ وتـأبـى لـي رجـالٌ أشِـحَّـةٌ على المجدِ تنمِيهم تميمٌ ووائلُ[(٣)]

قال: وقال أيضاً في ذلك: [الطويل]

أَئِنْ كـنـتُ فـي الـفـتـيـانِ آلـوت سَـيِّـداً كثيرَ شُحوبِ اللَّوْنِ مختلِفَ العَصْبِ
فـمـا لـكَ مِـنْ مَـوْلاكَ إلا حـفـاظُـهُ ومـا الـمـرءُ إلا بـالـلـسـانِ وبـالـقـلـبِ
هـمـا الأصـغـرانِ الـذائـدانِ عَـنِ الـفـتَـى مكارِهَهُ والـصـاحـبـانِ عـلـى الـخَطْبِ
فـإلاّ أُطِـقْ سـعـيَ الـكـرامِ فـإنـنـي أفكُّ عـن الـعـانِـي وأَصْبِرُ في الحَرْبِ

أخبرني عمي قال: أخبرني مَيمون بن هارون قال: حدَّثني إبراهيم بن المدَبِّر قال: كان عندي أبو شُراعةَ بالبَصرة، وأنا أتولاَّها، وكان عندي عمير المغني المدني، وكان عُمير بن مرة غَطفَانياً، وكان يغنِّي صوتاً يُجيدُه، واختاره عليه وهو:

[الطويل]

أَتـحـسِـبُ ذاتَ الـخـالِ راجـيـةً رَبَّـا وقـد صَـدَعَـتْ قَـلْـبـاً يُـجَـنُّ بـهـا حُـبَّـا

فاقترحه أبو شُرَاعةَ على عُمَير، فقال: أَعطِني دَراهمَ، حتى أقبلَ اقتراحكَ، فقال له أبو شُراعةَ: أخذُ المغني من الشاعر يدلُّ على ضعف الشاعر، ولكني أعرِضُك لأبي إسحاق، فغنّاه إياه ثلاث مرات وقد شَرِبَ عليه ثلاثةَ أرطال، وقال:

[الطويل]

عَـدَوْتُ إلـى الـمُـريِّ عَـدْوَةَ فـاتِـكٍ مِـعـنّ خـلـيـعٍ لـلـعـواذلِ والـعُـذْرِ[(٤)]

---

(١) تأوّب منزلي: زارني ليلاً.
(٢) الزّور: الكذب. وقُرِفوا به: وُصموا.
(٣) رجالٌ أشحّةٌ: جمع شحيح: وهو البخيل.
(٤) المعنّ: الكثير العناء.

فقالَ لشيءٍ ما أرى قلتُ: حاجةٌ مُغَلغلة بين المخنَّقِ والنّحرِ[١]
فلما لواني يَسْتَثِيبُ زَجَرْتُهُ وقلت: اْعتَرِفْ إنَّا كلانا على بَحْرِ[٢]
أليس أبو إسحاق فيه غِنًى لَنا فَيُجْدِي على قَيسٍ وأُجدِي على بكر
فغنَّى بذاتِ الخالِ حتى استخفَّني وكاد أديمُ الأرضِ مِنْ تَحْتِنا يَجرِي[٣]

[يمدح صديقه ابن المدبر وقد وهبه مالاً]

حدثني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن يزيد المبرد قال: كان أبو شُراعةَ صديقاً لابن المدبّر أيامَ تقلّده البصرة، وكان لا يُفارقه في سائر أحواله، ولا يمنعه حاجة يسأله إياها، ولا يشفَع لأحد إلا شفَّعه، فلما عُزِل إبراهيم بن المدبر شيَّعه الناس، وشيَّعه أبو شُراعةَ، فجعل يردُّ الناسَ، حتى لم يبق غيرُه، فقال له: يا أبا شُراعةَ غايةُ كل مودِّع الفراقُ، فانصرفْ راشداً مكْلُوءاً من غير قِلىً[٤] والله ولاَ مَلَل، وأمرَ له بعشْرة آلاف درهم، فعانقه أبو شُراعة، وبكى؛ فأطال، ثم أنشأ يقول: [الرمل]

يا أبا إسحاقَ سِرْ في دَعةٍ وامضِ مَصْحوباً فما منك خَلَفْ
ليتَ شعري أيُّ أَرْضٍ أَجْدَبَتْ فأُغيثَتْ بك من جَهدِ العَجَفْ![٥]
نَزَلَ الرُّحْمُ من الله بهِمْ وحُرِمناك لِذنبٍ قد سَلَفْ
إنما أنت ربيعٌ باكرٌ حيثُما صرَّفه الله انصرَفْ

قال أبو الفياض سَوَّار بن أبي شُراعة: دخل أبي على إبراهيم بن المدبر وعنده مُنَجِّم، فماراه[٦] إبراهيم بن المدبِّر في رؤية الهلال لشهر رمضان؛ فحكم المنجِّم بأنه يُرى، وحَلَف إبراهيم بعِتْق غِلمانه أنَّه لا يُرى، فرئيَ في تلك الليلة. فأَعتق غِلمانه، فلما أصبح دخل الناسُ يهنئونه بالشهر، فأَنشدَه أبو شُراعة يقول: [الخفيف]

أيها المكثرُ التَّجنِّي على الما لِ إذا ما خلا مِنَ السُّؤَّالِ

---

(١) حاجة مغلغلة: ممعنة. المخنَّق: موضع الخناق.
(٢) يستثيب: يطلب الثواب.
(٣) أديم الأرض: سطح الأرض.
(٤) القِلى: البغض.
(٥) العَجَف: اليباس.
(٦) ماراه: عارضه.

أفْتِنا في الذينَ أعتقْتَ بالأمْـ ... ـسِ مواليكَ أم موالي الهِلالِ؟
لم يَكُنْ وَكْدُكَ الهلالَ ولكنْ ... تتألَّى لِصالِحِ الأعمالِ
إنما لذَّتاكَ في المالِ شَتَّى ... صونُك العِرْضَ وابتذالُ المالِ
ما نُبالي إذا بقيتَ سَليماً ... مَنْ تولَّتْ به صُروفُ اللَّيالي

قال أَبو الفيَّاض: وكان أبو شُراعة صديقَ السِّدْري، فدعا يوماً إخوانه، وأغفل أَبا شُراعةَ. فمرَّ به الرياشيّ. فقال: يا أَبا شُراعة، أَلست عِنْدَ السِّدرِي معنا؟ فقال: لم يدعُنا. ومرَّ به جماعة من إخوانه، فسألوه عن مثل ذلك، ومرَّ به عيسى ابنُ أبي حرب الصَّفار ـ وكان ممن دُعيَ ـ فجلس وحَلَفَ ألا يبرَحَ حتى يأتيَه السِّدْرِي، فيَعتَذِرَ إليه، ويدعوه، فقال أبو شُراعة: [الرجز]

أَيْرُ حمارٍ في حِرِ امِّ شِعري ... وخُصيتاهُ في حِرِ امِّ قَذْرِي
إن أنا لم أشْغَلْهما بِوَفرِ ... لو كنتُ ذا وفرٍ دعاني السِّدْري
أو كان من همّ هشام أمري ... أو راحَ إبراهيمُ يُطري ذِكري[1]
وابنُ الرياشيِّ الضَّعيفُ الأمرِ ... يَخافُ إن أردَفَ ألاَّ يَجري
وأنتَ يا عِيسى سقاكَ المُسْري ... نِعْمَ صديقُ عُسْرةٍ ويُسرِ[2]

قال أبو الفيَّاض: سقطتْ دارنا بالبصرة، فَعوتب أبي على بنائها، وقيل له: استعن بإخوانِك إنَّ عجزتَ عنه فقال: [الطويل]

تَلُومُ ابنةُ البكريِّ حين أؤوبها ... هَزيلاً ويَبْغَضُ الآئبينَ سَمينُ
وقالتْ: لحاكَ الله تَستَحْسِنُ العَرا ... عَنِ الدَّارِ إنَّ النائباتِ فُنُونُ[3]
وحولك إخوانٌ كرامٌ لهمْ غِنًى ... فقلت لإخواني الكرامُ عُيونُ
ذَريني أمُتْ قبل احْتِلالِ محلَّةٍ ... لها في وُجوهِ السَّائلينَ غُضونُ
سأفدِي بمالي ماءَ وَجْهيَ إنني ... بما فيه مِنْ ماءِ الحياءِ ضَنينُ

قال سوَّار بن أبي شُراعة: كان إخوانُ أبي يجتمعون عند الحُسينِ بن أيوب بن

---

(١) يطري: يثني.
(٢) المسري: السحاب يعقبه المطر.
(٣) لحاه الله: لعنه الله، قبّحه الله.

جعفر بن سليمان في ليالي شهرِ رمضان، فيهم الرياشي والجمَّاز، فقال أبي في ذلك: [البسيط]

لو كنتُ مِنْ شيعةِ الجمَّازِ أقعدني ... مقاعداً قُربهُنَّ الريفُ والشَّرفُ
لكنَّني كنتُ للعباسِ متَّبعاً ... وليس في مَركبِ العباسِ مرتَدَفُ
قدَ بَقِيَتْ مِنْ ليالي الشَّهرِ واحدةٌ ... فعاوِدوا مالحَ البقّالِ وانْصَرِفُوا

[طلقَ ليلة تزوج نديمه بيّان]

قال: وتزوّج نديمٌ لأبي شُراعة يقال له بَيَّانُ امرأةً، فاتفق عرسُه في ليلة طلَّق فيها أبو شراعة امرأته، فعوتبَ في ذلك، وقيل: بات بيّان عَروساً، وبتَّ عَزَباً، فقال في ذلك: [الطويل]

رأتْ عُرسَ بَيّانٍ فهبَّتْ تلومني ... رُوَيْدَكِ لَوْماً فالمُطَلَّقُ أَحوطُ
رُوَيْدكِ حتى يرجعَ البرُّ أهله ... ويَرْحَمُ ربُّ العِرْسِ مِنْ حَيْثُ يُغْبَطُ[1]
إذا قالَ للطحَّانِ عند حسابِهِ ... أعِدْ نظراً إني أَظُنُّكَ تَغْلَطُ
فما راعَهُ إلا دعاءُ وليدةٍ ... هلُمَّ إلى السّواقِ إن كنت تَنْشَطُ
هنالك يَدْعو أُمَّهُ فيسبّها ... ويلتبسُ الأجرَ العَقوق فيحبَطُ[2]
فياذا العُلا إني لِفَضْلِكَ شاكِرٌ ... أبيتُ وحيداً كلما شِئْتُ أَضرَطُ

[شمت ببيّان لأنه عجز عن امرأته]

قال: ثم بلغه عن بيّان هذا أنه عجز عن امرأته، ولم يصِلْ إليها، ولقي منها شرّاً، فقال في ذلك: [الطويل]

رمى الدَّهْرُ في صَحبي وفرَّق جُلاَّسِي ... وباعدهم عني بظَعنٍ وإعراسِ[3]
فكلُهُمُ يَبْغي غِلافاً لأيرهِ ... وأَقعدَني عن ذاك فَقري وإفلاسي
فشكراً لربِّي خان بيَّانَ أيرُه ... وأسعى بأيري في الظلام على الناسِ
يَمْسَحُهُ بالكفِّ حتى يُقيمهُ ... وهل يَنْفَعُ الكفَّانِ من ثقلِ الراسِ

وقال أبو الفياض سوَّار: نظر إليَّ أبي يوماً وقد سألتُ عمِّي حاجة فردَّني،

(١) يُغبَط: يُحسَد.
(٢) يلتبس الأجر: يلتمسه. وحبط عمله. بطل.
(٣) الظعن: الرحيل. والإعراس: الزواج.

فبكى، ثم قال: [البسيط]

حُبّي لإغناء سوَّارٍ يُجشِّمني خَوضَ الدُّجى واعتسافِ المَهمَهِ البِيدِ[١]
كي لا تهونَ على الأعمام حاجَتُه ولا يعلِّل عنها بالمواعيدِ
ولا يوليهمُ إن جاءَ يَسْألُها أكتافَ مَعرضةٍ في العِيسِ مردودِ
إذا بكى قال منهمْ ذُو الحِفاظِ له لقد بُليتَ بخلْقٍ غيرِ محمودِ

قال: وتَمارى أَبو شُراعة ورجلٌ من أَهل بَغداد في النبيذ، فجعل البغداديُّ يذُمّ نبيذ التمر والدِّبْس، فقال أَبو شُراعة: [الرجز]

إذا انْتَخَبْتَ حبَّهُ ودِبسَهُ ثم أجدْتَ ضَرْبَهُ ومَرْسَهُ[٢]
ثم أطلْتَ في الإناءِ حَبْسَهُ شَرِبْتَ منه البابليَّ نفسَهُ

قال: وأعوز أبا شُراعة يومئذ النبيذُ، فطلبَ من نديمين كانا له، فاعتلَّ أحدهما بحلاوة نبيذه، والآخرُ بحمُوضته، فاشترى من نبّاذ يقال له أبو مَظْلُومة دَسْتيجة[٣] بدِرهمين، وكتب إليهما: [الوافر]

سيُغنيني عَنْ حلاوةِ دِبْسِ يحيى ويُغني عن حُموضِ أبي أميَّهْ
أبو مَظلومةَ الشَّيْخُ المولّي إذا اتَّزنتْ يداهُ دِرْهَميَّهْ

أخبرني عليُّ بن سليمان قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: كان أبو شُراعة قبيحَ الوجه جداً، فنظر يوماً في المرآة، فأَطالَ، ثم قال: الحمد لله الذي لا يحمدُ على الشرِّ غيرُه.

[فضّل النبيذ على امرأته فطلّقها]

قال سوَّار بن أبي شُراعة: حلفَ أبي ألا يشرب نبيذاً بطلاق امرأة كانت عندَه، فهجره حولَين، ثم حَنِثَ[٤]، فشرِب، وطلَّق امرأته وأنشأ يقول: [الطويل]

فَمَنْ كانَ لم يَسْمَعْ عجيباً فإنني عجيبُ الحديثِ يا أُميمَ وصادقُه
وقد كان لي أُنسانِ يا أُمَّ مالكٍ وكلٌّ إذا فتَّشتِني أنا عاشقُ

---

(١) اعتسف المهمه: سار فيه على غير هدى. والمهمه: المفازة البعيدة.
(٢) الحبُّ: وعاء يشبه الجرّة. المرسى: الدّلك.
(٣) الدستيجة: إناء كبير يحوّل باليد وينقل، جمعها: دَساتجُ.
(٤) حنث في يمينه: لم يبرّ بها.

عـزيـزةُ والـكـأسُ الـتـي مـن يُـحلّـهـا تُـخـادِعُـهُ عـن عَـقْـلِـهِ فـتـصـادقُـه
تـحـارَبَـتَـا عـنـدي فـعـطَّـلـتُ دَنَّـهَـا وأكـوابَـهَـا والـدَّهْـرُ جَـمٌّ بـوَائـقـه[١]
وحـرَّمـتُـهـا حـولَـيـنِ ثـم أزلَّـنـي حـديـثُ الـنَّـدامـى والـنـشـيـدُ أُوافـقُـه
فـلـمَّـا شـربـتُ الـكـأسَ بـانـتْ بـأخـتـهـا فـبـانَ الـغـزالُ الـمُـسْـتَـحَـبُّ خـلائـقُـه
فما أطيب الكأس التي اعتضت منكمُ ولـكـنَّـهـا لـيـسـت بـريـمٍ أُعـانِـقُـه

قال أبو الفيَّاض: قال أبي: قصدتُ الحسنَ بن رَجاء بالأهواز، فصادفتُ ببابه دِعبل بن عليِّ الخُزاعيّ وجماعةً من الشعراء، وقد اعتلَّ عليهم بديْن لزمه ومصادرة[٢] فكتبَ إليه: [البسيط]

الـمـالُ والـعَـقْـلُ شَـيْءٌ يُـسـتـعـانُ بـه عـلـى الـمُـقـامِ بـأَبـوابِ الـسـلاطـيـنِ
وأنـت تـعـلَـمُ أنـي مـنـهـمـا عَـطِـلٌ إذا تـأمـلْـتَـنـي يـابـنَ الـدَّهـاقـيـنِ[٣]
هـل تـعـلـم الـيـومَ بـالأهـواز مـن رَجـلٍ سـواكَ يـصـلُـح لـلـدُّنـيـا ولـلـدِّيـن

قال: فوعدَنا وعداً قرَّبه، ثم تدافعَ، فكتب إليه: [الخفيف]

آذَنَـتْ جُـبَّـتـي بـأمـرٍ قـبـيـحِ مِـنْ فِـراقٍ لـلـطـيـلَـسَـانِ الـفـسـيـحِ
فـكـأنـي بـمـن يَـزيـدُ عـلـى الْـجُـبَّـةِ فـي ظـلِّ دارِ سَـهْـلِ بـنِ نـوحِ
أنـت رُوح الأهـواز يـابـنَ رجـاء أيّ شـيءٍ يَـعـيـشُ إلاّ بـرُوحِ

فأذن لي وللجماعة، وقضى حوائجَنا.

قال أبو الفيَّاض: وحدثني أبي قال: حجَجْتُ، فأتيت دار سعيد بن سلم، فنحرتُ فيها نَاقَةً، وقلت: [البسيط]

وَرَدْتُ دارَ سـعـيـدٍ وهـي خـالـيـةٌ وكـان أبـيـضَ مِـطـعـامـاً ذُرى الإبـلِ
فـارْتَـحْـتُ فـيـهـا أُصـيـلاً عـنـد ذُكـرتـه وصُـحْـبـتي بِـمِـنًى لاهُـونَ فـي شُـغُـلِ
فـابـتـعـت مِـنْ إبِـلِ الـجـمَّـالِ دهـشـرَةً موسـومـةً لـم تـكـنْ بـالـحِـقَّـةِ الـعُـطُـلِ[٤]
نَـحَـرْتُـهـا عـن سـعـيـدٍ ثـم قـلـت لـهـمْ: زوروا الـحَـطـيـمَ فـإنـي غَـيْـرُ مـرتَـحِـلِ[٥]

---

(١) الدَّن: وعاء الخمر. والبوائق: جمع بائقة وهي: العيب.

(٢) المصادرة: المطالبة.

(٣) الدهاقين: جمع دهقان، وهو رئيس الإقليم عند الفرس.

(٤) دهشرة: ناقة كبيرة. والحقة: الناقة التي دخلت في السنة الرابعة. والعُطُل: الإبل التي لا راعي لها.

(٥) الحطيم: حجر الكعبة أو جدارها حيث يتحطم الناس للدعاء.

قال: وبلغت الأبيات وفِعْلي ولدَه، فأحسنوا المكافأة، وأجزلوا الصِّلة؛ قال: فقال له صديق له: وأنت أيضاً قد استجدتَ لهم النَّحيرةَ! فضحك، ثم قال: أغرَّكَ وصفي لها؟ أُشهدُ الله أني ما بلغتُ بها دار سعيد إلا بين عمودَيْن.

[عيّر أبا امامة لأنه عالة على أمه]

وقال أبو الفياض: كان أبو أمامة محمدُ بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن سلم ـ وأُمه سُعدى بنت عمرو بن سعيد بن سلم ـ صديقاً لأبي شُراعة، وكانت أُمُّه سُعدى تعولُه، فكان أبو شراعة لا يزال يعبَث به، وبلغه أن أبا أُمامة يقول: إنّما معاشُ أبي شُراعة من السلطان ورِفْده، ولولا ذاك لكان فقيراً؛ فقال فيه: [البسيط]

عَيَّرْتني نائِلَ السُّلْطانِ أطلُبهُ ... يا ضلَّ رأيُكَ بين الخُرْقِ والنَّزَقِ
لولا امتنانٌ مِنَ السُّلْطانِ تَجْهَلُهُ ... أصبحتُ بالسَّودِ في مُقعوْعِسٍ خَلَقِ[1]

ـ السَّود: موضع تنزلُه باهلَةُ بالبادية ـ.

رثَّ الرِّدا بين أهدام مرقَّعَةٍ ... يبيتُ فيها بليلِ الجائعِ الفَرِقِ[2]
لا شَيْءَ أَثْبَتُ بالإنسانِ معرفَةً ... مِنَ التي حَزَمَتْ جَنْبَيْهِ بالخِرَقِ
فأين دارُك منها وهي مؤمنة ... بالله مَعْروفةُ الإسلام والشَّفَقِ!
وأين رزقُكَ إلا من يَدَيْ مَرَةٍ ... ما بِتَّ من مالِها إلا على سَرَقِ!
تَبِيتُ والهرَّ ممدوداً عيونكما ... إلى تطعُّمِها مخضرّةِ الحَدَقِ
ما بين رزقيكما إن قاسَ ذُو فِطَنٍ ... فرقٌ سِوَى أنه يَأْتيكَ في طَبَقِ
شارِكْهُ في صَيْدِهِ للفأرِ تَأْكُلُهُ ... كما تُشارِكُهُ في الوجْهِ والخُلُقِ

قال أبو الفيّاض: وزاره أبو أمامة يوماً فوجد عنده طَفْشِيلاً[3] فأكله كلَّه، فقال أبو شراعة يمازحه: [الخفيف]

عين جُودي لبرمةِ الطَّفْشيلِ ... واسْتَهِلّي فالصَّبْرُ غيرُ جميلِ
فَجَعَتْني بها يَدٌ لم تَدَعْ للذَّ ... رِّ في صَحنِ قدرِها من مَقيلِ[4]

---

(١) المقعوعس الخلق: البالي المخرق.

(٢) الفَرِق: الخائف.

(٣) الطفشيل: نوع من المرق.

(٤) الذرّ: صغار النمل.

كـان والله لـحـمُـهـا مـن فَـصِـيـلٍ راتـعٍ يَـرْتـعـي كَـريـمَ الـبُـقـولِ[١]
فـخـلـطـنـا بِـلَـحْـمِـهِ عَـدَسَ الـشَّـا مِ إلـى حِـمَّـصٍ لـنـا مَـبـلُـولِ
فـأتـتْـنـا كـأنـهـا روضـةٌ بـالـحَـزْ نِ تـدعـو الـجـيـرانَ لـلـتَّـطْـفـيـلِ[٢]
ثـم أكـفـأتُ فـوقَـهـا جـفـنـةَ الـحـيِّ وعـلّـقـتُ صَـحـفـتـي فـي زَبـيـلِ[٣]
فَـمَـنّـى الله لـي بـفـظٍّ غـلـيـظٍ مـا أراه يُـقِـرُّ بـالـتَّـنـزيـلِ
فـانْـتَـحَـى دائـبـاً يُـدَبِّـلُ مـنـهـا قـلـتُ: إنَّ الـثَّـريـدَ لـلـتَّـدبـيـلِ
فـتـغـنَّـى صَـوْتـاً لـيـوضِـحَ عِـنـدي حـيِّ أُمَّ الـعـلاءِ قـبـلَ الـرَّحـيـلِ

[كتب أبوه إلى سعيد بن موسى يستهديه نبيذاً]

أخبرني عليُّ بن سُليمان الأخفش قال: حدثني سوَّار بن أبي شُراعة قال: كتب أبي إلى سعيد بن موسى بن سعيد بن مسلم بن قُتَيبة يستهديه نَبيذاً، فكتب إليه سعيد: إذا سألتني ـ جعلني الله فِداءك ـ حاجة فاشطُط، واحتكم فيها حُكْمَ الصَّبِيِّ على أهله، فإن ذلكَ يسرُّني، وأُسارع إلى إجابتك فيه. وأمر له بما التَمس من النبيذ، فمزَجه صاحِبُ شرابه، وبعثَ به إليه. فكتب إليه أبو شُراعة: أسْتَنْسِىءُ[٤] الله أجلَك، وأَستعيذُه من الآفات لكَ، وأستعينُه على شكر ما وهَب من النِّعمة فيك، إنه لذلك وليّ، وبه مليّ. أتاني غلامُك المليحُ قدُّه، السعيدُ بملكك جَدُّه بكتابٍ قرأْتُه غيرِ مستكرَه اللفظ، ولا مُزْوَرٍّ[٥] عن القصد، ينطق بحكمتِك، ويَبِينُ عن فضلك، فوالله ما أَوضحَ لي خفيّاً، ولا زادني بكَ عِلماً، وإذا أنت تسألُ فيه أن تَهب، وتحبّ أن تُحمد، ولا غرو[٦] أن تفعل ذلك، ومن كَثَبٍ أخذتَه، لا عن كَلالة[٧] وغير كلالة ورثته، موسى أبوك، وسعيدٌ جدُّك، وعمرو عمك، ولك دار الصِّلَة، ودار الضيافة، وصاحب البَغْلةِ الشَّهْبَاء وحصينُ بنُ الحمام وعروة بن الوَرد، ففي أيِّ غلواتِ[٨] المجدِ يطمع قَرينُك أن يستولي على المدَى، والأمدُ

---

(١) الفصيل: ولد الناقة بعد فطامه.
(٢) الحَزن: الأرض الغليظة.
(٣) الجفنة: القصعة. والزبيل: القفة أو الجراب.
(٤) أستنسىء الله أجلك: أطلب منه أن يطيل عمرك.
(٥) مزورّ: منحرف.
(٦) لا غروَ: لا عجبَ.
(٧) الكلالة: من لا ولد له ولا والد.
(٨) غلوات: جمع غلوة. وهي مقدار رمية سهم، أو أكثر.

دونَك. وكتابك إليّ أن أتحكَّم عليك تحكّم الصبي على أهله، فلشدّ ما جررت إليّ معروفَك، ودللتَ على الأُنس بِك، وحاشَى للمحكوم له والمحكوم عليه في ذات الحسَب العَتيق، والمنظر الأنيق الذي يسرُّ القلبَ، ويلائم الرُّوحَ ويطردُ الهَمَّ:

[المتقارب]

تـدِبّ خِـلالَ شُـؤونِ الـفَـتَـى ... دَبيبَ دَبى النَّملةِ المنتعشْ[١]
إذا فُـتِـحَـتْ فَـغَـمَـتْ رِيـحُـهـا ... وإن سيلَ خَمَّارها قال: خُشْ[٢]

ـ خُشْ: كلمة فارسية تفسيرها: طَيِّب ـ.

فإن كنتَ رعيتَ لها عهداً، وحفظتَ لها عندَك يداً، فانظر ربَّ الحانوت فامطُلْهُ ديْنَه، واقطع السبب[٣] بينَك وبينَه، فقد أساء صُحبتَها، وأفسد بالماء حِسَّها، وسلط عليها عدُوَّها، واعلم بأن أباك المتمثّل بقوله: [الطويل]

يرى درجاتِ المَجْدِ لا يستطيعُها ... فيقعد وسْطَ القَوْمِ لا يَتَكَلَّمُ

وقد بسطتْ قدرتك لسانَك، وأكثرتْ لك الحمد، فدونك نُهزةَ[٤] البديهة منه:

[الطويل]

وبادرْ بمعروفٍ إذا كُنْتَ قادِراً ... زوالَ افْتِقارٍ أو غنىً عنك يُعقب

وقد بعثتُ إليك بقرَابة مع الرسول، وأنشأتُ في أثرها أقول:

إليك ابن موسى الجُود أَعْمَلْتُ ناقتي ... مجلَّلةً يَضْفُو عليها جِلالُها[٥]
كتومُ الوَحيِ لا تشتكي ألَمَ السُّرى ... سواء عليها موتُها واعْتِلالُها[٦]
إذا شَرِبَتْ أبصرتَ ما جوفُ بَطنها ... وإن ظَمِئَتْ لم يَبْدُ منها هُزالُها
وإن حَملتْ حِملاً تكلَفتُ حِملها ... وإن حُطَّ عنها لم أَقُلْ كيف حالُها؟
بَعَثْنا بها تسمو العيونُ وراءها ... إليك وما يُخشى عليها كَلالُها
وغنّى مُغنِّينا بصوتٍ فشاقني ... متى راجعٌ مِنْ أُمِّ عَمْرٍو خيالُها

(١) دبى النَّمل: أصغر ما يكون من الجراد، وهنا أصغر ما يكون من النمل.
(٢) فغمت ريحها: ملأت الخياشيم.
(٣) السبب: المودة، القرابة.
(٤) النهزَة: الفرصة.
(٥) مجلَّلة: لابسة جلها. وما يوضع على الدابّة لتصان به.
(٦) السُّرى: السير ليلاً.

أُحِبُّ لكم قيسَ بنَ عيلانَ كلَّها ... ويُعْجِبني فُرسانُها ورجالُها
وما لِيَ لا أهوَى بقاءَ قَبيلةٍ ... أبوكَ لها بَدْرٌ وأنت هلالُها

قال: فبعث إليه برسوله الذي حمل إليه النبيذ، واستملحه في شِعره، وبصاحب شرابه، وكل ما كان في خِزانته من الشَّراب وبثلاثمائة دينار.

[مساجلة حول جارية يقال مليحة]

أخبرني الأخفش عن المبرّد وسوَّار بن أبي شراعة جميعاً، أن أبا الفيَّاض سوار بن أبي شُراعة كان يهوَى قينةً بالبصرة يقال لها مَليحَة، فدُعِيتْ ذاتَ يوم إلى مجلس لم يكن حاضرَه، وحضر أبو عليٍّ البصير ذلك المجلس، فجمَّشها[1] بعضُ من حضر، فلم تلتَفِتْ إليه، وعرف أبو عليّ ذلك فكتب إلى أبي الفيَّاض: [الخفيف]

لك عندي بِشارةٌ فاسْتَمِعها ... وأجِبْني عنها أبا الفيَّاضِ
كُنْتُ في مَجْلسٍ مَليحةُ فيه ... وهي سُقْمُ الصِّحاحِ برءُ المِراضِ
وقديماً عهدتَني لستَ في حقِّـ ... ـكَ والذنبُ عنك ذا إغماضِ
فتغفَّلتُها تغفُّلَ خَصْم ... وتأمَّلتُها تأمُّل قاضِ
ورَمَتْها العُيونُ من كُلِّ أُفْقٍ ... وتشاكَوْا بالوَحْيِ والإيماضِ
مِنْ كُهولٍ وسادةٍ سُمَحاء ... باللُّها باخلينَ بالأعراضِ[2]
وصفاتُ القِيانِ أولُها الغد ... رُ عليهِ في وَصْلِهنَّ التَّراضي
فتشوّفتُ ذاكَ منها وأعدد ... تُ نكيري وسَوْرتي وامتِعاضي
فحمتْ جانبَ المُزاحِ وعمَّتهـ ... ـم جميعاً بالصَّد والإعراضِ
وكفاني وفاؤها لكَ حتَّى ... آذنَ اللَّيلُ جَمْعَهم بارفِضاضِ[3]

فأجابَه أبو الفيّاض: [الخفيف]

ليتَ شِعْري ماذا دَعاكَ إلى أن ... هجتَ شَوْقي وزدتَ في إمراضي؟
ذكرتْني بُشْراكَ داءً قديماً ... من سَقامٍ عَلَيَّ لا شكَّ قاضي
إنْ تَكُنْ أَحْسَنَتْ مليحةُ في وصْـ ... ـلي وعاصَتْ رِياضةَ الرُّوَّاضِ

---

(١) أي غازلها.

(٢) اللُّها: العطايا. والجمع لهوة، أو أفضل العطاء.

(٣) ارفضّ القوم: تفرقوا.

وأقـامـتْ عـلـى الـوفـاءِ ولـم تَـرْ عَ لـوحـيٍ مـنـهـم ولا إيـمـاضِ
فـعـلـى صـحَّـةِ الـوفـاءِ تـعـاقـدْ نـا وصـونِ الـنُّـفـوسِ والأعـراضِ
وعـلـيـنـا مِـنَ الـعـفـافِ ثِـيـابٌ هـنَّ أبـهـى من حـالـيـاتِ الرِّيـاض
لـيس حظِّي منها سِوَى النظر الخَتْـ ـل وإنـي بـه لـجـذلانُ راضِ[1]
لـحـظـاتٌ يَـقَـعْـنَ فـي سـاحـة الـقـلـ ـب وُقـوعَ الـسِّـهـامِ فـي الأغـراضِ
وابـتـسـامٌ كـالـبـرقِ أو هـو أخـفَـى بـيـن سِـتْـريْ تـحـرُّزٍ وانْـقِـبـاضِ
لا أخـافُ انـتـقـاضَـهـا آخـرَ الـدَّهْـ ـرِ بِـغَـدرٍ ولا تـخـافُ انـتـقـاضـي
فـأَبِـنْ لـي ألـسـتَ تَـحْـمَـدُ ذا الـ ـودِّ وقـاكَ الـرَّدى أبـو الـفـيـاضِ؟

قال أبو الفيَّاض: اتصل بأبي شُراعة أن أبا ناظرة السّدوسيّ يغتابه، وكان مع آل أبي سُفيان بن ثَوْر فقال يهجوهم: [الكامل]

لَـعَـنَ الإلـهُ بـنـي سَـدوسٍ كـلَّـهـمْ ورمَـى بـمـنـجـوفٍ وَريّـة قـاف[2]
قـد سَبَّنِي عُـضـروطـهـم فـسـبـبـتُـهـم ذنـبُ الـدَّنِـيءِ يُـنـاطُ بـالأشـراف[3]

قال أبو الفيَّاض: وكان بَيْن بعض بني عَمنا وبينَ أبي شُراعة وحشة، ثم صالحوه، ودعوه إلى طعامهم، فأَبَى، وقال: أمِثْلي يَخرجُ من صَوم إلى طُعم، ومن شَتيمة إلى وليمَة؟ وما لي ولكم مَثَلٌ إلا قول المُتَلَمِّس: [الطويل]

فـإن تُـقْـبِـلـوا بـالـوُدِّ نُـقـبـلْ بـمِـثـلـه وإلا فـإنـا نَـحْـنُ آبَـى وأشـمَـسُ[4]

وقال فيهم: [الوافر]

بـنـي سَـوَّارَ إن رثَّـتْ ثـيـابـي وكَـلَّ عَـنِ الـعـشـيـرةِ فَـضْـلُ مـالـي
فـمـطَّـرَحٌ ومـتـروكٌ كـلامـي وتـجـفُـونـي الأقـاربُ والـمـوالـي
ألـم أكُ مـن سَـراةِ بـنـي نُـعَـيـمٍ أَحـلُّ الـبـيـتَ ذا الـعَـمَـدِ الـطِّـوالِ
وحـولـي كُـلُّ أصـيـدَ تَـغْـلَـبـيٍّ أبـيُّ الـضَّـيْـم مُـشْـتَـرَكُ الـنـوالِ[5]

(١) النظر الختل: النظر من حيث لا يُشعر به.
(٢) المنجوف: السهم العريض. وقاف: اسم جبل.
(٣) العضروط: اللئيم.
(٤) أشمس: أكثر عصياناً وإباءً وشراسة.
(٥) الأصيد: كل ذي سلطان ونفوذ.

إذا حَضَرَ الغَداءُ فغيرُ مغنٍ ... ويُغني حين تَشتجرُ العوالي[1]
وأبقوني فلستُ بمستكينٍ ... لصاحبِ ثروةٍ أُخرى الليالي
ولا بِممسِّحِ المُثرينَ كيما ... أُمَسِّحَ من طعامِهمُ سِبالي
أنا ابنُ العنبريةِ أزَّرتني ... إزارَ المكرماتِ إزارَ خالي
فإنْ يَكُنِ الغِنَى مَجْداً فإني ... سأدعُو اللهَ بالرِّزْقِ الحَلالِ

صوت

[الطويل]

إذا أبصرتْكَ العَيْنُ من بُعد غايةٍ ... وأوْقعتُ شكّاً فيك أثبَتكَ القَلْبُ
ولو أن رَكْباً يمَّموكَ لقادَهم ... نسيمُك حتى يَسْتَدِلَّ بكَ الرَّكبُ

الشعر لعبدِ الله بنِ محمد بن البَوَّاب، والغنَاء لأحمد بن صَدَقة الطّنبوري، رَمَل مطلق في مجرى البِنصر في رواية الهشامي.

---

(١) تشتجر: يتداخل بعضها ببعض. والعوالي: جمع عالية: وهي النصف الذي يلي السّنان من القناة والمراد هنا: الرماح.

أخبار ابن البواب

[اسمه ونشأته]

هو عبد الله بن محمد بن عتاب بن إسحاق، من أهل بخارى[١]. وجّه بجَدّه وجماعة معه رهينة إلى الحجاج بن يوسف، فنزلوا عنده بواسط[٢]، فأقطَعهم سِكَّة[٣] بها، فاختطُّوها ونزلوها طولَ أيام بني أمية، ثم انقطعوا من الدولة العباسية إلى الربيع، فخدموه. وكان عبد الله بن محمد هذا يخلُفُ الفضلَ بن الربيع على حجبة الخلفاء، وكان أبوه محمد بن عتاب يخلُفُ الربيع في أيام أبي جعفر، وكان معه فرآه أبو جعفر مع أبيه، فسأله عنه فأخبره، فكساه قَباء خَزٍّ، وكساه تحتَه قباءَ كتَّان مرقوع القَبِّ، وقال له: هذا يَخْفَى تحت ذاك.

ذكر لي ذلك أحمد بن القاسم بن يوسف عن محمد بن عبد الله بن مُحمد البواب عن أبيه.

وكان عبد الله صالحَ الشعر قليلَه، وراوية لأخبار الخلفاء عالماً بأمورهم، روى عنه أبو زيد عُمَرُ بن شبَّة ونظراؤه، وقد مضت في هذا الكتاب وتأتي أخبار من روايته.

[أعطاه الأمين فمدحه]

قال أحمد بن القاسم اليوسُفيّ: حدثني محمد بن عبد الله البواب قال:

(١) بخارى: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلّها (معجم البلدان ١/٣٥٣).

(٢) واسط: اسم لعدة مواضع. (انظر معجم البلدان ٥/٣٤٧).

(٣) سكة: زقاق.

حدثني أبي قال: حجبت موسى وهارون خليفةً للفضلِ بن الربيع.

وخدم محمداً الأمينَ فأغناه وأعطَاه، ومدحه، ونال من المامون وعرَّض به، فأخبرني إسماعيل بن يوسف قال: حدّثني عبد الله بن أحمد الباهليّ قال: حدثني الحسين بن الضحّاك قال: لما أُتِي المأمون بشعر ابن البواب الذي يقول فيه:

صوت

[الطويل]

أَيبخَلُ فَرْدُ الحسنِ فردُ صفاتِهِ عَلَيَّ وقد أَفْرَدْتُهُ بهَوًى فَردِ!
رأى الله عبدَالله خَيْرَ عباده فملَّكَهُ والله أعْلَمُ بالعَبْدِ
ألا إنَّما المأمونُ للناسِ عِصمةٌ مُمَيَّزةٌ بين الضَّلالةِ والرُّشدِ

ـ لعلويه في هذه الأبيات رَمَل بالوسطى ـ.

قال: فقال المأمون: أليسَ هو القائل: [الطويل]

أعينيَّ جودا وابْكِيا لي محمَّدا ولا تذْخَرا دَمْعاً عليه وأَسْعِدا
فلا فرِحَ المأمونُ بالمُلْكِ بَعْدَهُ ولا زالَ في الدُّنيا طريداً مشرَّدا!

هيهات، وواحدةٌ بواحدة! ولم يَصِلْه بشيء.

هكذا روي عن الحُسَين بن الضحاك. وقد روي أن هذين الشعرين جميعاً للحسين، وأن قولَ المأمون هذا بعينه فيه.

[نسب إلى إسحاق شعراً ذميماً رديئاً]

وقال أحمد بن القاسم: حدثني جَزء بن قَطَن. وأخبرني بهذا الخبر الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق، قالا جميعاً: وقع بين إسحاق وبين ابن البواب شرٌّ فقال ابن البواب شعراً ذَميماً رَديئاً، ونسبه إلى إسحاق وأشاعه ليُعَيّره به وهو:

[الخفيف]

إنما أنتِ يا عنانُ سراجٌ زَيْتُهُ الظَّرفُ والفَتيلةُ عقلُ
قاده للشقاءِ مني فُؤادي رِجْل حُبٌّ لكم وللحبِّ رِجلُ
هَضَم اليوم حُبُّكم كُلَّ حُبٍّ في فؤادي فَصارَ حُبُّك فُجلُ

أنـت ريـحـانـةٌ وراحٌ ولـكـن كُـلُّ أنـثـى سـواكِ خَـلٌّ وبَـقـلُ

وقال حماد في خبره: وبلغ ذلك أبي فقال له: [الكامل]

الـشـعْـرُ قـد أَعْـيـا عَـلَـيْـكَ فَـخَـلِّـهِ وخُـذِ الـعَـصـا واقْـعُـدْ عَـلـى الأبـوابِ

فجاءَ ابنُ البواب إلى إبراهيم جدِّي فشكا أبي إليه فقال له: ما لك وله يا بُنيّ؟ فقال له أبي: تعَرَّضَ لي فأجبته، وإن كفَّ لم أرجع إلى مساءته. فَتَاركا.

[خبره مع جارية يهواها اسمها عبادة]

قال أحمد بن القاسم: أخبرني محمد بن الحسن بن الفضل قال: أخبرني إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحيم قال: كان بالكَرخ نخَّاس يُكْنى أبا عُمير، وكان له جوارٍ قيانٌ لهنّ ظَرف وأدب، وكان عبد الله بن محمد البواب يأْلف جارية منهنَّ يقال لها عبَّادة، ويكثر غِشْيان منزل أَبي عُمَيرٍ من أجلها، فضاق ضيقة شديدةً، فانقطع عن ذلك، وكره أن يقصّر عما كان يستعملُه من بِرّهم فتعلم بضيقته، ثم نازعته نفسُه إلى لقائها وزيارتها، وصعُبَ عليه الصبرُ عنها، فأتاه فأَصاب في منزله جماعةً ممن كان يأَلفُ جواريه، فرحّب به أبو عمير والجارية والقومُ جميعاً، واستبطأوا زيارته، وعاتبوه على تأَخره عنهم، فجعل يجمجم[1] في عذره، ولا يصرِّح، فأقام عندهم، فلما أخذ فيه النبيذُ أنشأ يقول: [الخفيف]

لـو تـشـكَّـى أبـو عُـمـيـر قـلـيـلاً لأَتَـيْـنـاهُ مِـنْ طَـريـقِ الـعِـيـادَهْ
فـقـضـيْـنـا مِـنَ الـعـيـادةِ حـقّـاً ونَـظَـرْنـا فـي مُـقْـلَـتَـيْ عـبَّـادَهْ

فقال له أبو عمير: ما لي ولك يا أخي؟ انظر في مُقلتي عبَّادة متى شئتَ غيرَ ممنوع، ودعْني أنا في عافية، لا تتمنَّ لي المرضَ لتعودَني.

وقال أحمد بن القاسم: كان عبد الله بن إسماعيل بن عليّ بن رَيْطة يألف ابن البواب ويعاشرُه، فشرب عندَه يوماً حتى سكر ونام، فلما أَفاق في السَّحَر أراد الانصراف، فحلَف عليه واحتبسه، وكان عبد الله يهوَى جارية له من جواري عَمرو ابن بانة، فبعث إلى عمرو بن بانة فدعاه وسأله إحضار الجارية، فأحضرها، وانتبه

(١) جمجم في كلامه: لم يبن كلامه.

عبد الله بن إسماعيل من نومه، وهو يَتململ خُمَاراً. فلما رآها نَشِط، وجلس فشرب، وتمّموا يومهم، فقال عبد الله بن محمد بن البواب في ذلك: [المديد]

وكريمِ المَجْدِ مَحْضٍ أبوه ... فهو الصَّفْوُ اللبابُ النُّضارُ
هاشميٌّ لِقُرومٍ إذا ما ... أظلمتْ أَوْجُهُ قومٍ أناروا
رَمَتِ القهوةُ بالنومِ وهْناً ... عَيْنَه فالجَفْنُ فيه انْكِسارُ
فهو من طَرفٍ يُفدِّيكَ طَوْراً ... ويُعاطيكَ اللواتي أداروا
ساعةً ثُمَّ انْثَنَى حِينَ دبَّتْ ... ومشتْ فيه السُّلافُ العُقَارُ
وأبتْ عَيْني اغْتِماضاً فلمَّا ... حانَ مِنْ أُخرى النُّجوم انحدَارُ
قلتُ: عبد الله حاذرتَ أمراً ... ليس يُغني خائفيه الحِذَارُ
فاسْتَوَى كالْهُنْدُوَنِيّ لمَّا ... أن رأى أنْ ليس يُغني الفِرارُ
قلتُ: خذْها مثلَ مصباحِ ليلٍ ... طُيِّرتْ في حافَتَيْهِ الشِّرارُ
أَقْبَلَتْ قَطْراً نِطافاً ولما ... يُتعب العاصرَ منها اعتصارُ
هي كالياقوتِ حمراءُ شِيبتْ ... وعَلا الحُمرةَ منها اصْفِرارُ
كالدنانيرِ جرى في ذُراها ... فِضةٌ فالحسنُ منها قُصارُ[1]
تُنطِقُ الخُرسَ وبالصَّمْتِ تَرمي ... مَعْشراً نُطْقاً إذا ما أحاروا

قال أحمد: وحدثني يعقوبُ بنُ العباس الهاشميّ أبو إسماعيل النقيب قال: لما طال سخط المأمون على ابن البواب قال قصيدة يمدحُه بها، ودسَّ من غنَّاه في بَعضها، لما وجد منه نشاطاً. فسأل: من قائلُها؟ فأُخبر به فرضِيَ عنه، وردّه إلى رسْمه من الخِدمة. وأنشدَني أبو إسماعيل القصيدة، وهيَ قوله: [المجتث]

[قصيدته في مدح المأمون]

هل للمُحِبِّ مُعِينُ ... إذ شَطَّ عنه القَرِينُ![2]
فليس يَبْكي لشَجْوِ الـ ... ـحزينِ إلاّ الحزينُ
يا ظاعناً غابَ عنَّا ... غَداةَ بانَ القَطينُ
أبكى العُيونَ وكانتْ ... به تَقَرُّ العُيونُ

---

(١) القصار: الغاية.
(٢) شطَّ: بعد.

يـا أيـهـا الـمَـأمُـونُ الـ ـمـبـارَكُ الـمَـيْـمُـونُ[1]
لـقـد صَـفَـتْ بـك دُنـيـا لـلـمُـسـلـمـيـنَ ودِيـنُ
عـلـيـكَ نُـورُ جـلالٍ ونُـورُ مُـلـكٍ مُـبـيـنُ
الـقـول مـنـكَ فِـعَـالٌ والـظَّـنُّ مـنـك يـقـيـنُ
مـا مـن يـديـكَ شِـمـالٌ كـلـتـا يَـدَيْـكَ يَـمـيـنُ
كـأنـمـا أنـتَ فـي الـجُـو دِ والـتُّـقـى هـارونُ
مـنَ نـالَ مِـنْ كُـلِّ فَـضْـلٍ مـا نـالـه الـمَـأمُـونُ!
تـألَّـفَ الـنـاسَ مـنـه فَـضْـلٌ وجُـودٌ ولـيـنُ
كـالـبَـدْرِ يَـبْـدو عـلـيـه سَـكِـيـنَـةٌ وسُـكُـونُ
فـالـرِّزْقُ مِـنْ راحَـتَـيْـهِ مـقـسَّـمٌ مَـضْـمـونُ
وكـل خَـصـلـةِ فَـضْـلٍ كـانـتْ، فَـمـنـه تَـكُـونُ

والأبيات التي فيها الغناء المذكور آنفاً أربعة أبيات، أنشدنيها الأخفش وهي قولُه: [الطويل]

أَفِقْ أيها القَلْبُ المُعَذَّبُ كم تَصبو فلا النأيُ عن سلماك يُسلِي ولا القرْبُ
أقولُ غَداةَ استخبَرت مِمَّ علتي مِنَ الحُبِّ كربٌ كربٌ ليس يشبهُهُ كَربُ
إذا أبصرتْك العينُ من بعد غايةٍ فأدخلتُ شَكّاً فيك أثبتَك القلبُ
ولو أن رَكباً يَمَّموكَ لقادَهم نَسيمُكَ حتى يَستدلَّ بكَ الرَّكبُ

فقال الأخفش: مثلُ هذا البيت الأخير قول الشاعر: [المنسرح]

واستَودعَتْ نشرَها الدِّيارُ فما تَزدادُ طِيباً إلا على القِدَم

أخبرني الحسنُ بن يحيى عن حماد بن إسحاق قال: رأيتُ محمد بن عبد الله البواب وقد جاء إلى أبي مسلماً فاحتبسه. ورأيته وهو شيخ كبير، وكان ضخماً طويلاً عظيمَ الساقين كأنهما دَنَّان، وكان يشدّ في ساقيه خرزاً أسود لئلا تصيبهما العينُ.

[مدح أبا دلف بعد أن أملق فوهبه مالاً]

وقال محمد بن القاسم: أملق عبدُالله بن محمد البواب حين جفاه الخليفة، وعلت سِنُّه عن الخِدمة، فرحل إلى أبي دلَف القاسم بن عيسى، ومدحه بقصيدة،

(١) الميمون: السعيد الحظ.

فوهب له ثلاثين ألفَ درهم، وعاد بها إلى بَغداد، فما نَفِدتْ حتى مات وهي قوله:

[الكامل]

طَرَقَتْكَ صائدةُ القُلُوبِ رَبابُ ... ونأَتْ فليس لها إليك مآبُ
وتصرَّمتْ منها العُهودُ وغُلِّقتْ ... مِنْ دُونِ نَيْلِ طِلابِها الأبوابُ
فَلأَصدِفنَّ عَنِ الهَوَى وطِلابِه ... فالحُبُّ فيه بَلِيَّةٌ وعذَابُ
وأَخصُّ بالمَدْحِ المُهَذَّبِ سيِّداً ... نفحاتُهُ للمُجْتدينَ رغابُ[1]
وإلى أبي دُلَفٍ رحلْتُ مطيّتي ... قد شفَّهاالإرقالُ والإتعابُ[2]
تعلو بنا قُلَلَ الجبالِ ودونَها ... مما هوتْ أهويَّة وشِعابُ[3]
فإذا حللتَ لدى الأمير بأرضِهِ ... نِلْتَ المُنى وتقضَّتِ الآرابُ[4]
مَلِكٌ تأثَّلَ عن أبيه وجدِّه ... مَجْداً يُقَصِّرُ دونه الطُّلابُ
وإذا وَزَنْتَ قَديمَ ذي حَسَبٍ به ... خَضَعَتْ لفضلِ قديمه الأحسابُ
قَوْمٌ علَوْا أملاكَ كلِّ قبيلةٍ ... فالناسُ كُلُّهُم لهم أذْنابُ
ضرَبَتْ عليه المكرماتُ قِبابَها ... فعلا العمودُ وطالَت الأطنابُ[5]
عَقِمَ النِّساءُ بِمِثْلِهِ وتعطَّلتْ ... من أنْ تُضَمَّنَ مِثْلَهُ الأصلابُ

صوت

[مجزوء الوافر]

صغيرُ هواكَ عذَّبني ... فكيف به إذا احْتُنِكَا[6]
وأنت جَمَعْتَ من قَلْبي ... هَوًى قد كان مشتَرَكا
وحبسُ هواكَ يَقْتُلُني ... وقَتْلي لا يَحلُّ لكا
أما تَرْثي لمكْتَئِبٍ ... إذا ضَحِكَ الخَلِيُّ بَكى

الشعر لمحمَّد بن عبد الملك الزيات والغِناءُ لأبي حشيشةَ رَمل بالوُسطى عن الهشاميّ.

---

(١) رغاب: واسعة.
(٢) الإرقال: ضرب من السير السريع.
(٣) القلل: جمع قلة وهي رأس الجبل. وأهويَة: الأرض المنخفضة. والشعاب: جمع شعب: الطريق الوعرة.
(٤) الآراب: جمع أرب، وهو الهدف والغاية.
(٥) الأطناب: جمع طنب. وهو حبل تربط به الأوتاد.
(٦) احتنك: بعلته التجارب وتقلّبات الدهر ذا حنكة أي حكيماً.

أخبار محمد بن عبد الملك الزَّيَّات ونسبه

[١٧٣ ـ ٢٣٣هـ/ ٧٨٩ـ ٨٤٧م]

[نسبه وصفاته]

هو محمد بن عبد الملك الزَّيَّات بن أبان بن أبي حمزة الزَّيَّات، وأصله من جَبُّل[١] ويكنى أبا جعفر. وكان أبوه تاجراً من تجار الكرْخ المياسير، فكان يحثُّه على التجارة وملازمتها، فيأبى إلا الكتابةَ وطلبَها، وقصد المعالي، حتى بلغَ منها أن وزر ثَلاثَ دفعات، وهو أوّل مَنْ تولى ذلك وتمَّ له.

أخبرني الأخفشُ عليُّ بن سليمان قال: حدثني عمرُ بن محمد بن عبد الملك قال: كان جدِّي موسراً من تجار الكَرخ، وكان يريد من أبي أن يَتعلّق بالتجارة، ويتشاغلَ بها، فيمتنع من ذلك ويلزم الأدبَ وطلبه، ويخالطُ الكُتّاب، ويلازم الدّواوين، فقال له ذات يوم: والله ما أرى ما أنت ملازمُه ينفعك؛ وليضُرَّنَّك؛ لأنك تَدَع عاجلَ المنفعة، وما أنت فيه مكفيٌّ، ولك ولأبيك فيه مال وجاه، وتطلب الآجلَ الذي لا تدري كيف تكون فيه. فقال: والله لتعلَمنَّ أيُّنا ينتفع بما هو فيه؛ أأنا أم أنت؟ ثم شخَصَ إلى الحسن بن سهل بفم الصِّلح[٢]، فامتدحه بقصيدته التي أولها:

كأنها حينَ تناءَى خَطْوُها أخْنَسُ مَوْشيُّ الشَّوَى يرعى القُلَلْ[٣]

فأعطاه عشرة آلاف درهم، فعاد بها إلى أبيه، فقال له أبوه: لا ألومك بعدها على ما أنتَ فيه.

---

(١) جبّل: قرية كبيرة تقع بين النعمانية وواسط. (معجم البلدان ٢/١٠٣).

(٢) فم الصلح: نهر كبير فوق واسط بينها وبين جبّل، عليه عدة قرى. (معجم البلدان ٤/٢٧٦).

(٣) الأخنس: الثور الوحشي. وموشيُّ الشَّوى: ملون الأطراف. والقُلل: أعالي الجبال.

أخبرني جحظة والصُّوليّ، قالا: حدثنا ميمون بن هارون: قال: لما مدح محمد بن عبد الملك الحسن بن سهل، ووصله بعشرة آلاف درهم مَثَلَ بين يديه وقال له: [البسيط]

لـم أمْـتَـدِحْـكَ رجـاءَ الـمـالِ أطـلُـبُـه ... لكنْ لتُلبِسَني التَّحجيلَ والغُررَا[1]

ولـيـس ذلـك إلا أنَّـنـي رَجُـلٌ ... لا أَطلبُ الوِرْدَ حتى أعرِفَ الصَّدَرَا

وكان محمد بن عبد الملك شاعراً مُجيداً، لا يقاس به أحد من الكتاب، وإن كان إبراهيم بن العباس مثله في ذلك، فإن إبراهيمَ مقلّ وصاحب قِصار ومقطَّعات، وكان محمدٌ شاعراً يُطيل فيجيد، ويأتي بالقصار فيجيد، وكان بليغاً حسَن اللفظ إذا تكلّم وإذا كتب.

[عدله وإنصافه الناس]

فحدثني عمي رَحمه الله قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال: جلس أبي يوماً للمظالم، فلما انقضى المجلس رأى رجلاً جالساً، فقال له: ألكَ حاجة؟ قال: نعم تُدنيني إليك؛ فإني مظلوم؛ فأدناه، فقال: إني مظلوم، وقد أعوزني الإنصاف، قال: ومن ظَلَمك؟ قال: أنتَ، ولست أَصل إليكَ، فأذكر حاجتي! قال: ومَنْ يحجبك عني وقد ترى مجلِسي مبذولاً؟ قال: يحجبني عنك هَيْبتي لك وطول لسانك؛ وفصاحَتُك، واطراد حُجتك، قال: ففيم ظلمتك؟ قال: ضَيعتي الفلانية أخذها وكيلك غَصْباً بغير ثَمن، فإذا وجب عليها خراجٌ أديته باسمي لئلا يثبتَ لك اسم بملكها، فيبطل مِلكي، فوكيلك يأُخذ غلَّتها، وأنا أُؤدي خراجها، وهذا مما لم يسمعْ في الظلم مثله، فقال محمد: هذا قولٌ تحتاج عليه إلى بَيِّنَةٍ وشهود وأشياء، فقال له الرجل: أيؤمنني الوزير من غضبه حتى أُجيبَ؟ قال: قد أَمَّنْتك، قال: البيّنة هم الشهود، وإذا شهدوا فليسَ يحتاج معهم إلى شيء، فما معنى قولك: بيّنة وشهود وأشيَاء، أيشِ هذه الأشيَاء إلا العيّ والحصر[2] والتغطرس؟[3] فضحك، وقَال: صدقتَ، والبلاء موكَّلٌ بالمنطق، وإني لأرى فيك

(١) لتلبسني التحجيل والغررا: يريد الشهرة.

(٢) العيّ: العجز عن الكلام. والحصر: العيّ في النطق.

(٣) التغطرس: التكبّر.

مصطَنَعاً، ثم وقَّع له بردّ ضَيعته وبأن يطلق له كُرٌّ حنطة[١] وكرّ شعير ومائة دينار يستعين بها على عمارة ضيعته، وصيَّره من أصحَابه، واصطَنَعه.

[هدّد ابراهيم بن المهدي بقصيدة يخاطب فيها المأمون]

أخبرني الصُّوليّ: قال: حدّثَني أحمد بن محمد الطالَقانِيّ[٢] قال: حدثني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك قال: لمّا وثب إبراهيم بن المهديّ على الخلافة، اقْترضَ من مياسير التُّجّارمالاً، فأخذ من جدّي عبد الملك عشرَة آلاف دِرهم، وقال له: أنا أردُّها إذا جاءني مال، ولم يتم أمرُه فاستخفَى، ثم ظهر وَرضيَ عنه المأمونُ، فطالبَه الناسُ بأموالهم، فقال: إنما أخذتُها للمُسلمين، وأردتُ قَضَاءها من فيئهم[٣]، والأمرُ الآن إلى غيري، فعمل أبي محمدُ بنُ عبد الملك قصيدَةً يخاطبُ فيها المأمون، ومضى بها إلى إبراهيم بن المهدي فأقرأه إياها وقال: والله لئن لم تُعطني المال الذي اقترضته من أبي لأُوصلنَّ هذه القصيدة إلى المأُمون، فخاف أن يقرأها المأمون، فيتدبَّر ما قاله، فيُوقع به، فقال له: خذ مني بعضَ المال، ونجِّم عليّ بعضه، ففعل أبي ذلك بعد أن حَلّفه إبراهيمُ بأوكد الأيمان ألاَّ يظهر القصيدة في حياة المأمون، فوفَّى له أبي بذلك، ووفَّى إبراهيم بأداء المال كله.

والقصيدة قوله: [الطويل]

أَلـم تَـرَ أن الـشَـيْءَ لـلـشـيءِ عـلَّـةٌ ... تـكـونُ لـه كـالـنـارِ تُـقـدَحُ بـالـزَّنـدِ
كـذلـك جـرّبْـتُ الأمـورَ وإنـمـا ... يـدُلُّك مـا قـد كـان قـبلُ عـلـى البَعْـد
وظـنّـي بـإبـراهـيـمَ أنّ مـكـانَـهُ ... سيُبعثُ يَوْماً مثلَ أَيامِهِ النُّكْدِ[٤]
رَأَيْت حُسَيْناً حين صارَ محمد ... بِـغَـيْـرِ أمـانٍ فـي يَـدَيْـهِ ولا عَـقـدِ
فلو كان أَمْضَى السَّيْفَ فيه بضربةٍ ... فَصَيَّرهُ بالقاعِ مُنْعفِر الخَدِّ[٥]
إذا لـم تَـكُـنْ لـلـجـنـدِ فـيـه بـقـيـةٌ ... فقد كان ما خُبِّرتُ مِنْ خبرِ الجُندِ

---

(١) الكُرّ: مكيال لأهل العراق وهو: أربعون إردباً.

(٢) الطالقاني: نسبة إلى طالقان وهما بلدتان إحداهما بخراسان بين مرو الروز وبلخ. والأُخرى بين قزوين وأبهر. (معجم البلدان ٤/٦).

(٣) الفيء: الغنيمة التي تنال من دون قتال.

(٤) النّكد: جمع أنكد، وهو المشؤوم.

(٥) منعفر الخدّ: متمرغ في التراب.

هُمُ قَتَلُوهُ بعد أن قَتلُوا له … ثَلاثينَ أَلْفاً من كُهولٍ ومن مُرْدِ
وما نَصَروهُ عن يَدٍ سلفَتْ له … ولا قَتَلُوهُ يوم ذلكَ عن حِقدِ
ولكنه الغَدْرُ الصُّراحُ وخِفةُ الـ … حُلوم وبعدُ الرأيِ عن سَنَن القَصدِ
فذلك يَوْمٌ كان للناسِ عبرةً … سَيَبْقى بقاءَ الوَحْي في الحَجرِ الصَّلدِ[1]
وما يَوْمُ إبراهيمَ إن طالَ عمرهُ … بأبعد في المَكْروهِ مِنْ يَوْمِهِ عِنْدي
تذكَّر أميرَ المؤمنينَ مقامَهُ … وأَيْمانَهُ في الهزلِ منه وفي الجَدِّ
أما والذي أمسيتَ عبداً خليفةً … له شرُّ أَيْمانِ الخليفةِ والعبدِ
إذا هزّ أعوادَ المنابرِ باسْتِهِ … تغنّى بليلَى أو بميَّةَ أو هِنْدِ
فوالله ما مِنْ تَوبةٍ نَزَعَتْ به … إليك ولا ميلٍ إليك ولا وُدِّ
ولكنَّ إخلاصَ الضَّميرِ مُقَرِّبٌ … إلى الله زُلْفى لا تَخيبُ ولا تُكدِي[2]
أتاكَ بها طَوْعاً إليكَ بأَنْفِهِ … على رغمه واسْتَأْثَرَ الله بالحَمْدِ
فلا تَتْرُكَنْ للناس مَوْضِعَ شُبهةٍ … فإنك مَجْزِيٌّ بحسْبِ الذي تُسدِي
فقد غَلِطوا للناسِ في نَصْبِ مثلِهِ … ومن ليسَ للمنصورِ بابنٍ ولا المهدي
فكيف بِمَنْ قد بايَعَ الناسَ والتقتْ … بِبَيْعَتِهِ الرُّكْبانُ غَوْراً إلى نَجدِ
ومن سكَّ تسليمُ الخلافةِ سَمْعَهُ … يُنادَى بهِ بينَ السِّماطَيْنِ مِنْ بُعدِ[3]
وأي امرِئٍ سمَّى بها قَطُّ نفسَهُ … ففارقها حتى يُغيَّبَ في اللَّحدِ
وتَزْعُمُ هذي النابتيّةُ أنَّه … إمامٌ لها فيما تُسِرُّ وما تُبدِي[4]
يَقُولونَ سُنِّيٌّ وأيّةُ سُنَّةٍ … تقومُ بجَوْنِ اللونِ صَعْلِ القفا جَعْدِ[5]
وقد جعلوا رُخْصَ الطَّعام بعَهدِهِ … زعيماً له باليُمنِ والكوكَبِ السَّعْدِ
إذا ما رأوا يوماً غلاءً رأيتَهم … يَحنُّونَ تَحناناً إلى ذلك العَهدِ
وإقباله في العِيدِ يُوجَفُ حولَهُ … وجيفَ الجيادِ واصطفاقَ القنا الجُرْدِ[6]
ورجّالةٍ يَمْشونَ بالبِيضِ قبله … وقد تَبِعُوهُ بالقضيبِ وبالبُرْدِ
فإن قلتَ قد رامَ الخلافةَ غيرُهُ … فلم يؤتَ فيما كان حاولَ من جَدِّ

---

(١) الوحي: الكتابة.
(٢) الزلفى: القربة. وأكدى: خاب.
(٣) سُكّ: سمعه أصيب بالصمم. والسماط: الصف.
(٤) النابتية: طائفة من الحشوية أحدثوا بدعاً غريبة في الإسلام.
(٥) الجون: الأسود أو الأبيض. وصَعل القفا: كناية عن لؤم الحسب. والجعد: البخيل.
(٦) يوجف حوله: يسرع والاصطفاق: الاهتزاز والتحرك.

فَلَمْ أجزهِ إذ خيَّبَ الله سَعْيَهُ | على خطإٍ إذ كان منه ولا عمْدِ
ولم أَرْضَ بعد العَفْوِ حتَّى رفعته | ولَلْعَمُّ أولى بالتَّعَهُّد والرِّفْدِ[1]
فليس سواءً خارجيٌّ رَمى به | إليكَ سفاهُ الرأي والرأيُ قد يُرْدي[2]
تعاوَتْ له مِنْ كُلِّ أَوْبٍ عِصابةٌ | متى يُورِدُوا لا يُصدرُوهُ عن الوِرْدِ[3]
ومَن هو في بيتِ الخلافةِ تَلْتقي | به وبك الآباءُ في ذِروةِ المَجْدِ
فمولاكَ مولاهُ وجندُك جندُه | وهل يَجْمَعُ القَيْنُ الحُسامينِ في غِمْدِ؟[4]
وقد رَابني مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ أنَّني | رأيتُ لهم وَجْداً به أيَّما وَجدِ
يَقُولُونَ لا تبعدْ مِن ابنِ مُلمَّةٍ | صبورٍ عليها النفسَ ذِي مِرَّة جَلْدِ
فدانا وهانتْ نفسُه دونَ مُلكنا | عليه لذي الحالِ التي قلَّ من يفدي
على حِينَ أعطى النَّاسَ صَفْقَ أكفِّهم | عَلِيُّ بنُ موسى بالوِلايةِ والعَهدِ
فما كان فينا مَنْ أَبَى الضَّيْمَ غيرُه | كريمٌ كفى ما في القبولِ وفي الرَّدِّ
وجرَّد إبراهيمُ للمَوْتِ نَفْسَهُ | وأبدى سلاحاً فَوْقَ ذي مَيعةٍ نَهْدِ[5]
وأبلى ومَنْ يَبْلُغْ مِنَ الأمْرِ جُهدَهُ | فليس بِمَذْموم وإن كانَ لم يُجْدِ
فهذي أمورٌ قد يخافُ ذَوُو النُّهى | مَغَبَّتَها والله يُهْدِيكَ للرشْدِ

[رأيه في يحيى بن خاقان]

أخبرني الصوليّ، قال: حدثني عبد الله بن الحسين القُطربُّليّ، عن جعفر بن محمد بن خَلَف قال: قال لي المعلّى بن أيوب: كيف كان محلُّ يحيى بن خاقان عند محمد بن عبد الملك ومقدارُه؟ فقلت له: سمعتُ محمداً يذكره، فقال: هو مهزولُ الألفاظ، عليلُ المعاني سخيف العقل، ضعيفُ العُقدة، واهي العزْم مأفونُ الرأي.

قال عبدُ الله: ولما تولى محمد بن عبد الملك الوزارة، اشترط ألاّ يلبس القَباء، وأن يلبس الدّرَّاعة ويتقلّدَ عليها سيفاً بحمائل، فأُجيب إلى ذلك.

(١) الرِّفد: العطاء.
(٢) يُردي: يميت.
(٣) أوب: ناحية.
(٤) القين: الحداد.
(٥) الميعة: أول جري الفرس. يريد: ذي نشاط. والنَّهد: الفرس الجسيم المشرف.

أخبرني الصوليّ، قال: حدَّثني أبو ذَكْوان، قال: حدثني طمَّاس قال: قال ميمونُ بنُ هارون: كان محمد بن عبد الملك يقول: الرَّحْمة خَوَرٌ[1] في الطبيعة، وضَعفٌ في المُنَّة، ما رحمتُ شيئاً قط. فكانوا يطعَنون عليه في دينه بهذا القول، فلما وُضع في الثِّقْل والحديد قال: ارحَموني، فقالوا له: وهل رحمتَ شيئاً قَطُّ فتُرحَم! هذه شهادتُكَ على نفسِك وحكْمُك عليها.

أخبرني الصوليّ: قال: حدثني أبو ذَكوان، قال: حدثني طماس، قال: جاء أبو دَنقش الحاجبُ إلى محمد بن عبد الملك برسالة من المعتصم ليحضُر، فدخل ليلْبَس ثيابه، ورأى ابن دنْقَش الحاجب غِلماناً لهم رُوقة[2] فقال ـ وهو يظنُّ أنه لا يسمع ـ: [الكامل]

وعلى اللواطِ فلا تلومَنْ كاتِباً ... إنَّ اللّواطَ سَجِيَّةُ الكُتّابِ

فقال محمد له: [الكامل]

وكما اللواطُ سَجِيةُ الكُتَّابِ ... فكذا الحُلاقُ سَجِيَّة الحُجَّابِ[3]

فاستحيا ابن دَنْقَش، واعتذرَ إليه، فقال له: إنما يقع العُذْر لو لم يقع الاقتصاص فأما وقد كافأتكَ فلا.

[رثاؤه أمَّ ابنه عمر]

أخبرني الصوليّ، قال: حدثني محمد بن موسى، قال: أنشدني الحسنُ بنُ وهب لمحمد بن عبد الملك أبياتاً، يرثي بها سكرانَةَ أمَّ ابنه عُمَر، وجعل الحسنُ يتعجب من جودتها، ويقول: [الطويل]

يَقُولُ ليَ الخِلاَّنُ لو زُرْتَ قَبْرَها ... فقلتُ: وهل غيرُ الفؤادِ لها قَبْرُ

على حينَ لم أحدُثْ فأجهلَ قدرَها ... ولم أَبْلُغِ السِّنَّ التي معها الصَّبْرُ

أخبرني محمد بن خَلَف وكيعٌ قال: حدَّثني عبد الرحمن بن سعيد الأزرقيّ، قال: استبطأ عبدُ الله بن طاهر محمدَ بن عبد الملك في بعض أموره، واتَّهمه بعدوله

---

(١) الخَوَرُ: الضعف.
(٢) الروقة: الجمال والحسن.
(٣) الحُلاق: الأُبنة. والسجيّة: الطبع.

عن شيء أراده إلى سواه، فكتب إليه محمد بن عبد الملك يعتذر من ذلك، وكتبَ في آخر كتابه يقول: [الوافر]

أَتَـزْعُـمُ أنـنـي أهـوَى خـلـيـلاً سِـواكَ عـلـى الـتـدانـي والـبِـعـادِ
جـحـدتُ إذاً مُـوالاتـي عـلـيّـاً وقـلـت بـأنـنـي مَـوْلـى زِيـادِ

قرأت في بعض الكتب: كان عبدُ الله بن الحسن الأصبهانيّ يخلُفُ عمرَو بنَ مَسعدة على ديوان الرسائل، فَكَتب إلى خالدِ بن يزيدَ بن مزيد: إن المعتصم أمير المؤمنين ينفخُ منك في غير فَحْم، ويخاطب امرأً غير ذي فهم. فقال محمد بن عبد الملك: هذا كلامٌ ساقط سخيف؛ جعل أميرَ المؤمنين ينفُخُ بالزِّق[1] كأنه حدَّاد، وأبطل الكِتاب ثم كتب محمد بن عبد الملك إلى عبد الله بن طاهر: وأنت تُجري أمرَك على الأربح فالأربح، والأرجح فالأرجح، لا تسعى بنقصان، ولا تميل برجحان، فقال عبدُ الله الأصبهانيّ: الحمد لله، قد أظهرَ من سخافة اللفظ ما دل على رجوعه إلى صناعته من التجارة بذكره ربح السِّلع، ورُجحان الميزان، ونُقصان الكيل، والخُسران من رأس المال. فضحك المعتصمُ، وقال: ما أسرع ما انتصف الأصبهانيّ من محمد! وحَقدها عليه ابن الزيَّات، حتى نكبه.

أخبرني الأخفشُ عن المبرِّد قال: نظر رجل كان يُعادَى يونس النحوي إليه وهو يُهادَى بين اثنين من الكِبَر، فقال له: يا أبا عبد الرحمن، أبلغْتَ ما أَرى؟ فعلم يُونس أنه قال له ذلك شامتاً، فقال: هذا الذي كنتُ أَرجو فلا بلغته، فأخذه محمدُ ابنُ عبد الملك الزيَّات: فجعله في شعر فقال:

وعـائـبٍ عـابَـنـي بِـشَـيْـبٍ لـم يـعْـدُ لـمَّـا ألـمَّ وقـتَـهْ
فـقـلـتُ إذ عـابـنـي بـشـيْـبـي: يـا عـائِـبَ الـشَّـيْـبِ لا بـلـغْـتَـهْ

[سُرق منديله فأنشد شعراً]

وذكر أبو مَروان الخُزاعيّ أن أبا دُهمان المغنِّيَ سَرَق من محمد بن عبد الملك منديلاً دَبَقِيّاً[2] فجعلَه تحتَ عِمامته. وبلغ محمداً، فقال فيه: [الرمل]

ونَـديـمٍ سـارقٍ خـاتَـلَـنـي وهـو عـنـدي غـيـرُ مَـذْمُـومِ الـخُـلُـقْ[3]

(١) الزّق: كير الحدّاد.
(٢) دبقيّاً: نسبة إلى دبيق. من قرى مصر، تنسب إليها الثياب الدَّبقية. انظر معجم البلدان ٢/ ٤٣٧.
(٣) خاتلني: خادعني.

ضاعَفَ الكَوْرَ على هامَتِهِ وطوى منديلَنا طَيَّ الخِرَقْ
يا أبا دُهمانَ لو جاملْتَنَا لكفيناكَ مُؤوناتِ السَّرَقْ

أخبرنا أبو مسلم محمد بن بَحر الأصبهاني، قال: كنتُ عند أبي الحسين بن أبي البغْل لما انصرف عن بَغداد بعد إشخاصه إليها للوزارة وبُطْلانِ ما نَذَره من ذلك ورجوعه، فجعل يحدّثُنا بخبره، ثم قال: لله درُّ محمد بن عبد الملك الزيَّات حيث يقول: [البسيط]

ما أعجبَ الشيءَ تَرْجُوهُ فتُحْرَمُهُ قد كنتُ أحسبُ أني قد ملأتُ يدي
ما لي إذَا غِبْتُ لم أُذكَرُ بصالحةٍ وإن مَرِضتُ فطالَ السُّقمُ لم أُعَدِ

[تبادل المدح مع عبد الله بن العباس]

أخبرني الصُّوليّ، قال: حدثني عون بن محمد الكنْديّ قال: حدثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع، قال: وصفَني محمدُ بن عبد الملك للمعتصم، وقال: ما له نظيرٌ في ملاحة الشعر والغِناء والعلم بأمورِ الملوكِ! فلقيتُه فشكرتُه، وقلت: جُعِلْتُ فِداءك! أتَصِف شِعري وأنت أشعرُ الناس؟ ألستَ القائلَ: [الوافر]

أَلَمْ تَعْجَبْ لِمُكْتَئِبٍ حَزينٍ خَدينِ صَبابةٍ وحليفِ صَبرِ[1]
يقولُ ـ إذا سألتَ به ـ: بخَيْرٍ وكيف يكون مهجورٌ بخَيْرِ؟

قال: وأين هذا من قولك؟ [المجتث]

يقولُ لي كيفَ أصبـ حتَ كيفَ يُصبحُ مِثلي

ماءٌ ولا كصدَّاء[2] ومرعى ولا كالسَّعْدان[3].

أخبرني الصُّوليّ، قال: حدَّثني عَون بنُ محمد قال: لقي الكنجيُّ محمد بن عبد الملك فسلَّم عليه فلم يجبه، فقال الكنجيّ: [البسيط]

هذا وأنت ابنُ زيَّاتٍ تُصغِّرنا فكيف لو كنتَ يا هذا ابن عطَّار؟

(١) الخدين: الصديق.
(٢) ماء صداء: ركية لم يكن عندهم ماء أعذب من مائها. (مجمع الأمثال، ٢/ ٣٠١).
(٣) السعدان: نبت من أنجع المراعي. يضرب مثلاً للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله. (مجمع الأمثال ٢/ ٢٩٩).

فبلغ ذلكَ محمداً: فقال: كيفَ يُنتصفُ من ساقط أحمق، وَضْعُه رَفْعُه، وعقابُه ثوابُه.

أخبرني الصُّوليّ، قال: أخبرني عبدُ الله بن محمد الأزديّ، قال: حدثني يعقوبُ بن التَّمار، قال: قال محمد بن عبد الملك لبعض أصحابه: ما أخَّرك عنا؟ قال: موتُ أُخي، قال: بأيّ علة؟ قال: عضَّتْ أصبعَه فأرة، فضربتْه الحُمْرة[1]، فقال محمد: ما يرد القيامةَ شهيدٌ أخسُّ سبباً، ولا أنذلُ قاتلاً، ولا أضيَعُ ميتةً، ولا أظرفُ قِتلة من أخيك.

[أحمد بن أبي دُواد يحرّض الشعراء على هجائه]

أخبرني عمي عن أبي العَيناء، قال: كان محمد بن عبد الملك يُعادي أحمدَ بن أبي دوَاد، ويهجوه، فكان أحمدُ يجمع الشعراء، ويُحرّضهم على هجائه ويَصلُهم، ثم قال فيه أحمد بيتين، كانا أجودَ ما هُجيَ به، وهما: [السريع]

أحسن من خمسينَ بَيْتاً سُدًى ... جَمْعُكَ إيَّاهُنَّ في بيت
ما أحْوَجَ النَّاسَ إلى مَطْرةٍ ... تُذْهِبُ عنهم وَضَرَ الزَّيْت[2]

وكان ابن أبي دوَاد يقول: ليس أَحدٌ من العرب إلا وهو يقدرُ على قول الشعر، طبعٌ رُكِّب فيهم، قَلّ قولُه أو كثُر.

[قصيدة أبي تمام في مدحه]

أخبرنا الصَّوليّ، قال: حدثنا محمدُ بن موسى عن الْحَسَن بن وَهْب، قال: أَنشد أبو تمام محمد بن عبد الملك قصيدَته التي يقول فيها:

لهان علينا أن نقولَ وتفعلا

فأثابه عليها ووقَّع عليه: [الطويل]

رَأَيْتُكَ سَهْلَ البيعِ سَمْحاً وإنما ... يُغالَى إذا ما ضَنَّ بالشيءِ بائعُهْ
فأما الذي هانتْ بضائعُ بيعِهِ ... فيُوشك أن تَبقى عليه بضائعُهْ

---

(١) الحُمْرة: مرض وبائيّ يسبب حُمّى وبقعاً حمراء في الجلد.

(٢) الوضر: دسم الزيت ووسخه.

هـو الـمـاءُ إن أجـمَـمْـتَـهُ طـابَ وِردُهُ ... ويُـفـسِـدُ مـنـه أن تـبـاحَ شـرائـعُـهْ

فأجابه أبو تمام وقال: [الطويل]

أبـا جعفـر إن كنْتُ أصبحتُ شاعراً ... أُسـامِحُ فـي بـيـعـي لـه مـن أُبـايـعُـهْ

فـقـد كـنـتَ قـبـلـي شـاعـراً تـاجـراً بـه ... تُـسـاهـلُ مـن عـادتْ عـلـيـك مـنـافـعُـهْ

فـصـرتَ وزيـراً والـوزارةُ مَـكْـرَعٌ ... يـغَـصُّ بـه بـعـدَ الـلـذاذةِ كـارعُـهْ

وكـمْ مِـنْ وزيـرٍ قـد رَأَيْـنـا مُـسـلَّـطـاً ... فـعـاد وقـد سُـدَّتْ عـلـيـه مـطـالـعُـهْ

ولله قَـوْسٌ لاَ تـطـيـشُ سِـهـامُـهـا ... ولله سَـيْـفٌ لا تُـفَـلُّ مـقـاطـعُـهْ

حدثني الصُّوليّ، قال: حدثني محمدُ بن يحيى بن عباد، قال: حدثني أبي، قال: حجّ محمد بن عبد الملك في آخر أيام المأمون، فلما قَدِم كتب إليه راشدٌ الكاتبُ قولَه: [المُنسرح]

لا تَـنْـسَ عَـهْـدي ولا مـودَّتِـيَـهْ ... واشْـتَـقْ إلـى طَـلْـعـتـي ورُؤيـتـيـهْ

إنْ غِـبْـتَ عـنـا فـلـم تَـغِـبْ كـثـرةُ الـ ... ـذِّكْـرِ فـلا تَـغْـفُـلَـن هـديَّـتـيـهْ

الـتَّـمـر والـنـقـل والـمـساويك والقسـ ... ـب وخـيـر الـنـعـالِ حـسـن شِـيَـهْ[1]

فـإن تـجـاوزتَ مـا أَقـولُ إلـى الـعَـصْـ ... ـبِ فـذاك الـمَـأْمـولُ مـنـك لِـيَـهْ[2]

[ردّه على راشد الكاتب]

فأجابه محمدُ بن عبد الملك: [المنسرح]

إنـك مِـنّـي بـحـيـثُ يـطَّـردُ الـنـاظـ ... ـرُ مـن تـحـت مـاءِ دَمْـعَـتِـيَـهْ

ولا ومَـن زادنـي تـوَدُّدُه ... عـلـى صِـحـابـي بِـفَـضْـلِ غَـيْـبَـتِـيَـهْ

مـا أَحْـسَـنَ الـتَّـرْكَ والـخـلافَ لـمـا ... تُـريـدُ مـنـي ومـا تـقـولُ لِـيَـهْ

يـا بـأبـي أنـتَ مـا نَـسِـيـتُـكَ فـي ... يـوم دُعـائـي ولا هَـدِيَّـتِـيَـهْ

نـاجـيـتُ بـالـذِّكْـرِ والـدُّعـاءِ لـك الـلّـ ... ـه لـدى الـبَـيْـتِ رافـعـاً يَـدَيَـهْ

حـتـى إذاً مـا ظـنـنـتُ بـالـمـلـكِ الـقـ ... ـادرِ أن قـد أجـابَ دَعْـوَتِـيَـهْ

قُـمْـتُ إلـى مَـوْضِـع الـنِّـعـالِ وقـدْ ... أَقَـمْـتُ عِـشْـريـنَ صـاحـبـاً مَـعِـيَـهْ

وقُـلْـتُ لـي صـاحـبٌ أريـد لـه ... نَـعْـلاً ولـو مـن جُـلـودِ راحَـتِـيَـهْ

(١) القسب: تمر يابس يتفتت في الفم.

(٢) العَصب: نوع من الثياب.

فـانْـقَـطَـعَ الـقَـوْلُ عـنـد واحـدةٍ قـال الـذي اخـتـارَ يـا بِـشَـارَتِـيَـهْ
فقلتُ عندي لك البشارةُ والشُّكـ ـرُ وقَـلاً فـي جَـنـبِ حـاجَـتِـيَـه
ثُـمَّ تَـخَـيَّـرْتُ بـعـد ذاك مـن الْـعَـصْـ ـبِ الـيـمَـانـي بِـفَـضْـلِ خِـبْـرَتِـيَـهْ
مَـوْشِـيّـةً لـم أزلْ بـبـائـعـهـا أرغِـبُ حـتـى زَهَـا عَـلَـيَّ بِـيَـهْ
يَـرْفـعْ فـي سَـوْمِـهِ وأُرغِـبُـه حـتـى الْـتَـقَـى زهـدُه ورَغْـبَـتِـيَـهْ
وقـد أتـاكَ الـذي أمـرتَ بـه فـاعـذِرْ بـكـثـرِ الإنـعـامِ قِـلَّـتِـيَـهْ

[رثى برذونه بعد أن أخذه المعتصم منه]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمدُ بنُ يزيد المبرِّد، قال: كان لمحمد بن عبد الملك برذونٌ أشهب لم يُرَ مثلُه فراهةً[1] وحسناً، فسعى به محمدُ بن خالد حيْلَويه إلى المعتصم، ووصف له فراهته، فبعث المعتصم إليه فأخذه منه، فقال محمد بن عبد الملك يَرثيه: [الكامل]

كيف الـعَزاءُ وقد مضى لسبيلهِ عنـا فـودَّعـنـا الأحـمُّ الأشـهـبُ![2]
دبَّ الـوشـاةُ فـأبـعـدوك ورُبَّـمـا بَـعُـدَ الـفـتـى وهـو الأَحَـبُّ الأقـربُ
لله يـومَ نَـأَيْـتَ عـنِّـي ظـاعِـنـاً وسُلبتُ قُرْبَكَ أيَّ عِلْقٍ أُسلَبُ[3]
نـفـسٌ مـفـرَّقـةٌ أقـامَ فـريـقُـهـا ومـضـى لِـطِـيَّـتِـهِ فـريـقٌ يُـجـنَـبُ
فـالآنَ إذ كـمُـلـت أداتُـك كـلُّـهـا ودعـا الـعـيـونَ إلـيـك لـونٌ مـعـجـبُ
واختيـرَ مِـنْ سِرِّ الحدائـدِ خَيْـرُها لـك خـالـصاً ومن الـحُـلِـيّ الأغـرَبُ
وغـدَوتَ طَـنّـانَ الـلـجـام كـأنـمـا في كُلِّ عُضْوٍ منك صَنْجٌ يُضرَبُ
وكـأنّ سَـرْجَـكَ إذ عـلاكَ غَـمـامـةٌ وكـأنـمـا تـحـت الـغـمـامـةِ كَـوكَـبُ
ورأى عَـلَـيَّ بـك الـصَّـديـقُ جـلالـةً وغـدا الـعـدوُّ وصـدرُهُ يـتـلـهَّـبُ
أنـسـاكَ لا زالـت إذاً مـنـسـيَّـةً نـفـسِـي ولا زالـت يَـمـيـنـي تُـنْـكَـبُ
أضمرتُ منك اليَأْسَ حين رأيتُني وقُـوَى حـبـالـي مـن قُـواكَ تـقـضَّـبُ
ورَجَعْتُ حين رَجَعْتُ منكَ بِحَسْرَةٍ لله مـا فَـعَـلَ الأصـمُّ الأشـيـبُ[4]

---

(١) فراهة: نشاط.

(٢) الأحمّ الأشهب: الذي خالط شعر رأسه الأسود بياض.

(٣) العِلْق: الشيء النفيس الذي يتعلق به القلب.

(٤) الأصمّ الأشيب: المراد ذم محمد بن خالد.

أخبرني محمدُ بنُ خلف بن المرزُبان ـ رضوانُ الله عليه ـ قال: حدثني محمدُ ابنُ ناصح رحمةُ الله عليه، قال: لحقتْ غلاَّتِ أهلِ البَتِّ[1] آفةٌ في أيام محمد بن عبد الملك من جَراد وعَطَش، فتظلَّم إليه جماعة منهم، فوجّه ببعض أصحابه ناظراً في أمرهم، وكان في بصرهِ ضَعْف، فكتب إليه محمد بن عليّ البَتّي: [السريع]

أَتَـيْـتَ أمـراً يـا أبـا جـعـفـرٍ ... لـم يَـأْتِـهِ بَـرٌّ ولا فـاجِـرُ
أغـشـتَ أَهْـلَ الـبـتِّ إذ أُهـلِـكـوا ... بـنـاظـرٍ لـيـس لـه نـاظِـرُ

فبلغه، فضحِك وردّ الناظرَ ووقَّع لهم بما سألوا بغير نَظر.

[مساجلة بينه وبين علي بن جبلة]

أخبرني الصوليّ رضي الله عنه قال: حدثني محمدُ بن يحيى بن أبي عبَّاد عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال عليّ بن جَبَلة يهجو محمد بن عبد الملك الزيّات، وكان قد قصد أبا دُلَفَ القاسم بن عيسى في بعض أمره: [البسيط]

يـا بـائـعَ الـزَّيْـتِ عـرِّج غـيـرَ مـرمـوقِ ... لـتُـشـغـلَـنَّ عَـنِ الأرطـالِ والـسُّـوقِ
مَـنْ رامَ شَـتْـمَـكَ لـم يَـنْـزِعْ إلـى كَـذبٍ ... فـي مـنـتـمـاكَ وأَبْـداه بِـتَـحْـقِـيـق
أبـوك عـبـدٌ ولـلأمِّ الـتـي فـلـقـت ... عَـنْ أُمِّ رأْسِـكَ هَـنٌ غـيـرُ مـحـلـوقِ[2]
إن أنـتَ عـدَّدْتَ أَصْـلاً لا تُـسَـبُّ بـه ... يـومـاً فـأُمُّـك مـنـي ذَاتُ تـطـلـيـقِ
ولـن تـطـيـقَ بـحـولٍ أن تُـزيـلَ شَـجـاً ... أثـبـتُّـه مـنـك فـي مـسـتـنـزَلِ الـرِّيـق
الله أنـشـاك مـن نَـوْكٍ ومـن كَـذِب ... لا تـعـطـفـنَّ إلـى لـؤم لـمـخـلـوقِ[3]
مـاذا يَـقُـولُ امـرؤٌ غـشَّـاكَ مِـدْحَـتَـهُ ... إلا ابـنُ زانـيـةٍ أو فَـرخُ زِنـديـقِ؟

فأجابه محمد: [البسيط]

اشـمـخْ بـأنـفـك يـاذا الـسَّـيِّـىء الأدبِ ... ما شئتَ واضرب قذال الأرض بالذنَب
وارْفَـعْ بِـصَـوْتِـكَ تَـدْعُـو مَـن بذي عَـدَنٍ ... ومَن بِقالي قَلا بالويلِ والْحَرَبِ[4]
مـا أنـتَ إلا امـرؤٌ أعـطـى بـلاغَـتَـهُ ... فَضْلَ العِذارِ ولـم يَرْبعْ عَلَى أدبِ[5]

---

(١) البتّ: قرية من أعمال بغداد قريبة من راذان. معجم البلدان ١/ ٣٣٤.
(٢) الهنّ: متاع المرأة.
(٣) النوك: الغباء.
(٤) قالي قلا: مدينة بأرمينية من نواحي خلاط. معجم البلدان ٤/ ٢٩٩.
(٥) يربع: يقف، ينتظر.

فاجْمَحْ لَعَلَّكَ يَوْماً أن تعضَّ على ... لُجُم دِلاصِيَّةٍ تَثنيكَ من كَثبِ[١]
إنِّي اعْتَذَرْتُ فما أحسنتَ تسمعُ من ... عُذري ومن قبلُ ما أحسنتَ في الطَّلَبِ
صَبْراً أبا دُلَفٍ في كُلِّ قافيةٍ ... كالقِدْر وَقْفاً على الجاراتِ بالعُقَبِ[٢]
يا ربّ إن كان ما أنشأتَ من عرَبِ ... شَرْوى أبي دُلَفٍ فاسخَطْ على العربِ[٣]
إنّ التعصُّبَ أبدى منك داهيَةً ... كانَتْ تُحَجَّبُ دونَ الوهمِ بالحُجُبِ

فأجابه علي بن جَبَلة: [البسيط]

نبَّهتَ عن سِنَةٍ عينيكَ فاصْطَبِرِ ... واسْحَبْ بِذَيْلِكَ هل تَقْفُو عَلَى أثرِ[٤]
إن يَرحَضِ الله عني عارَ مُطَّلَبي ... إليكَ رِفداً ألا فانجِد به وغُرِ
إني ودعواكَ أن تأتي بمكرُمةٍ ... كمُنبضِ القوْسِ عن سَهمٍ بلا وتَرِ
فاردد جفُونَك حَسْرَى عن أبي دُلَفٍ ... ولا ملامَةَ أن تغْشَى عنِ القَمرِ
لا يَسْخطنَّ امرؤٌ إن ذلّ من حَسبٍ ... فالله أنْزَلَهُ في مُحْكمِ السُّوَرِ
لم آتِ سَوْءاً ولم أسخَطْ عَلَى أحدٍ ... إلاّ عَلَى طَلَبي في مُجْتدَى عَسِرِ[٥]
أَقصِرْ أبا جعفرٍ عن سَطْوَةٍ جمحَت ... إن لم تُقصِّرْ بها مالتْ إلى القِصَرِ

فأجابه محمدُ بنُ عبد الملك: [المنسرح]

يا أيُّها العائبي ولم يَرَ لي ... عَيْباً أما تنتهي فتزدجِرُ!
هل لكَ وترٌ لديَّ تَطْلُبُهُ ... فأنت صَلدٌ ما فيك معتَصَرُ[٦]
فالحَمْدُ والمَجْدُ والثناءُ لنا ... وللحَسُودِ التُرابُ والحَجَرُ

وهي طويلة يقول فيها:

تَعِيشُ فينا ولا تلائِمُنا ... كما تَعِيشُ الحَميرُ والبقَرُ
تُغلي علينا الأشعار منكَ وما ... عندكَ نَفْعٌ يُرجَى ولا ضَرَرُ

أخبرني عمي ـ رحمه الله ـ قال: حدّثني عمرُ بنُ نصر الكاتب، قال: حدثني

---

(١) لجمٌ دلاصيّة: ملساء برّاقة.
(٢) العقب: جمع عقبة: أي شيء من المرق يردّ في القدر المستعارة.
(٣) شروى: مثل.
(٤) سنة: نوم. وتقفو: تمحو.
(٥) المجتدى: السؤال. والمراد هنا أنه سؤال صعب النوال.
(٦) الصلدُ: الصخر الصلب.

عمي عليّ بن الحسن بن عبد الأعلى، قال محمد: اجتاز بديعٌ غلامُ عُمير المأمونيّ بمحمد بن عبد الملك الزيَّات، وكان أحسنَ خلق الله وجهاً، وكانَ مُحمَّد يحبُّه ويُجنُّ به جنوناً فقال: [السريع]

راحَ علينا راكباً طِرفَهُ أَغْيَدُ مثلُ الرَّشأ الآنسِ
قد لَبِس القُرطُقَ واستمسكَتْ كفّاهُ من ذي بُرَقٍ يابِسِ[1]
وقُلِّدَ السَّيفَ على غُنْجِهِ كأنهُ في وقعةِ الدّاحِسِ
أقولُ لمَّا أنْ أبدا مُقبِلاً يا ليتني فارسُ ذا الفارسِ

أخبرني الأخفشُ، قال: حدثني محمدُ بن يزيد قال: دامت الأمطارُ بسُرَّ مَنْ رأى، فتأخّر الحسن بن وهب عن محمد بن عبد الملك الزيات، وهو يومئذ وزيرٌ، والحسن يكتبُ له، فاستبطأه محمد بن عبد الملك، فكتب إليه الحسنُ يقول: [الخفيف]

أوجبَ العذرَ في تراخي اللقاءِ ما توالَى مِنْ هذه الأنْواءِ[2]
لستُ أدري ماذا أقولُ وأشكو من سماءٍ تعوقُني عن سماءِ
غير أَني أدعو على تلكَ بالثُّكْـ ـلِ وأدعو لهذه بالبقاءِ
فسلامُ الإلهِ أُهدِيهِ غضّاً لكَ منِّي يا سيِّدَ الوُزَراء

[مساجلة بينه وبين الحسن بن وهب]

أخبرني الصُّوليّ، قال: حدثنا محمدُ بنُ موسى، قال: اعتلّ الحسنُ بن وهب، فتأخّر عن محمد بن عبد الملك أياماً كثيرةً، فلم يأته رسولُه، ولا تعرَّف خبره، فكتب إليه الحسنُ قوله: [الخفيف]

أيُّهذا الوزيرُ أيَّدَكَ اللـ ـهُ وأبْقاكَ لي بَقاءً طويلا
أجميلاً تَراهُ يا أكرم النا سِ لكيما أراه أيضاً جميلا
إنني قد أقمتُ عَشراً عليلاً ما تَرَى مرسِلاً إلَيَّ رسولا
إنْ يَكُنْ موجبُ التعمّدِ في الصِّحّـ ـةِ مَنّاً عَلَيَّ منكَ طويلا
فهو أولى يا سَيِّدَ الناسِ بِرّاً وافتقاداً لمَنْ يَكونُ عليلا
فلماذا تركتَني عُرضةَ الظَّنِّ من الحاسدينَ جِيلاً فجِيلا؟
ألِذَنْبٍ فما عَلِمْتُ سِوَى الشكْـ ـرِ قريناً لنيَّتي ودَخيلا؟

---

(١) القرطق: القباء، وهو ثوب يلبس فوق الثياب.
(٢) الأنواء: الأمطار.

أم مـلالٍ، فـمـا عـلِـمْـتُـكَ لـلـصـا ... حبِ مثلي عـلـى الـزمـان مَـلـولا؟
قـد أتـى اللهُ بـالـشـفـاءِ فـمـا أعْـ ... ـرِفُ مـمـا أَنْـكَـرْتَ إلا قـلـيـلا
وأكـلـتُ الـدُّرّاجَ وهـو غِـذَاءٌ ... أَفَـلَـتْ عـلَّـتـي عـلـيـه أُفـولا[١]
بعد ما كنتُ قد حَمَلْتُ من العلَّـ ... ـةِ عِبئاً عـلـى الـطِّـبـاعِ ثَـقـيـلا
ولـعـلِّـي قَـدمـتُ قـبـلَـك آتـيـ ... ـكَ غَـداً إن وجـدتُ فـيـه سَـبـيـلا

فأجابَهُ محمدُ بنُ عبد الملك: [الخفيف]

دفـع اللهُ عـنـكَ نـائـبـةَ الـدَّهـ ... ـرِ وحـاشـاكَ أن تـكـونَ عَـلـيـلا
أُشْـهِـدُ اللهَ مـا عـلـمـتُ ومـاذا ... كَ مـن الـعُـذرِ جـائـزاً مـقـبـولا
ولـعَـمـري أن لَـو عَـلِـمْـتُ فـلازمـتُـ ... ـكَ حَـوْلاً لـكـان عِـنـدِي قَـلـيـلا
إنـنـي أرتَـجـي وإن لـم يَـكُـنْ مـا ... كـان مـمـا نَـقَـمْـتُ إلا جـلـيـلا
أَن أكـونَ الـذي إذا أَضْـمَـرَ الإخـ ... ـلاصَ لـم يَـلْـتَـمِـسْ عـلـيـه كَـفـيـلا
ثـم لا يَـبْـذُلُ الـمـودَّةَ حـتـى ... يَـجْـعَـلَ الـجـهـدَ دُونـهـا مَـبـذولا
فـإذا قـالَ كـانَ مـا قـال إذْ كـا ... نَ بـعـيـداً مـن طَـبْـعِـهِ أن يَـقـولا
فـاجْـعَـلَـنْ لـي إلى الـتـعلُّـقِ بـالـعُـذْ ... رِ سَـبـيـلاً إن لـم أَجـدْ لـي سَـبـيـلا
فـقـديـمـاً مـا جـادَ بـالـصَّـفْـحِ والـعـفْـ ... ـوِ ومـا سـامـحَ الـخَـلـيـلُ الـخَـلـيـلاَ

قال: وكتبَ محمدُ بن عبد الملك إلى الحَسَن بن وهْب وقد تأخّر عنه:

[البسيط]

قـالـوا حـفـاكَ فـلا عَـهْـدٌ ولا خـبَـرٌ ... مـاذا تـراه دَهـاهُ قُـلْـتُ: أَيْـلـولُ
شَـهْـرٌ تُـجَذُّ حِـبـالُ الـوَصْـلِ فـيـه فـمـا ... عَـقْـدٌ من الـوَصْـلِ إلا وهْـو مَـحْـلـولُ[٢]

قال: وكان محمد قد ندبه لأن يخرجَ في أمر مُهمّ فأجابه الحسَنُ فقال:

إنـي بِـحَـوْلِ امْـرِئٍ أَعـلـيـتَ رُتـبـتَـه ... فـحـظُّـهُ مـنـكَ تَـعْـظـيـمٌ وتَـبْـجـيـلُ
وأنـت عُـدّتـه فـي نَـيـلِ هِـمَّـتِـهِ ... وأنـت فـي كـلِّ مـا يِـهْـواهُ مـأمـولُ
مـا غـالـنـي عـنـكَ أَيـلـولٌ بـلـذَّتِـهِ ... وطِـيـبِـهِ ولَـنِـعْـمَ الـشـهـرُ أَيـلـولُ
الـلـيـلُ لا قِـصَـرٌ فـيـه ولا طـولٌ ... والـجَـوُّ صـافٍ وظَـهْـرُ الـكأسِ مَـرحـولُ

---

(١) الدراج: ضرب من الطير يشبه الحجل أو أكبر منه أرقط بسواد وبياض، قصير المنقار وهو مشهور بالعراق.

(٢) تُجَذُّ: تنقطع.

والعُودُ مستنطَقٌ عن كُلِّ معجِبةٍ يُضحي بها كلُّ قَلْبٍ وهو مَتْبولُ
لكن توقّعُ وشْك البينِ عن بَلَدٍ تحلُّهُ فوكاءُ العينِ مَحْلولُ
ما لي إذا شمَّرتْ بي عنك مبتَكِراً دُهمُ البِغالِ أو الهوجُ المراسيلُ[1]
إلا رعاياتُك اللاتي يعودُ بها حدُّ الحوادثِ عنّي وهو مفلولُ

قال: وكان الحسن بن وهب يساير محمداً على مُسَنَّاة، فعدل عن[2] المسنّاة لئلا يضيق لمحمد الطريقُ، فظنّ محمد أنه أشفقَ على نفسه من المسنّاة، فعدل عنها ولم يساعده على طريقه، وظنَّ بنفسه أن يصيبَها ما يصيبه، فقال له محمد: [الخفيف]

قد رأيناك إذ تركتَ المُسنّا ةَ وحاذَيْتَني يَسارَ الطريق
ولعمري ما ذاكَ منكَ وقد جدَّ بك الجِدُّ من فِعالِ الشَّفيقِ

فقال له الحسَنُ: [الخفيف]

إن يَكُنْ خَوفي الحُتُوفَ أراني أن تراني مشبَّهاً بالعَقُوقِ[3]
فلقد جارتِ الظّنونُ على المُشْـ فقِ والظَّنُّ مولعٌ بالشفيقِ
غرَّر السيدُ الأجلُّ وقد سا رَ على الحَرْفِ مِنْ يَمينِ الطَّريقِ
فأخذتُ الشِّمالَ بُقيا عَلى السيـ ـد إذ هالني سُلوكُ المَضيقِ
إنّ عندي مودَّةً لك حازتْ ما حوى عاشقٌ من المَعشوقِ
طودُ عزّ خصصتُ منه ببِرٍّ صار قَدْري به مع العَيُّوقِ
وبنفسي وإخوتي وأبي البـ ـرّ وعَمّي وأسرتي وصَديقي
من إذا ما رُوِّعتُ أمَّن رَوْعي وإذا ما شَرِقْتُ سوَّغ رِيقي

أَخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش والصوليّ، قالا: حدثنا المبرِّد، قال: استسقى الحسنُ بن وهب من محمد بن عبد الملك نبيذاً ببلد الروم، وهو مع المعْتصِم فسقاه وكتب إليه: [مجزوء الكامل]

لم تَلْقَ مِثلي صاحباً أندى يداً وأعمَّ جودَا
يسقي النديمَ بقَفرةٍ لم يَسْقِ فيها الماءُ عُودَا
صفراءَ صافيةً كأنّ بكأسها دُرّاً نَضيدَا

(١) الهوج: جمع هوجاء، وهي الناقة المسرعة. والمراسيل: جمع مرسال وهي السهلة السير.
(٢) المسناة: سد يعترض سيل الماء أو النهر.
(٣) العَقُوق: الذي يستخفّ بوالديه ولا يحسن إليهما.

وأجـــودُ حــيــن أجـــودُ لا حَــصِـراً بــذاكَ ولا بـلــيــدَا
وإذا اســتــقــلَّ بــشــكــرهــا أوجـبـتُ بـالـشُّـكْـرِ الـمـزيـدَا
خُــذْهــا إلــيــكَ كــأنَّــمــا كُـسِـيـتْ زُجـاجَـتُـهـا عُـقـودَا
واجـعـلْ عـلـيـكَ بـأن تـقـو مَ بِـشُـكْـرِهـا أبـداً عـهـودَا

[شعر للحسن بن وهب في يوم لهوا به]

أخبرني الصوليّ، قال: حدثني أحمد بن محمد الأنصاريّ، قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك، قال: دعا محمد بن عبد الملك قبل وزارته الحسنَ بن وهب في آخر أيام المأمون، فجاءهُ ودخلا حمَّاماً له، وأقاما على لهوهما، ثم طُلب الحسنُ بن وهب لعمل احتيج فيه إليه، فمضى، وبطل يومهم، فكتب الحسن إليه: [السريع]

سـقـيـاً لـنَـضِـرِ الـوَجْـهِ بَـسَّـامِـهِ مُـهـذَّبِ الأخـلاقِ قَـمـقـامِـهِ[1]
تـكـسـبـه شُـكْـراً عـلـى أنـهـا مُـطـبـقـةُ الـسِّـنِّ لـلـوّامِـهِ[2]
زُرْنــاه فــي يَــوْمٍ عــلا قَــدْرُهُ مـن سـائِـرِ الأيـامِ فـي عـامِـهِ
أَسْــعَــدهُ الله وأحْــظَــى بــه وجـادَهُ الـغَـيْـثُ بـإرهـامِـهِ[3]
فـكـانَ مَـسْـروراً بـنـا بـاذلاً لـرحْـلـهِ الـرحـبِ وحـمَّـامِـهِ
نَـخْـدمـه وهـو لـنـا خـادم بـفَـضْـلِـهِ مِـنْ دُونِ خُـدَّامِـه
ثـم سـقـانـا قَـهـوةً لـم يـدَعْ أطـيـبَ مـنـهـا بـقُـرى شـامـهِ
صـهـبـاءَ دَلَّـتْ عـلـى دَنِّـهـا وحـدَّثَـتْ عَـن ضُـعْـفِ إسـلامِـهِ

فأَجابه محمد بن عبد الملك رحمه الله تعالى: [السريع]

وزائـــرٍ لـــذَّ لـــنـــا يـــومُـــهُ لـو سـاعـدَ الـدَّهْـرُ بـإتـمـامِـهِ
مـاذا لـقـيـنـا مِـنْ دواويـنِـهِ وخَـطِّـهِ فـيـهـا بـأَقـلامِـهِ؟
أسـرّ مـا كـنّـا فَـمِـنْ مـازحٍ أو شـاربٍ قـد عَـبَّ فـي جـامِـهِ[4]
فـارقـنـا فـالـنَّـفـس مـطـروفـةٌ بِـواكِـفِ الـدَّمـعِ وسـجَّـامـه

---

(١) القمقام: السيد.
(٢) أطبق سنه: صمت ولم يتكلم.
(٣) الإرهام: المطر الضعيف الدائم.
(٤) الجام: إناء للشرب من فضة أو نحوها.

وعـاد بـالـمـدحِ لـنـا مـنـعِـمـاً ... بـه إلـى سـالـفِ إنـعـامـهِ
لـيـت - وأنَّـى لـي بـهـا مُـنْـيـةً - ... لـو كـنـت فـيـه بـعـضَ قُـوَّامـهِ
يَـشْـكُـرُ مـا نـالَ عـلـى أنـه ... لا يُـشـكُـرُ الـحـرُّ لـحـمَّـامـهِ
أمـسـحـه فـيـه وأدنـو لـه ... مِـنْ خَـلْـفِـهِ طَـوْراً وقـدَّامـه
جَـعَـلْـتُ نـفـسـي جُـنَّـةً لـلـصِّـبـا ... وبِـعـتُ إسْـلامـي بـإسـلامِـهِ
فـصـارَ مـا يَـشْـرَبُ حـلاً لـه ... وصِـرْتُ مـأخـوذاً بـآثـامِـهِ

[قوله لمّا قُيّد بالحديد]

أخبرني الحسن بن القاسم الكاتب، قال: سمعت القاسم بن ثابت يحدّث عن أبيه، قال: قال أحمد الأحول: لمّا قُبِض على محمد بن عبد الملك الزيّات تلطَّفْت في الوصول إليه، فرأيته في حديد ثقيل، فقلت له: أعْزِزْ عليّ ما أرى، فقال:

[الرمل]

سَـلْ ديـارَ الـحَـيِّ مـا غـيَّـرَهَـا ... ومـحـاهـا ومـحـا مَـنْـظَـرَهـا؟
وهـي الـلاتـي إذا مـا انْـقَـلَـبَـتْ ... صَـيَّـرَتْ مَـعْـروفَـهـا مُـنـكَـرَهـا
إنـمـا الـدُّنـيـا كـظـلٍّ زائـلٍ ... نَـحْـمَـدُ الله كـذا قـدَّرَهـا

في هذه الأبيات رمل طنبوري لا أدري لمن هو.

ومما يغنَّى فيه من شعر محمد بن عبد الملك الزيَّات:

صوت

[مجزوء الخفيف]

ظـالـمـي مـا عـلـمـتُـهْ ... مُـعـتـدٍ لا عـدمـتُـهْ
مُـطْـمِـعـي بـالـوصـالِ مـمـ ... ـتـنـعٌ حـيـن رُمـتُـهْ
مُـرْصِـدٌ بـالـخـلافِ والـ ... ـمَـنْـعِ مـن حـيـثُ سـمـتُـهْ[1]
هـاجـرٌ إن وصـلـتُـهُ ... صـابـرٌ إن صَـرَمـتُـهْ
كـم وكـم قـد طَـوَيْـتُ مـا ... بـي وكـم قـد كَـتـمـتُـهْ
رُبَّ هـمٍّ طَـوَيْـتُ فـيـ ... ـك وغـيـظٍ كَـظَـمْـتُـهْ

---

(١) أرصد له شيئاً: أعده له.

وحـيــاةِ سَـئِـمْـتُـهـا والـهَـوَى مـا سَـئِـمْـتُـهْ
رُمـتُ شَـيْـئـاً هَـوِيـتُـهُ لـيـس لـي مـا حُـرِمْـتُـهْ
قـالَ إذ صَـرَّحَ الـبـكـا ءُ بـمـا قـد سَـتَـرْتُـهْ
لـو بـكـى طُـولَ دَهْـرِهِ بـدمٍ مـا رَحِـمْـتُـهْ

الغناء لأبي العبيس بن حمدون خفيف ثقيل بالبنصر.

صوت

[الهزج]

إذا أَحْـبَـبْـتُ لـم أسْـلُ وإن واصَـلْـتُ لـم أقـطَـعْ
وإن عـاتَـبَـنـي الـنـاسُ تـصـامـمْـتُ فـلـم أسْـمَـعْ
وقـد جـرّبـتُ مـا ضَـرَّ وقـد جَـرَّبْـتُ مـا يَـنْـفَـعْ
فـمـا مِـثْـلُ الـهَـوَى أنـهَـ لكُ لِـلـجِـسْـمِ ولا أضـرَعْ
ولا كـالـهـجـرِ فـي الـقـربِ إلـى الـمـوتِ ولا أسْـرَعْ
وإن أوجـعـنـي الـعَـذْلُ فـنِـيـرانُ الـهـوى أوجـعْ
وهـذا عَـدَمُ الـعَـقْـلِ فـمـا أسْـطِـيـعُ أن أصـنَـعْ
ولا واللهِ مـا عـنـدي لـمـا قـد حـلَّ بـي مَـدْفـعْ
ولا فِـيّ لـهـجـرانِـ كَ لـولا ظـلـمـكـمْ مـوضـعْ

الغناء لعريب لحنان: خفيف ثقيل بالبنصر، وهزج بالوسطى.

[امتداحه الحسن بن سهل]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرّد، قال: حدثني الحسن بن رجاء، قال: قدم محمد بن عبد الملك على الحسن بن سهل إلى فم الصِّلح، وامتدحه بقصيدته التي أولها: [الرجز]

كـأنـهـا حـيـن تـنـاءَى خَـطْـوُهَـا أخْنس مَوْشِيُّ الشَّوى يرعى القُلَلْ[1]

وقال فيها:

إلى الأمـيـرِ الـحَـسَـنِ استـنـجـدْتـهـا أيّ مـرادٍ ومَـنَـاخٍ ومَـحَـلْ

(١) الأخنس: ذكر البقر الوحشي. وموشي الشوى: منقوش الأطراف.

سيف أمير المؤمنين المُنْتَضَى وحصن ذي الرياستين المُقْتَبِلْ
آباؤك الغُرُّ الألى جدُّهم كِسرى أنو شروان والناسُ هَمَلْ
مِنْ كُلِّ ذي تاج إذا قال مضى كلُّ الذي قال وإن همّ فَعَلْ
فأيْنَ لا أيْنَ وأنَّى مِثْلُكُمْ أنتم الأملاكُ والناسُ خَوَلْ[1]

فأمر له بعشرة آلاف درهم.

قال: ومرض الواثق، فدخل إليه الحسن بن سهل عائداً، ومحمد بن عبد الملك يومئذ وزيره، والحسن بن سهل متعطِّل، فجعل الحسن بن سهل يتكلم في العلة وعلاجها وما يصلح للواثق من الدواء والعلاج والغذاء أحسن كلام، قال: فحسده محمد بن عبد الملك، وقال له: مِنْ أين لك هذا العلم يا أبا محمد؟ قال: إني كنت أستصحب من أهل كل صنعة رؤساء أهلها، وأتعلّم منهم، ثم لا أرضى إلا ببلوغ الغاية، فقال له محمد ـ وكان حسوداً: ومتى كان ذلك؟ قال: في زمان قلت فِيّ: [الرجز]

فأين لا أين وأنَّى مثلكم أنتم الأملاكُ والناسُ خوَلْ

فخجل محمد بن عبد الملك، وأطرق، وعَدَل عن الجواب.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني حمّاد بن إسحاق قال: حدثني ميمون بن هارون بن خلف قال: كنت أسير بالقرب من محمد بن عبد الملك الزيات، وهو يريد يومئذ منزله، حتى مرّ بدار إبراهيم بن رباح، فرأى فيها قبة مشيدة، فقال: [الكامل]

أما القبابُ فقد أراها شُيِّدَتْ وعسى أُمورٌ بعد ذاك تَكُونُ
عَبْدٌ عرَتْ منه خلائقُ جَهْلِهِ إذ راحَ وهو مِنَ الثَّراءِ سَمِينُ

فما كان إلا أيَّام حتى أُوقع به.

[ابن ابي دواد يتحامل عليه ويكيد له]

أخبرني عمي قال: حدثني الحسن بن عليّ بن عبد الأعلى عن أبيه، قال: كان الواثق قد أصلح بين محمد بن عبد الملك الزيَّات وبين أحمد بن أبي دواد،

(١) الخَوَل: الخدم والحشم.

فكفَّ محمد عن ذكره، وجعل ابن أبي دواد يخلو بالواثق، ويغريه به، حتى قبض عليه، وكان فيما بلغه عنه أنه قد عزم على الفتك به والتدبير عليه. فقبض الواثق عليه، ثم أطلقه بعد مدة، ثم وزر للمتوكل، وكان محمد بن عبد الملك أشار بابن الواثق، وأشار ابن أبي دواد بالمتوكل، وقام وقعد في أمره حتى وليَ، وعمَّمه بيده، وألبسه البُردة، وقبَّل بين عينيه، وكان المتوكِّل قبل ذلك يدخل على محمد بن عبد الملك في حياة الواثق يشكو إليه جفاءه له فيتَجهّمه محمد، ويُغلظ له الردّ، إلى أن قال يوماً بحضرته: ألا تعجبون إلى هذا العاصي، يعادي أمير المؤمنين، ثم يسألني أن أصلح له قلبه! اذهب، ويلك فأصلح نفسَك له، حتى يصلح لك قلبه. فكان موقع ذلك يحسن عند الواثق، فدخل إليه يوماً، وقد كان قال للواثق: إن جعفراً يدخل إليّ وله شعر قفاً وطُرّة[1] مثل النساء، فقد فضحك. فأمره بأن يحلقهما، ويضرب بشعرهما وجهه، فلما دخل إليه المتوكل فعل ذلك به، وتجهَّمَه بالقبيح، فلما ولي الخلافة خشي إن نكبه عاجلاً أن يستتر أسبابه فتفوته بغيته فيه، فاستوزره وخلع عليه، وجعل ابن أبي دواد يغريه به ويَجِد عنده لذلك موقعاً واستماعاً، حتى قبض عليه وقتله، فلم يجد له من أملاكه كلِّها من عينٍ[2] وَوَرِق وأثاث وضيعة إلاّ ما كانت قيمته مائة ألف دينار، فندم على ذلك، ولم يجد منه عوضاً، وكان أمره مما يُعتدّ على أحمد بن أبي دواد، ويقول: أطمعتني في باطل، وحملتَني على أمر لم أجد منه عوضاً.

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ، قال: زعم محمد بن عيسى الفساطيطيّ، أن محمد بن عبد الملك اجتاز بدندن الكاتب، وعليه خلع الوزارة للمتوكل لما وزر له، فقال دندن: [الكامل]

راحَ الشَقِيُّ بخلعةِ النُّكْرِ ... مثل الهديِّ لليلةِ النَّحْرِ[3]
لاتمَّ شهرٌ بعد خِلْعَتِهِ ... حتى تَراهُ طافيَ الجَمْرِ
ويُرى يُطايِنُ مِنْ إساءتِهِ ... يَهْوِي لَهُ بِقَواصمِ الظَّهْرِ[4]

فكان الأمر كما قال.

(١) الطَرّة: ما تطرُه المرأة من الشعر المُوفي على جبهتها وتصفّفُه.
(٢) العين: ما ضرب نقداً من الدنانير.
(٣) الهديّ: الضحية ونحوها.
(٤) قواصم الظهر: المصائب الشديدة التي تكسر الظهر لشدتها وقسوتها.

[وفاته ورثاء الحسن بن وهب له]

قال عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى: فلما قبض عليه المتوكل استعمل له تنُّورَ حديد، وجعل فيه مسامير لا يقدر معها أن يتحرّك إلا دخلت في جسده، ثم أحماه له وجعله فيه، فكان يصيح: ارحموني، فيقال له: اسكت، أنت كنت تقول: ما رحمت أحداً قطّ، والرحمة ضعف في الطبيعة، وخَوَرٌ في المُنَّة، فاصبر على حكمك! وخرج عليه عبادة، فقال: أردت أن تَشْوِيَني، فَشَوَيْتك.

أخبرني طاهر بن عبد الله بن طاهر الهاشميّ قال: قال العباس بن طومار: أمر المتوكل عبادة أن يدخل إلى محمد بن عبد الملك الزيَّات ـ وقد أحمى تنور حديد، وجعله فيه ـ فيكايده، فدخل إليه فوقف بإزائه ثم قال: اسمع يا محمد، كان في جيراننا حفَّار يحفر القبور، فمرضت مخنّثة[1] من جيراني، وكانت صاحبةً لي، فبادر فحفر لها قبراً من الطمع في الدراهم، فبرأت هي ومرض هو بعد أيام، فدخلت إليه صاحبتي وهو بالنزع، فقالت: ويْ يا فلان؟ حفرت لي قبراً وأنا في عافية، أو ما علمت أنه من حفر بئر سوءٍ وقع فيها، وحياتك يا محمد، لقد دفناه في ذلك القبر، والعقبى لك. قال: فوالله ما برح من إزاء محمد بن عبد الملك يؤذيه ويكايده إلى أن مات.

قال الصوليّ: وقال الحسن بن وهب يرثي محمد بن عبد الملك، وكان في حياته ينتفي[2] منها، ويجحدها، ثم شاعت بعد ذلك، ووجدت بخطه: [الوافر]

يَكادُ القَلْبُ مِنْ جزعٍ يَطيرُ ... إذا ما قِيلَ قد قُتِلَ الوزيرُ
أميرَ المؤمنين هَدَمْتَ رُكْناً ... عليه رَحاكُمُ كانت تدورُ[3]
سَيُبْلَى المُلكُ من جزعٍ عليه ... ويخربُ حين تَضْطربُ الأمورُ
فمهلاً يا بني العباسِ مهلاً ... فقد كُوِيَتْ بفعلكُم الصدورُ
إلى كم تَنْكُبُونَ الناسَ ظُلْماً ... لكم في كل مَلْحَمَةٍ عقيرُ[4]

---

(١) المخنثة: المرأة اللينة المتكسرة في مشيتها.

(٢) ينتفي منها: يتبرأ من نسبتها إليه.

(٣) الرحَى: عبارة عن حجرين مستديرين يشكلان آلة تستعمل لطحن الحبوب.

(٤) العقير: الذبيح.

جـزيـتـم نـاصـراً لـكُـم الـمـنـايـا وليس كذلِكُمْ يُجْزَى النَّصيرُ
فـكـنـتـم سـائـقـاً أرسـا إلـيـكـم وذلك مِنْ فِعالِكُم شهيرُ
وكـأَنَّ صـلاحَـهُ لـو شِـئْـتـمُـوهُ قـريـبـاً لا يـحـاوِلُـهُ الـبـصـيـرُ
كـأَنَّ الله صـيَّـرَكُـم مـلـوكـاً لـئـلاَّ تـعـدلـوا ولأنْ تـجـوروا

أخبار أَبي حشيشة

[اسمه ونسبه]

أبو حشيشة لقبٌ غَلَبَ عليه، وهو محمدُ بن أمية بن أبي أمية، يكنى أبا جَعفر، وكان أهله جميعاً متَّصلين بإبراهيمَ بن المَهديّ، وكان هو من بينهم مَغنِيّاً بالطُّنبور، يُغنّي أحسن غِناء وخَدَم جماعة من الخلفاء أولهم المأمونُ، ومَن بعدَه إلى المعتمِد.

وله يقول أبو صالح بن يَزداد وكتب بها في استتاره: **[الوافر]**

جُعِلْتُ فِداك يابنَ أبي أُميّهْ ... أرى الأيامَ قد حكمتْ عليّهْ
وملَّنِيَ الصديقُ وخانَ عهدي ... فما أقْرا لَكمْ كتُباً إليّهْ
فإن كان الضميرُ كما بدا لي ... فهذا والإلهِ هو البَلِيّهْ

وكان أكثرُ انقطاعه إلى أبي أحمد بن الرشيد أيامَ حياته، وكان أبوه وجدّه وأخواله كُتَّاباً.

وقرأت على أحمد بن جعفر جَحظة ما ذكره عن أبي حشيشةَ في كتابه الذي ألّفه في أخبار مراتب الطُّنبوريين والطُّنبوريات وكان من ذلك أنه قال: شاهدتُ أبا حشيشةَ مدّة، وكان يتغنَّى في أشعار خالد الكاتب وبني أمية، وكانت معه فِقَرٌ من الأحاديث يضعُها مواضعَهَا، وكانت له صنعة تقدَّمَ فيها كلَّ طُنبوريّ، لا أُحاشي من قولي ذلك، فَمِنها: **[الطويل]**

كأنَّ همومَ الناسِ في الأرضِ كُلِّها ... عَلَيَّ وقلبي بينهم قَلْبُ واحِدِ
ولي شاهدَا عدلٍ سُهادٌ وعَبرةٌ ... وكم مُدَّعٍ للحُبِّ من غيرِ شاهدِ

وهو خفيف رَمل مطلق. قال جَحظةُ: ورأيته في القَدْمة التي قدِمها مع ابنِ

المدبّر بين يدي المعتمد، وقد غناه من شِعر عليّ بن محمد بن نصر:

صوت [المجتث]

حُرمتُ بَذْلَ نَوالِك وا سوأتا من فِعالِك!
لما مَلَلْتِ وِصالي آيسْتِني من وِصالِك

فوهبَ له مائتي دينار. واللحن رَمَل مطلق.

[عريب تفضّله على الشيخين]

أخبرني جَحظة فيما قرأتُه عليه، قال: حدثني ابن نُوْبخت: يعني عليَّ بن العباس قال: رأيتُه وقد حضرتُ عَريبُ عند ابن المدبر، وهو يُغنّي، فقالت له عَريب: أحسنتَ يا أبا جعفر، ولو عاش الشَّيْخان ما قلتُ لهما هذا ـ تَعني عَلّوَيه ومُخارقاً.

حدثني أبو حشيشةَ، قال: هجم عليَّ خادمٌ أسودُ، فقال لي: البِسْ ثيابَك، فعلمتُ أن هذا لا يكون إلا عن أمر خليفة أو أميرٍ، فلم أُراجعه، حتى لبستُ ثيابي، فمضيت معه فعبَر بي الجسرَ، وأدخلني إلى دارٍ لا أعرفها، ثم اجتاز بي في رِواق فيه حُجَرٌ تفوح منهنَّ رائحةُ الطعامِ والشرابِ، فأُدخِلتُ منهنَّ إلى حجرة مفروشة، وجاءني بمائدة كأنها جَزْعة يمانيةَ قد نشرت في عراصها الحِبَرة، فأكلتُ وسقاني رِطْلين وجاءني بصندوق ففتحه فإذا فيه طَنابير، فقال لي: اخترْ، فاخترتُ واحداً، وأخذ بيدي، فأدخلني إلى دار فيها سَمّاعة وفيها رجلان على أحدهما قَباء غليظ، وعلى الآخر ثيابٌ مُلحَم[1] وخَزّ، فقال لي صاحب الخزّ: اجلس، فجلست، فقال: أكلتَ وشربتَ؟ فقلت: نَعمْ. قال: عندنا؟ قلتُ: نعم، قال: تُغَنِّي ما نقول لك؟ فقلت له: قل، فقال: تُغَنّي بصنعتك: [الخفيف]

يا كثيرَ الإقبالِ والانصرافِ ومَلولاً ولو أشا قلت خَافِ

وهو رَمَل مطلق، فغنّيتُه إياه، وجعلَ يطلبُ مني صوتاً بعد صوت من صَنعتي،

(١) ملحم: ضربٌ من الثياب.

فأُغنِّيه، ويستعيده، ويشرب هو والرجُل، وأُسقى بالأنصاف المختوتة[١] إلى أن صلوا العشاءَ الآخرة، وهم لا يشربون إلا على الصوتِ الأول لا يريدون غيره، ثم أوْمأ إليَّ الخادم: قم، فقمت، فقال لي صاحبُ القَباء منهما: أتعرفني؟ قلتُ: لا والله، قال: أنا إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ، وهذا محمد بن راشد الخنّاق، والله لئن بلغني أنك تقولُ: إنك رأيتَني لأضربنَّك مائتيْ سَوط، انصرف. فخرجتُ ودفع إليّ الخادم ثلاثمائة دينار، فجهدتُ أن يقبلَ منها شيئاً على سبيل البرّ، فما فعَل.

حدّثني جحظةُ قال: حدثني أبو حشيشة: قال: وجّه إليّ إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ، فصرت إليه وهو في داره التي على طرف الخَندق، فدعا بجُونة[٢]، فأكل وأكلتُ من ناحية، ودعا بسِتارة وقال: تغنَّ بصنعتك: [مجزوء الكامل]

عــادِ الــهــوىَ بــالــكَــأس بــردا قــأَطِــعْ إمــارةَ مَــنْ تَــبَــدَّى

وهو خفيف رمل مطلق. فغنَّيتُه مراراً، ثم ضرب السِّتارة، وقال: قولوه، فقالَتْه جاريةٌ فأحسنت غاية الإحسان، فضحِك ثم قال: كيفَ تراه؟ فقلت: قد والله بغَّضُوه إليَّ، فازداد في الضحك، وأنا أرمقُ جُبَّةَ خزٍّ خَضراء كانتْ عليه، فقال: كم ترمُقُ هذه الجُبَّة؟ يا غلامُ، كانت عشرة أثواب خزّ فقطعت منها هذه الجبَّة، فهاتِ التسعةَ، فجيء بها، فدفعها إليَّ فكنت أبيع رُذَالها[٣] بستينَ دِيناراً.

حدثني جحظةُ قال: حدثني أبو حشيشةَ أن بني الجنيد الإسكافِيِّنَ كانوا أوّل من اصطنعه، وأنهم كانوا يسمونه الظَّريف، وأن أول منزل ابْتَاعه من أموالهم إلى أن شاع خبرُه، وتفاقم أمرُه. قال: وكانوا آكلَ الناس، رأيتُ رجلاً منهم، وقد أكل هو وابن عم له اثنينِ وعشرين رأساً كباراً، وشَرِبا، فسكِرا وناما، ثم انتبها في وقت الظُّهر، فدعَوا بالطعام، فعادا إلى الأكل، ما أُنكر مِنْهما شيئاً.

[أمر له المأمون بخمسين ألف درهم]

ونسختُ من كتاب ألَّفه أبو حشيشةَ، وجمع فيه أخباره مع من عاشره وخدمَ من الخلفاء، وهو كتاب مشهور، قال: أول من سمِعني من الخُلفاء المأمونُ، وهو

(١) المختوتة: الناقصة.
(٢) الجونة: سليلة مستديرة مغشّاة بالجلد.
(٣) الرذال: الدون الخسيس، أو الرديء من كل شيء.

بدمشق، وصفني له مُخارق، فأمر بإشخاصي إليه، وأمر لي بخمسين ألف دِرهم أتجهّزُ بها، فلما وصلتُ إليه أدناني، وأُعجِبَ بي، وقال للمعتصِم: هذا ابنُ من خدمك وخدم آباءك وأجدادكَ يا أبا إسحاق، جَدُّ هذا أمية كاتب جدِّك المهديّ على كتابة السرِّ وبيتِ المالِ والخاتَم، وحجَّ المهديُّ أربَعَ حِجَج كان جدّ هذا زميلَه فيها. واشتهى المأمونُ من غنائي:

صوت

[الرمل]

كان يُنْهَى فَنَهَى حينَ انتهى ... وانْجَلَتْ عنه غياباتُ الصِّبا
خَلَعَ اللَّهْوَ وأَضْحَى مُسْبِلاً ... للنُّهى فَضْلَ قَميصٍ ورِدا
كيف يَرْجُو البيضُ مَنْ أوَّلُهُ ... في عيونِ البِيضِ شَيْبٌ وجَلا[1]
كان كحلاً لمآقيها فقدْ ... صارَ بالشَّيْبِ لعينيها قَذَى[2]

الشعر لدِعبِل، والغناء لمحمد بن حسين بن مُحرز رمَل بالوسطى.

قال أبو حشيشة: وكان مُخارق قد نهاني أن أُغنِّيَ ما فيه ذكرُ الشيبِ من هذا الشعر، وأن أقتصر على البيتين الأولين، لأن المأمون كان يشتدُّ عليه ذكرُ الشيب، ويكرهه جدّاً من المغنِّين، وأمر ألاَّ يغنِّيه أحدٌ بشعر قيل في الشيْب أو فيه ذكر له. فسكرتُ يوماً، فمررت في الشعرِ كلِّه، فقال: يا مُخارق، ألا تحسنُ أدبَ هذا الفتى! فنقَفني[3] مُخارق نَقفةً صلبة، فما عُدتُ بعدها لذكر شيء فيه الشيب.

[الصوت الذي كان المعتصم يشتهيه]

وذكر أبو حشيشةَ في كتابه هذا مما كان يشتهيه عليه المأمونُ وغيره من الخلفاءِ أصواتاً كثيرةً، ولا فائدة في ذكرها ها هنا لأنها طويلة، فذكرت مما كان يختاره عليه كلُّ خليفة صوتاً، قال أبو حشيشةَ: كان المعتصم يَشتهِي عليَّ:

(١) الجلا: دون الصلع.
(٢) القذى: عُويد يُدمع العين.
(٣) النّقف: الضرب بالعصا أو نحوها.

صوت

[مجزوء الكامل]

أَسْرَفْتَ في سُوءِ الصَّنِيعِ ... وفَتَكْتَ بي فَتْكَ الخَلِيعِ
وولعتَ بي مُتَمَرِّداً ... والعذرُ في طرفِ الوَلُوعِ
صيّرتُ حُبَّكَ شافعاً ... فأُتِيتُ مِنْ قِبَلِ الشَّفِيعِ

الشعرُ لأصرمَ بن حُميد، والغناء لأبي حَشيشَة.

قال: وكان الواثق يختارُ من غنائي: [مجزوء الكامل]

يا تاركي متلَدِّد العُوَّ ... ادِ جَذلانَ العُداةِ[1]
انظُرْ إلَيَّ بِعَيْنِ را ... ضٍ نظرةً قَبْلَ المماتِ
خلَّيتَني بين الوَعِيـ ... ـدِ وبين ألسنةِ الوُشَاةِ
ماذا يُرَجِّي بالحيا ... ةِ مُنَغَّصٌ روحَ الحياةِ؟

الشعر لمحمدِ بن سعيد الأسديّ، والغناء لأبي حَشيشَة خفيف رَمَل.

قال: وكان المتوكّل يحبُّني، ويستخفُّني، وكانت أغانيه التي يشتهيها عليّ كثيرةً منها:

صوت

[المتقارب]

أَطَعْتَ الهَوَى وخَلَعْتَ العِذارا ... وباكرتَ بعد القراحِ العُقارا[2]
ونازعكَ الكَأْسَ مِنْ هاشِمٍ ... كريمٌ يُحِبُّ عليها الوَقَارا
فتىً فَرَّقَ الحَمْدُ أموالَهُ ... يَجُرُّ القميصَ ويُرخِي الإزارا
رأى الله جَعْفَرَ خَيْرَ الأنامِ ... فَمَلَّكَهُ ووقَاهُ الحِذارا

الشعرُ والغناءُ لأبي حَشيشَة.

قال: وكان الفتح بن خاقان يشتهي عليّ:

---

(١) متلدّد العُوَّاد: الذي يحيِّر عواده (زواره) لسوء حاله.
(٢) القراح: الماء العذب.

صوت

[الكامل]

قالوا عَشِقْتَ فَقُلْتُ أحسنَ مَنْ مَشى ... والعِشْقُ ليس على الكريم بعارِ
يا من شَكَوْتُ إليه طُولَ صبابتي ... فَأَجابني بتجَهُّم الإنكار

قال: وكان المستعين يشتهي عليّ:

صوت

وما أنسَ لا أنسَ منها الخشوعَ ... وفيضَ الدُّموعِ وغَمزَ اليدِ
وخَدّي مُضافاً إلى خدِّها ... قياماً إلى الصُّبحِ لم نرقُدِ

الشعر لمحمدِ بن أبي أمية والغناءُ لأبي حشيشة.

قال: وأخبرني محمد بن علي بن عِصْمة ـ وكان إليه الزهدُ في الدنيا كلِّها ـ قال: حضرتُ المعتزَّ وقد ورد عليه جوابُ كتابه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر، وكان كتب إليه يطلُبني منه، فكتب إليه محمد: إني عَليلٌ، لا فضلَ فِيّ للخدمة، قال أبو عِصمة: فقال لي المعتزُّ: يا أبا محمد، صديقك أبو حشيشة يؤثر علينا آل طاهر، فقلتُ له: يا سيِّدي، أنا أعلم النّاس بخَبرِه، هو والله عليل، ما فيه موضع لخدمةِ أمير المؤمنين. قال: ثم ذكرني المعتمد، وحرّضَه عليّ ابنُ حَمدون، فكتب إلى أبي أيوب سليمان بن عبد الله بن طاهر ـ وهو يومئذٍ أمير بَغداد ـ في إشخَاصي، فشخَّصني إليه من ساعتي، فأكرمني، وأدْنى في مجلسي، وأمر لي بجائزة، واشتهى عليّ:

[مجزوء الكامل]

قَلْبي يُحِبُّكِ يا مُنى ... قلبي ويُبْغِضُ مَنْ يحِبُّكْ
لأكون فرداً في هوا ... كِ فليتَ شِعري كيفَ قَلبُك؟

الشعر لأحمد بن يوسف الكاتب، والصنعةُ لأبي حشيشة رمل.

[خبره مع ابراهيم بن المهدي]

قال أبو حشيشة: سمع إبراهيم بن المهديّ أصواتاً من غناء محمد بن الحارث بن بسخُنّر وعمرو بن بانة، فاستحسنها وأخذها جواريه، وقال: الطُّنبور كُلُّه باطل، فإن كان فيه شيء حقّ فهذا، وأشتهي أن يسمعني. فهبته هيبة شديدة، وقلت: إن

رضيني لم يزِد ذلك في قدري، وإن لم يرضَني بقيتُ وصمةً آخرَ الدهر، وكان يطلُبني من محمد بن الحارث بن بسخنّر خاصة، ومن إسحاق بن عمرو بن بزيع، فكنتُ أفرُّ منهما، حتى صرتُ بسُرَّ من رأى، وأنا في تلك الأيام منقطعٌ إلى أبي أحمد بن الرشيد، ونحن في مضاربَ لم نكن سكنَّا المنازل بعدُ، فوافى إلى أبي أحمد بن الرشيد رسولُ إبراهيم بن المهدي فأبلغه السلامَ، وقال: يقول لك عَمُّك: قد أعيتْني الحِيَلُ في هذا الخبيثِ، وأنا أحبُّ أن أسمعَه، وهو يهرُبُ مني، فأحبُّ أن تبعثَ به إليّ، ويكون زيرب معه تُؤنسه. فقال لي أبو أحمد: لا بدَّ أن تمضيَ إلى عمي! فجهدتُ كلَّ الجَهد أن يُعفيَني، فأبى، فلما رأيت أنه لا بدّ لي منه لبستُ ثيابي، ومضيتُ إليه، وهو نازل في دسْكرة[1]، فرحّب بي وقرَّب، وبسَطَني كلَّ البسط ومعي زيربُ، ودعا بالنبيذ، وأمر خَدَماً له كباراً، فجلسوا معي وشربوا وسقَوْني. وعرض لي بكلِّ حيلة أن أغنّيَ، فهبتُه هيبة شديدة، وحَصِرتُ[2] وشرِبَ، ودعا بثلاث جوارٍ، فخرجن وجلسن، وقال لهنَّ: قُلنَ:

صوت

[المنسرح]

كَيفَ اخْتِيالي وأنتَ لا تَصِلُ ... عِيلَ اصْطِباري وقلَّتِ الحِيَلُ
إن كانَ جِسْمي هواكَ يُنْحِلُهُ ... فإن قَلْبي عليك يتَّكِلُ

الشعر لخالد الكاتب، والغناء لأبي حشيشةَ رمل. وكان يسميه الرُّهبانيّ، عمله على لحن من ألحان النصارى سمعه من رُهبان في الليل يردِّدُونه، فغنَّاه عليه. فقالتْه إحداهنّ، فذهب عقلي، وسمعت شيئاً لم أسمع مثلَه قطُّ، فقال: يا خليلي، أهذا لك؟ فقلت: نعم ـ أصلح الله الأمير ـ وأخذتني رِعْدة، ثم قال لهنّ: إيه، قُلن:

صوت

رَبِّ ما لي ولِلهوى ... ما لِهذا الهوَى دَوَا
حازَ طَرْفِي الذي هوى الـ ... حُسْنُ قَلْبي وَما حوى

(١) الدسكرة: بناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم فيها الشراب والملاهي.
(٢) حصرت: عييت ولم أقدر على الكلام.

الشعرُ لخالدٍ، والغناء لأبي حشيشَة رَمَل. فَغَنَّتْهُ فسمعتُ ما هو أعجب من الأول، فقال: يا خليلي، هذا لك؟ قلت: نعمْ يا سيدي، قال: هكذا أخذناهما من محمد بن الحارث، ثم شربَ رِطلاً آخر، فقلت: يا نفس، دعاكِ الرجُل يَسْمعكِ، أو يُسمعكِ، وقوّيت عزمي، وتغنّيته بشعر خالد الكاتب، وهو هذا:

صوت

[المتقارب]

لـئـنْ لـجَّ قـلـبُـكَ فـي ذِكْـرِهْ ... ولـجَّ حـبـيـبُـكَ فـي هَـجـرِهْ
لـقـد أوْرَثَ الـعَـيْـنَ طُـولَ الـبُـكـا ... وعَـزَّ الـفُـؤاد عـلـى صَـبـرِهْ
فـإن أذهـبَ الـقـلـبَ وجـدٌ بـه ... فـجـسـمُـكَ لا شـكَّ فـي إثْـرِهْ
وأيُّ مُـحِـبٍّ تَـجـافَـى الـهَـوى ... بَـطُـولِ الـتـفـكُّـرِ لـم يُـبْـرِهْ

فجعل يُردّد البيتَ الأول والبيتَ الأخير، وقال لي: لا تَخرجنَّ يا خليلي من هذا إلى غيره، فلم أزل أردده عليه، حتى شَرِب ثلاثاً، واسترحتُ ساعةً، وشربتُ وطابت نفسي، ثم استعادني فغنّيته، فأُعجِبَ به خلافَ الأول، فنظر إليّ وضَحِك، ولم يقُل شيئاً، وشرب رِطلاً رابعاً وجاءت المغرب، فقال لي: يا خليلي، ما أشك في أنك قد أوحشت ابني منكَ، فامضِ في حفظ الله تعالى. فخرجت أطير فرحاً بانصرافِي سَالماً، فلما وافيتُ أبا أحمد، وَبصَر بي من بعيد قال: حِنطة، أو شعير[1]؟ فقلت، بل سِمْسِم وشَهْدٌ، انْجُ على رغم أنفِ مَن رغم، فقال: ويحكَ، أتُراني لا أعرفُ فضلَك! ولكن أحببتُ أن أستعينَ برأيه على رأيي فيك، وقصصتُ عليه القصة، فسرّه ذلك، ولم يرضَ حتَّى دسّ إليه محمدَ بن راشد الخناق، فسأله عني، فقال: ما ظننت أن يكون في صناعته مثله. قال أبو حشيشة: وسمع إسحاق ابن إبراهيم الموصليّ غنائي فاستحسنه، فسئل عني، فقال: غناء الطُّنبور كله ضَعيف، وما سمعتُ فيه قطُّ أقوى ولا أصحَّ من هذا.

[موته]

حدثني جحظةُ، قال: كان سببُ موت أبي حشيشة بسُرّ من رأى، أن قلماً غلام الفضل بن كاووس صار إليه في يوم بارد، فدعاه إلى الصّبوح، فقال له: أنا

(١) يكنى بها عن الخير أو الشر.

لا آكل إلا طعاماً حارّاً، وليس عندكَ إلا فُضَيلة من مجليّة، قال: تساعدني، وتأكل معي، فأكلَ منها، فجمّدَتْ دمَ قلبه، فمات، فحملَه إبراهيمُ بنُ المدبّر إلى بناتِه وما كسبه بِسُر من رأى معه، فاقتسمْنَه بينهُنَّ.

صوت

[المنسرح]

سَـقـيـاً لـقـاطـولَ لا أرى بـلَـداً أوْطَـنَـهُ الـمـوطِـنـونَ يُـشْـبِـهـهـا[1]
أمـنـاً وخـفـضـاً ولا كَـبـهْـجـتِـهـا أرغـدُ أرضٍ عَـيْـشـاً وأَرفـهُـهـا

البيت الأول من البيتين لعِنان جارية الناطفيّ، والثاني يقال: إنه لعمْرو الوراق، ويقال إنّه لأبي نواس، ويقال بل هو لها.

والغناء لعَريب خفيف رَمَل. وكان الشعر: «سقياً لبغداد» فغيّرته عريب وجعلت مكانه «سَقْياً لقاطول».

(١) قاطول: نهر كان في موضع سامراء قبل أن تعمّر. (انظر معجم البلدان ٤/ ٢٩٧).

أخبار عنان

[توفيت نحو سنة ٢٢٦هـ/ ... نحو سنة ٨٤١م]

[صفاتها]

كانت عِنَان مولّدةً من مولّدات اليمامة، وبها نشأتْ وتأدبتْ، واشتراها الناطفيّ، وربّاها، وكانت صفراء جميلةَ الوجه، شَكِلَةً[1] مليحة الأدب والشعر سريعة البديهة. وكان فحول الشعراء يساجلونها، ويقارضونها، فتنتصف منهم.

[مساجلة بينها وبين أبي نواس]

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلانيّ صهرُ المبرِّد النحويّ وعليُّ بنُ صالح بن الهيثم قال: حدَّثنا أبو هِفَّان عن الجمَّاز قال: دخل أبو نواس يوماً على عِنانَ جاريةِ الناطفيّ، فتحدّثا ساعة، ثم قال لها: قد قلت شعراً، فقالتْ: هاتِ، فقال:

[مجزوء الكامل]

إنّ لـي أَيْـراً خَـبـيـثـاً ... لـونُـهُ يَـحْـكـي الـكُـمـيـتـا
لـو رأى فـي الـجَـوِّ صَـدْعـاً ... لـنـزَا حـتّـى يـمـوتَـا[2]
أو رآهُ فَـوْقَ سَـقْـفٍ ... لـتـحـوَّلَ عـنـكَـبُـوتـا
أو رآه جَـوْفَ بَـحْـرٍ ... خِـلْـتَـهُ فـي الـبَـحْـرِ حُـوتـا

قال: فما لبثتْ أن قالت:

[مجزوء الرمل]

زوِّجـوا هـذا بـألْـفٍ ... وأظُـنّ الأَلْـفَ قُـوتـا

---

(١) شَكِلَةً: ذات غنج ودلال.
(٢) نزا: وثب.

إنــــنـــي أَخْـــشَـــى عــــلــــيـــهِ   إن تَـــمـــادى أن يـــمُــــوتـــا
بـــادروا مـــا حَـــلَّ بـــالـــمـــســـ   كـــيـــنِ خَـــوْفـــاً أن يَـــفُـــوتـــا
قـــبـــل أن يَـــنْـــتَـــكِـــسَ الـــدّ   اءُ فـــلا يَـــأْتِـــي ويُـــوتـــى

قال: ودخل إليها يوماً، فقال: [المجتث]

مـــاذا تَـــرَيْـــنَ لِـــصَـــبٍّ   يُـــرِيـــدُ مـــنـــكِ قُـــطَـــيْـــرهْ[1]

فأجابته: [المجتث]

أيّـــاي تَـــعْـــنـــي بـــهـــذا   عـــلـــيـــك فـــاجْـــلـــدْ عُـــمَـــيْـــرهْ[2]

فقال لها: [المجتث]

أُريـــدُ هـــذا وأَخْـــشَـــى   عـــلـــى يَـــدِي مـــنـــكِ غَـــيْـــرَهْ

قال: فخجلتْ وقالت: تَعِستَ، وتعِس مَنْ يَغارُ عليك.

أخبرنا أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ: قال: حدثنا عمر بن شبَّة: قال: حدثني أبو أحمد بن معاوية: قال: سمعت أبا حَنَش يقول: قال لي الناطفيّ: لو جئت إلى عِنان فطارحتَها! فعزمتُ على الغدوّ، فبتُّ ليلتين أحوكُ بيتين، ثم غدوتُ عليها فقلتُ: [الطويل]

أَحَبَّ الـمِلاحَ الـبِيضَ قـلـبي ورُبّـما   أَحَبَّ المِلاحَ الصُّفر مِنْ وَلَدِ الحَبَشْ
بـكـيـتُ عـلـى صـفـراءَ مـنـهـنّ مـرّةً   بكاءً أصابَ العينَ مِنِّيَ بالعَمَشْ[3]

فقالت:

بَـكَـيْـتُ عـلـيـهـا أنَّ قـلـبي يـحـبُّـهـا   وأن فُؤادي كـالـجَـنـاحـيـن ذُو رَعَشْ
تَـغَـنَّـيـتَـنـا بـالـشِّـعْـرِ لـمـا أَتَـيْـتَـنـا   فـدونَك خذْه محكماً يا أبا حنَشْ

أخبرني أحمدُ قال: حدثني عمر بن شَبّه قال: حدثني أحمد بنُ مُعاوية، قال: سمعتُ مروان بن أبي حفصة يقول: لَقِيَني الناطِفيّ؛ فدعاني إلى عِنان، فانطلقتُ معه، فدخل إليها قبلي، فقال لها: قد جئتُكِ بأشعر الناس، مروان بن أبي حَفْصة،

(١) الصب: المشتاق.
(٢) اجلد عميرة: كناية عن الاستمناء باليد.
(٣) العمش: ضعف البصر مع سيلان الدمع في أغلب الأوقات.

فوجدها عليلةً، فقالتْ له: إني عن مروانَ لفي شُغل، فأهوى إليها بسوْط فضربها به، وقال لي: ادخُل، فدخلتُ وهي تبكي، فرأيت الدموع تَنْحدِر من عينيها فقلتُ:

[السريع]

بَكَتْ عنانٌ فَجَرى دمْعُها كالدُّرِّ إذ يسبقُ من خيطهْ[1]

فقالتْ وهي تَبكي: [السريع]

فليت مَنْ يَضْرِبُها ظالماً تَيْبَس يُمناهُ على سَوطِهْ

فقلت: أعتق مروانُ ما يملك إن كان في الجنّ والإنس أشعر منها.

أخبرني الجوهريّ قال: حدثنا أبو زيد عن أحمد بن معاوية قال: قال لي رجل: تصفَّحتُ كُتُباً، فوجدت فيها بيتاً جهَدت جهْدِي أن أجد من يُجيزه، فلم أجد، فقال لي صديق: عليك بعِنَان جارية الناطفيّ، فجئتُها فأنشدتُها:

صوت [الطويل]

وما زالَ يشكُو الحُبَّ حتى رأيتُهُ تَنَفَّسَ في أحْشائِهِ وتكلَّما

فما لبث أن قالتْ:

ويَبكي فأبكي رَحْمَةً لبُكائِهِ إذا ما بَكى دمْعاً بكيتُ له دَما

ـ في هذين البيتين لحن من الرَّمَل، أَظُنُّه لجحظَة أو لبعض طبقته ـ.

[مولاها يطلب منها أن تعايي أحد الشعراء]

قرأتُ في بعض الكتب: دخل بعضُ الشُّعراء على عِنان جارية الناطفيّ، فقال لها مولاها: عاييه[2]، فقالتْ: [المنسرح]

سَقياً لبغدادَ لا أرى بَلداً يَسْكُنُهُ السَّاكنونَ يُشبهها

فقال:

كأنها فِضَّةٌ مُمَوَّهةٌ أخلَصَ تمويهَها مُمَوِّهُها

(١) يسبق: يسقط.

(٢) المعاياة: أن يأتي بكلام لا يُهتدى إلى مثله.

فقالتْ:

أمــنٌ وخــفــضٌ ولا كــبَــهــجَــتِــهــا أرغَــدُ أرضٍ عَــيْــشــاً وأرفَــهُــهَــا

فانقطع.

أخبرني أحمدُ بنُ عبيد الله بن عمار، قال: حدثني ابن أبي سَعيد قال: حدّثني مسعودُ بن عيسى، قال: أخبرني موسى بن عبد الله التَّميميّ، قال: دَخَل أبو نُواس على الناطفيّ، وعنانُ جالسةٌ تَبكي، وخَدُّها على رَزَّة[1] من مِصراعِ الباب، وقد كان الناطفيّ ضربها، فأومأ إلى أبي نواس أن يحرّكها بشيء، فقالَ أبو نُوَاس: [المنسرح]

عِــنــانُ لَــو جُــدْتِ لــي فــإنــيَ مــن عــمــريَ فــي آمَــنَ الــرسـول بــمــا[2]

فردّتْ عليه عِنانُ:

فــإنْ تــمــادى ولا تــمــاديْــتَ فــي قَــطْــعِــكَ حَــبــلــي أكُــنْ كــمــن خَــتَــمــا

فردَّ عليها أبو نُواس فقال:

عــلــقــتُ مــن لــو أتــى عــلــى أنــفُــ ــسِ الــمــاضِــيــنَ والــغــابــريــنَ مــا نَــدِمــا

فردَّتْ عليه:

لــو نَــظَــرَتْ عَــيْــنُــهــا إلــى حَــجَــرٍ وَلَّــدَ فــيــه فُــتُــورهــا سَــقَــمــا

[إصرارها على إستعادة خاتمها من أبي نُواس]

أخبرني ابنُ عمار، قال: حدثني محمدُ بنُ القاسم بن مهرويه: قال: حدثني محمد بن أبي مروان الكاتب: قال: أخذ أبو نُواس من عِنان جارية الناطفيّ خاتماً فَصُه أحمر، فأخذه أحمد بن خالد حيلويه من أبي نُواس، فطلبته منه عِنان، فبعث إليها مكانه خاتماً فَصُه أخضر، فاتَّهمتْه في ذلك، فكتب أبو نُواس إلى أحمد بن خالد، فقال: [السريع]

فــدتْــكَ نــفــســي يــا أبــا جــعــفــرِ جــاريــةٌ كــالــقَــمَــرِ الأزهــرِ

تَــعَــلَّــقَــتْــنــي وتَــعَــلَّــقْــتُــهــا طِــفــلــيــنِ فــي الــمَــهْــدِ إلــى الــمَــكْــبَــرِ

---

(١) الرزّة: حديدة يُدخل فيها القفل.

(٢) هنا اقتبس الشاعر من القرآن الكريم.

كنتُ وكانت نتهادَى الهوى بخاتمينا غيرَ مستنكرِ
حنَّت إلى الخاتم مني وقد سلَبتْني إياه مذ أشهُرِ
فأرسلتْ فيه فغالطْتُها بخاتَم في قَدِّهِ أخضرِ
قالت: لقد كان لنا خاتَمٌ أحمرُ أهداه إلينا سري
لكنه عُلِّق غَيري فقدْ أهدى له الخاتمَ لا أمتَري[1]
كفرتُ بالله وآياتِهِ إن أنا لم أهْجُرْهُ فليصبرِ
أو فَأتِ بالمخرجِ من تُهمَتي إياه في خاتَمِنا الأحمرِ
فارْدُدْه تَرْدد وصلَها إنَّها قُرَّةُ عَيني يا أبا جَعْفَرِ
فإنني متَّهَمٌ عندها وأنت قد تَعْلَمُ أني برِي

قال: فردّ إليه الخاتم، وبعث إليه معه بألفي درهم.

أَخبرني ابن عمار وعليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرد، عن المازنيّ عن الأصمعيّ - وقال ابن عمار في خبره عن بعض أصحابه - أظنُّه المازنيّ - عن الأصمعيّ، قال: ما رأيتُ أثر النبيذ في وجه الرشيد قطُّ إلا مرَّةً واحدة، فإني دخلتُ إليه أنا وأبو حفص الشَّطرنْجي، فرأيت التّخثُّر[2] في وجهه، فقال لنا: استبقا إلى بيتٍ بل إلى أبيات، فمن أصاب ما في نفسي فله عشرة آلاف دِرهَم، قال: فأشفقت، ومنعتني هيبته، قال: فقال أبو حفص: **[الخفيف]**

كلَّما دارتِ الزُّجاجةُ زادَتْـ ـهُ اشْتِياقاً وحُرْقَةً فبكاكِ

فقال: أحسنتَ فلك عشرة آلاف دِرهم.

قال: فزالتِ الهيبة عني، فقلتُ:

لم يَنَلْكِ الرَّجاءُ أَن تحضُريني وتَجافتْ أمنيَّتي عن سواكِ

فقال: لله درُّكَ! لك عشرون ألفَ درهم، قال: فأطرقَ مليّاً، ثم رفع رأسه إليّ، فقال: أنا والله أشعرُ منكما، ثم قال:

فتمنَّيتُ أن يُغشِّيَني اللَّـ ـهُ نُعاساً لعَلَّ عَيْني تَراكِ

---
(١) لا أمتري: لا أشك.
(٢) التخثر: الفتور والغثيان.

[الرشيد يرغب، فيها والأصعميّ يصرفه عنها]

أخبرني ابنُ عمار والأخفشُ قالا: حدثنا محمدُ بنُ يزيد عن المازني، قال: قال الأصمعيّ: بعثتْ إليّ أمُّ جَعفر أن أمير المؤمنين قد لَهج بذكر هذه الجارية عِنان، فإن صرفتَه عنها فلك حكمك. قال: فكنتُ أُريغُ[1] لأن أجد للقول فيها موضعاً، فلا أجدهُ، ولا أقدمُ عليه هيبةً له، إذ دخلتُ يوماً فرأيتُ في وجهه أثر الغضب، فانخزلْتُ، فقال: ما لك يا أصمعيُّ؟ قلتُ: رأيت في وجه أَمير المؤمنين أَثَر غضب، فلعنَ الله مَنْ أغضَبه! فقال: هذا الناطِفيّ والله، لولا أني لم أجُرْ في حكم قطّ متعمِّداً لجعلتُ على كل جبلٍ منه قطعةً، وما لي في جاريته أَرَبٌ غير الشعر، فذكرت رسالة أُمّ جعفر، فقلت لَهُ: أَجلْ والله ما فيها غير الشعر، أَفيسرّ أَمير المؤمنين أن يجامع الفرزدَقَ؟ فضحِكَ حتى استلقى، واتَّصل قولي بأُم جعفر فأجزلَتْ لي الجائزةَ.

أَخبرني عَمي والحسنُ بن عليّ، قالا: حدثنا عُمرُ بن محمد بن عبد الملك الزيَّات، قال: حدثني محمد بن هارون، عن يعقوبَ بن إبراهيم، أن الرشيد طلب من الناطفيّ جاريتَه، فأبى أن يبيعَها بأقل من مائة أَلْف دينار، فقال: أُعطيك مائةَ أَلْفِ دينار على أن تأخذ بالدينار سبعةَ دراهم، فامتنع عليه، وأَمر أَن تُحمَل إليه، فذكروا أَنها دخلتْ مجلسه، فجلستْ في هيئتها تنتظره فدخل عليها، فقال لها: ويلك! إن هذا قد اعتاصَ[2] عليَّ في أمركِ، قالت: وما يمنعك ان توفيَه وتُرضيَه؟ فقال: لَيْس يقنعُ بما أُعطيه، وأَمرها بالانصراف. فبلغني أَن توفيَه وتُرضيَه؟ فقال: لَيْس يقنعُ بما أعطيه، وأَمرها بالانصراف. فبلغني أَن الناطفيّ تصدَّقَ بثلاثين أَلْف درهم حين رجعتْ إليه، فلم تزلْ في قلب الرشيد حتى مات مولاها، فلما مات بعث مسروراً الخادم، فأخرجها إلى باب الكَرخ، فأقامها على سرير وعليها رداء رشيديّ قد جلَّلَها، فنوديَ عليها: من يزيد؟ بعد أن شاور الفقهاءَ فيها، وقال: هذه كَبِدٌ رطْبة، وعلى الرجل ديْنٌ، فأَشاروا بِبيعها، قال: فبلغني أَنها كانت تقولُ ـ وهي في المصطَبة ـ: أَهان الله من أَهانني، وأَذلَّ من أَذلَّني، فَلكزها مسرورٌ بيده، وبلغ بها مسرورٌ مائتيْ أَلْف درهم، فجاءَ رجل، فقال: عليّ زيادةُ خمسةٍ وعشرين أَلْف

(١) أُريغُ: أطلب.

(٢) اعتاص عليّ: صعب عليّ.

درهم، فلكزه مسرور، وقال: أتزيد على أمير المؤمنين! ثم بلغ بها مائتين وخَمْسين أَلْفاً، وأَخذها له قال: ولم يكن فيها شيءٌ يعاب، وطلبوا لها عيباً لئلا تصيبها العينُ، فأوقعوا بخنصَر رجلها شيئاً. وأولدها ابنين ـ قال: أظُنهما ماتا صغيرين ـ ثم خرج بها إلى خُراسان، فمات هناك وماتت عِنان بعده.

قال: وأنشدنا لأبي نُواس في قصيدة يمدح بها يزيد بن مزيد ويذكُر عِنان في تشبيبها: [السريع]

عِـنـانُ يـا مَـنْ تُـشـبِـهُ الـعِـيـنَـا ... أنـتِ عـلـى الـحُـبِّ تَـلُـومـيـنـا[1]
حُـسْـنُـكِ حُـسْـنٌ لا أرى مِـثْـلَـهُ ... قـد تَـرَكَ الـنَّـاسَ مَـجـانـيـنَـا

[مطارحة شعرية بينها وبين العباس بن الأحنف]

أخبرني عمّي قال: حدثنا الحسنُ بن عُليل العَنَزيّ قال: حدثني أحمد بن القاسم العِجليّ قال: حدثني أبو القاسم النخعيّ قال: كان العباس بن الأحنف يهوى عِنان جارية الناطفيّ، فجاءني يوماً، فقال: امض بِنَا إلى عِنان جارية الناطفيّ، فصرنا إليها، فرأيتها كالمهاجرةِ له، فجلسنا قليلاً، ثم ابتدأ العباس فقال:

[مجزوء الرمل]

قـال عـبـاسٌ وقَـد أُجْـ ... ـهِـدَ مِـنْ وَجْـدٍ شـديـدِ
لـيـس لـي صَـبْـرٌ عـلـى الـهَـجْـ ... ـرِ ولا لَـذْع الـصُّـدُودِ
لا ولا يَـصْـبِـرُ لـلـهـجْـ ... ـرِ فـؤادٌ مِـنْ حَـديـدِ

فقالت عنان:

مَـنْ تـراهُ كـان أغـنَـى ... مـنـكَ عَـنْ هـذا الـصُّـدودِ
بَـعْـدَ وَصْـلٍ لـكَ مـنّـي ... فـيـه إرْغـامُ الـحَـسـودِ
فـاتَّـخِـذْ لـلـهَـجْـرِ إن شِـئْـ ... ـتَ فـؤاداً مِـنْ حـديـدِ
مـا رَأيْـنـاكَ عـلـى مـا ... كُـنْـتَ تَـجْـنـي بـجَـلـيـدِ

فقال العباس:

لـو تَـجُـودِيـنَ لِـصَـبٍّ ... راحَ ذَا وَجْـدٍ شـديـدِ

(١) العين: جمع عيناء، وهي البقرة الوحشية.

وأخـي جَـهْـلٍ بـمـا قـدْ كـان يَـجْـنـي بـالـصَّـدودِ
لـيـس مَـنْ أحْـدَثَ هَـجْـراً لِـلـصَّـدِيـقِ بـسَـديـدِ
لـيـسَ مـنـه الـمَـوْتُ إن لـمْ تَـصِـلْـيـهِ بِـبَـعـيـدِ

قال: فقلتُ للعباس: ويحكَ! ما هذا الأمرُ؟ قال: أنا جنيت على نفسي بتَتَايُهي عليها، فلم أبرحْ حتى ترضَّيتُها له.

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدثنا الحارثُ بن يحيى بن حَمَد بن أبي ميَّة قال: حدثني يحيى بن محمد أن الرشيد كان يساوم بعِنان جارية النَّطَّاف، فبلغ ذلك أمَّ جعفر، فشقَّ عليها، فدسَّت إلى أبي نُواس أن يحتالَ في أمرها فقال يَهجوها:

[المنسرح]

إن عِـنـانَ لـلـنَّـطَّـافِ جـاريـةٌ أَصْـبَـحَ حِـرْهـا لـلـنَّـيْـك مَـيـدانـا
مـا يَـشْـتَـرِيـهـا إلا ابـنُ زانِـيَـةٍ أو قَـلْـطَـبَـانٌ يَـكُـونُ مَـنْ كـانـا[1]

فبلغ ذلكَ الرشيدَ، فكان يقولُ: لعن الله أبا نُواس، وقبَّحه، فلقد أفسدَ عليّ لذَّتي في عِنان بما قال فيها، ومنعني من شِرائها.

صوت

مـا لـي ولـلـخـمـرِ وقـد أرعـشَـتْ مِـنِّـي يَـمـيـنـي هـاتِ بـالـيُـسـرى
حـتـى تَـرانـي مـائـلاً مُـسـنَـداً لا أَسْـتَـطِـيـعُ الـكَـأْسَ بـالأُخـرى

الشعر للحسن بن وَهْب، والغناء لعبدِ الله بن العباس الرَّبيعيّ، خفيف ثَقيل بالوُسطى، وفيه أيضاً له خفيف رَمَل بالبنصر.

(١) القلطبان: الديّوث أو القواد الذي لا غيرة له على أهله.

أخبار الحسن بن وهب

[توفي نحو سنة ٢٥٠هـ /نحو سنة ٨٦٥م]

[اسمه ونشأته]

هو الحسنُ بنُ وَهب بن سعيد، كاتب شاعر مترسّلٌ فصيح أديب، وأخوه سُليمان بنُ وهب فَحْل من الكتّاب ويكنى أبا عليّ، وهو عريق في الكتابة، ولأولاده نَجابةٌ مشهورة تستغني عن وصف ذلك، وكانوا يقولون إنهم من بني الحارث بن كعب، وأصلُهم نَصارى، وفي بني الحارث نَصارى كثير.

[شعره وبعض أخباره وإعجاب الناس به]

وفي الحسن بن وهْب يقول البُحْتريّ:

يا أخَا الحارثِ بن كعب بن عمرو   أشُهوراً تَصُومُ أم أيّاما؟

وكان البُحتريُ مدّاحاً لهم. وله في الحسن، وقد اجتاز بمنزله بعد وفاته:

[الوافر]

أناةً أيُّها الفَلكُ المُدارُ   أنهبٌ ما تطرَّق أم جُبارُ[١]
نَزَلْنا مَنْزِلَ الحَسَنِ بن وهبٍ   وقد دَرَستْ مغانِيهِ القِفارُ[٢]

يقول فيها يصف صَبوحاً كانوا قد اصطبحوه:

أقمنا، أكْلُنا أكلُ اسْتِلابٍ   هُناكَ وشرْبنا شُربٌ يُدارُ

(١) الجبار: الهدر، وهو ما لا قصاص فيه ولا دية.
(٢) درست: محت. والمغاني: جمع مغنى، وهو المنزل.

تـنـازعـنـا الـمـدامـةَ وهـي صِـرْفٌ وأعـجـلْـنـا الـطـبـائـخَ وهْـي نـارُ[١]
ولـم يَـكُ ذاكَ سُـخْـفـاً غـيـرَ أنِّـي رأيـتُ الـشَّـرْبَ سُـخْـفُـهـمُ الـوَقـارُ

أخبرني الصوليّ، وذكر ذلك عن جماعةٍ من الكتاب، أن الحسنَ بن وهب كان أشدّ تمسكاً بالنَّسب إلى بني الحارث بن كعب من أخيه سُليمان، وكان سُليمان يُنكر ذلك، ويعاتبُ عليه أخاه الحَسن وابنَه أحمد بن سليمان. وأصلهم من قرية من سواد واسط في جسر سابور يقال لها «سَارقيقا».

[كانوا يتسابقون لحفظ شعره]

أخبرني عمي قال: حدثني عمر بن نصر الكاتب، وكان من مشايخ الكتَّاب بِسُرَّ من رأى، قال: كنا نتهادَى ونحن في الديوان أشعارَ الحسن بن وهب ونتباهى بحِفْظها، قال: وأنشدني له، وكتبَ بها إلى أخيهِ سَليمان بن وهب من مدينة السلام[٢] وهو محبوس في أيام الواثق: [الكامل]

خـطـبٌ أبـا أيـوبَ جـلَّ مـحـلُّـه فاذا جزعتَ مِنَ الخُطوبِ فَمَنْ لها[٣]
إن الـذي عَـقَـد الـذي انـعـقَـدتْ بـه عُـقَـدُ الـمـكـارهِ فيكَ يُحْسِنُ حَلَّـهـا
فـاصْـبِـرْ لَـعَـلَّ الـصَّـبْـرَ يفتِق ما ترى وعـسـى بـهـا أَن يَـنْـجَـلِـي ولـعـلَّـهـا

قال: وكتب إليه أيضاً وهو في الحبس بسُرَّ من رأى: [الطويل]

خـلـيـلـيَّ مِـنْ عَـبْـدِ الـمَـدانِ تـروَّحـا ونُصَّا صدورَ العيسِ حَسْرى وطلَّحا[٤]
فـإنَّ سـلـيـمـانَ بـن وهـبٍ بـبـلـدةٍ أصابَ صَميمَ القلبِ منّي فأقْرَحا
أُسـائـلُ عـنـه الـحـارسـيـنَ لـحَـبْـسِـهِ إذا ما أتوني: كيف أَمسَى وأصبحا!
فـلا يُـهـنـيء الأعـداءَ أسْـرُ ابـن حُـرَّةٍ يَـرَاه الـعِـدا أنـدى يـمـيـنـاً وأسْـمَـحـا
وأنْـهَـضَ لـلأمـر الـجـلـيـلِ بـعَـزْمَـةٍ وأقـرعَ لـلـبـابِ الأصَـمِّ وأفـتـحـا

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال: حدثني محمد بن موسى بن حماد قال: وجّه الحسن بن وهب إلى أبي تمام وهو بالموصل خِلَعاً فيها خَزٌّ ووشيٌ، فامتدحه

(١) صرف: خالصة، غير ممزوجة بالماء.
(٢) مدينة السلام: بغداد، (معجم البلدان ٥/٧٩).
(٣) الخطوب: الحدثان. وخطوب الدهر: حدثانه ومصائبه.
(٤) النصّ: استخراج جهد الناقة في السير. وحسر وطلح البعير: أعيا وتعب.

بقصيدة أولُها: [المنسرح]

أبـو عَـلـيّ وسْـمِـيُّ مـنـتـجـعـهْ فـاحْـلُـلْ بـأعـلـى واديـه أو جَـرَعِـهْ[١]

ثم وصف الخِلعة فقال:

وقد أتاني الرَّسول بالملبسِ الفَخْـ ـم لـصَـيْـفِ امْـرِئٍ ومُـرتَـبـعِـهْ
لـو أنـهـا جُـلِّـلـتْ أُوَيْـسـاً لـقـد أسـرعـتِ الـكِـبـريـاءُ فـي ورَعِـهْ
رائـقُ خَـزٍّ أُجـيـدَ سـابِـرُه سَـكْـبٌ تـديـن الـصِّـبـا لـمـدَّرِعِـهْ[٢]
وسـرٌّ وشْـيٍ كـأنَّ شِـعـريَ أحْـيـا نـاً نـسـيـبُ الـعـيـونِ مـن بِـدَعِـهْ
تَـرَكَـتْـنـي سـاهِـرَ الـجُـفـونِ عـلـى أزْلـمِ دَهْـرٍ بـحُـسْـنِـهـا جـذَعِـهْ

يعني الدهرَ، والدهر يقال له: الأزْلم الجذَع، والأزلم: الطويل، والجذَع: الجديد يقول: هو قديم سالِف، ويومُه جديد، قال لقيطٌ الإيادي[٣]: [البسيط]

يـا قـوم بيضتُكـم لا تَـفْـضَـحَـنَّ بـهـا إني أخافُ عليها الأزلَمَ الجذَعا[٤]

أخبرني الصوليّ قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال: لما حَبس محمد بن عبد الملك الزيات سليمانَ بن وهب، وطالبه بالأموال وقْت نكبته قال الحسن بنُ وهب: [الطويل]

خـلـيـلـيّ مِـنْ عَـبْـدِ الـمـدانِ تـروَّحـا ونُصّا صدور العِيسِ حَسْرى وطُلَّحا
فـإنَّ سـلـيـمـانَ بـن وهـبٍ بـمـنـزِلٍ أصابَ صَميمَ القلبِ منّي فأقرحا
أُسـائِـلُ عـنـه الـحـارسِـينَ لِـحَـبْـسِـهِ إذا مـا أتـوني كيفَ أمسَى وأصبَحا
فلا يُـهـنـىء الأعـداءَ حبسُ ابنِ حرّةٍ يـراه الـعِـدا أنـدى يـمـيـنـاً وأسـمـحا
وقُـولا لـهـمْ صَـبـراً قـلـيـلاً وأصـبِـحـوا فما أقرب الليلَ البهيمَ مِنَ الضُّحا[٥]

قال: وقيل له وسُليمانُ محبوسٌ: كيف أصبحْتَ؟ قال: أصبحتُ والله قليلَ

(١) الوسمي: مطر الربيع الأول.
(٢) السابري: الرقيق الجيد من الثياب.
(٣) لقيط الإياديّ: هو لقيط بن خارجة الايادي. وشاعر جاهلي فحل.
(٤) بيضة القوم: حوزتهم وحماهم. وبيضة البلد: ما تجب المحافظة عليه وحماية حقيقته.
(٥) البهيم: الشديد السواد.

النّشاط، كالَّ القريحة، صَدِيءَ الذهْنِ[1]، ميّت الخاطرِ من سوء فعل الزّمان، وتَوارُد الأحزان، وتَغَيُّر الإخوان، قال: وآلى ألاَّ يذوقَ طعاماً طيِّباً، ولا يشرب ماءً بارداً، ما دام أخوه محبوساً، فوفَّى بذلك.

أخبرني الصوليّ قال: أخبرني أبو الأسود قال: كان للحسن بن وهب جارٌ هاشميّ، يلقَّب بالطيْر، فحجّ سنةً من السنين، ورجع آخِر الناس، فقال فيه الحسنُ: [الوافر]

أَيَنْقُصُ أم يَزيدُ مِنَ الرَّقاعَهْ ... أخو حُمْقٍ له الدُّنيا مُشاعَهْ
يَحُجُّ على الجِمالِ ولو تَجَلَّى ... لِمَكَّةَ جاءَها في بعْضِ ساعهْ

أخبرني الصوليّ قال: حدثنا الطالقاني قال: حدثنا أحمد بن سليمان بن وهب قال: رآني عمي الحسن، وأنا أبكي لفراق بعض أُلاّفي فقال: [السريع]

ابْكِ فما أَنْفَع ما في البكا ... لأنَّهُ للوجْدِ تَسهيلُ
وهو إذا أنتَ تأمَّلْتَه ... حُزْنٌ على الخَدّينِ مَحْلولُ

أخبرني الصوليّ قال: حدثنا علي بن الصبَّاح قال: بلغ الحسنَ بن رجاء أَنَّ الحسن بن وهب عابه بحُبّ الغِلْمان، وكان الحسن بن وهب أشدَّ حبّاً لهم منه، فقال: مَثَلي ومثَلُه كما قال حسان بن ثابت: [الطويل]

وإني لأغنى الناسِ عَنْ فَضْلِ صاحبٍ ... يرى الناسَ ضُلاّلاً وليس بمهْتَدِ

أخبرنا محمد قال: حدثنا الحزَنْبل قال: كتب رجل إلى الحسنِ بن وهب يستميحه، فوقّع في رُقعته: [البسيط]

الجُودُ طَبعي ولكن ليس لي مال ... فكيف يَحْتالُ مَنْ بالرَّهْنِ يَحْتالُ

[خبره مع الجارية بنات وعشقه لها]

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ قال: حدثني محمدُ بن موسى بن حمَّاد قال: كنت أكتُبُ في حداثَتي بين يدي الحسن بن وهب ـ وكان شديد الشَّغَف ببنات جارية محمد بن حماد كاتب راشدٍ، فكنّا يوماً عنده، وهي تُغَنّي، وبين أيدينا كانُونُ فحم، فتأذّت به، فأمرت أن يباعَدَ، فقال الحسن: [الكامل]

بأبي كرهتِ النارَ حتى أُبعِدتْ ... فعلمتُ ما معناكِ في إبعادِها

---

(١) صدىء الذهنُ: تبلّد، وفتر، وخمل.

هي ضرةٌ لك بالتماعِ ضِيائها ... وبحسنِ صُورتِها لدى إيقادِها[١]
وأرى صنيعَكِ في القلوبِ صَنيعَها ... في شَوْكِها وسَيَالِها وقَتادِها[٢]
شَرِكَتْكِ في كُلِّ الجهاتِ بِحُسْنِها ... وضِيائها وصلاحِها وفَسادِها

أخبرني الصُّوليّ قال: حدثني الحسيْنُ بن يحيى قال: كنا عند الحسن بن وهب، فقال: لو ساعدنا الدهر لجاءتنا بناتُ، فما تكلَّم بشيء حتى دخلتْ، فقال: إنِّي وإياك لَكَما قال علي بنُ أمية: [الطويل]

وفاجأتني والقلبُ نَحْوَكِ شاخِصٌ ... وذكرُكِ ما بين اللِّسانِ إلى القَلْبِ
فيا فرحةً جاءت على إثْرِ تَرْحةٍ ... ويا غفلتَا عنها وقد نزلَتْ قُربي

قرأتُ في بعض الكتب: دخلتْ يوماً بناتُ[٣] على الحسن بن وهب، وهو مخمور، فسلّمتْ عليه، وقبلتْ يدَه، فأراد تقبيلَ يدها، فمنعتْه فرُعشَ، فقال:

[الطويل]

أقُولُ وقد حاوَلْتُ تقبيلَ كَفِّها ... وبي رِعدةٌ أهتزُّ منها وأسْكُنُ
فديتُك إني أشجعُ الناسِ كلِّهم ... لدى الحَرْبِ إلا أنَّني عنكِ أجبُنُ

أخبرني الصُّوليّ قال: حدَّثني محمدُ بن موسى قال: جاءت بناتُ تسأل الحسن بن وهب من علّةٍ نالته، فحين رآها دعا برطْلٍ، فشَرِبه على وَجْهها، وقال: قد عوفيتُ، فأقيمِي اليوم عندي، فأبت وقالتْ: عند مولاي دعوةٌ، فأمر بإحضار مائتيْ دينار، فأُحضِرتْ فقال: هذه مائة لمولاك، فابعثي بها إليه ومائة لكِ؛ فقالت: أمّا هو فأبعث بمائة إليه، وأما أنا فوالله لا أخذتُ المائةَ الأُخرى، ولأتصدقَنّ بمثلها لعافيتِكَ ولكن أكتُبْ إليه رقعةً تقوم بعذري؛ فأخذ الدواةَ؛ وكتب إلى مولاها: [مجزوء الخفيف]

ضرَّةَ الشَّمْسِ والقمرْ ... متِّعيني مِنَ النَّظرْ
مَتِّعيني بجلْسةٍ ... منك يا أحسن البَشَرْ
أشتريها إن بعتنِيـ ... ـها بسمْعي وبالبَصرْ

---

(١) الضرّة: هنا: المنافسة.
(٢) السبال: ما طال من السّمُر. والقتاد: شجر شائك.
(٣) بنات: جارية محمد بن حماد الكاتب.

أذهبَ السّقمَ سُقمُ طرفِك ذي الغُنْج والحَورْ
فأديمي السُّرورَ لا تَمْزِجي الصَّفوَ بالكَدَرْ
ليس يُبْقي عَلَيَّ حُبُّكِ هذا ولا يَذرْ
وأنا منه فأنعَمي بمُقام على خَطرْ
وتَغَنَّيْ فداكِ كُلُّ مُغَنٍّ لكي أُسَرّ
رَبْعُ سَلْمى بذي بقر عرضة الرِّيحِ والمَطْر[1]

حدثني أبو إسحاق بن الضحاك عن أحمد بن سليمان ـ والحكايتان متفقتان متقاربتان ـ أخبرني الصولي قال: حدثني الحسيْن بن يحيى قال: حدّثني أحمدُ بن سليمان بن وهب قال: قال لي أبي: قد عزمت على معاتبة عمِّك في حبه لبنات، فقد شهَّر بها وافتضَح، فكُن معي، وأعنِّي عليه، وكان هواي مع عمّي، فمضيْتُ معه فقال لي أبي، وقد أطال عتابه: يا أخي، جُعِلْتُ فداك! الهوى ألذُّ وأمتع، والرأي أصوبُ وأنفَع! فقال عمي متمثلاً: [الطويل]

إذا أَمَرَتْكَ العاذِلاتُ بهَجرِها أَبَتْ كَبِدٌ عما يَقُلْنَ صَديعُ
وكيف أُطيعُ العاذِلات وحُبُّها يُؤرّقُني والعاذلاتُ هُجوعُ[2]

فالتفت إليّ أبي يَنظُر ما عندي، فتمثّلت: [الطويل]

وإني لَيَلْحاني على فَرْطِ حُبِّها رِجالٌ أطاعتْهم قُلوبٌ صَحائح[3]

فنهض أبي مُغضباً وضمَّني عمّي إليه، وقبَّلني، وانصرفتُ إلى بناتِ، فحدّثْتُها بما جرى وعمّي يسمع، فأخذتِ العُودَ، فغنّتْ: [الوافر]

يَلُومُكَ في مَوَدَّتِها أُناس لوَ انَّهُمُ بِرَأْيِكَ لم يَلُومُوا

فيه ثقيل أوّل.

قال أحمدُ بن سليمان، وعَذلته عجوزٌ لنا، يقال لها مُنَى، فقال لها: قومي، فانظري إليها، واسمَعي غناءَها، ثم لُومِيني، فقامت معه، فرأتْها، وسمعت غناءها

(١) ذو بقر: وادٍ قريب من الرّبذة. (معجم البلدان ١/ ٤٧١).
(٢) هجوع: نيام.
(٣) يلحاني: يلومني.

فقالت له: لستُ أعاودُ لومَك فيها بعدَ هذا، فأنشأ يقول: [الطويل]

ويَوْم سها عنه الزَّمانُ فأصْبَحَتْ نَواظِرُهُ قد حارَ عنها بَصيرُها
خَلَوْتُ بِمَنْ أَهْوَى به فَتكامَلَتْ سُعودٌ أدارَ النحسَ عنَّا مُديرُها
أما تَعْذُريني يا منى في صَبَابتي بمن وجْهُها كالشَّمْسِ يَلْمَعُ نُورُها؟

قال أحمد بن سليمان: كان لعمي كَاتب يعرف بإبراهيم، نَصْرانيٌّ يأنس به، فسأل بناتَ مَسألَتها عمّي أن يجعل رزقَه ألفَ دِرهم في الشَّهر، فلمّا شرب أقداحاً، وطربَ وثبَتْ قائمةً وقالت: يا سيدي لي حاجة، فوثب عَمّي، فقام لقيامها، فقالت: تجعلُ رزقَ إبراهيم ألفَ درهم في الشهر، فقال: سمعاً وطاعة، فجلستْ فأنشأ يقول: [الكامل]

قامَتْ فَقُمْتُ ولم أكُنْ لو لَمْ تَقُمْ لأُجِلَّ خَلْقاً غَيْرَها فأقوما
شَفَعَتْ لإبراهيمَ في أرزاقِهِ فَوَدَدْتُ أني كُنتُ إبراهيما
فَأجَبْتُها إنِّي مُطيعٌ أمْرَها وأراهُ فرضاً واجباً محتُوما
ما كان أطيبَ يَوْمَنا وأسَرَّهُ لو لم يَكُنْ بِفراقها مَخْتوما

قال: ثم إن عمي صار إلى أبي، فأخبره الخبرَ، فأمر أن يجعل لإبراهيمَ من ماله ألفَ دِرهم أُخرى لشفاعتها.

أخبرني الصوليّ: قال: حدّثني إسماعيل بن الخصيب قال: اعتلّ الحسن بن وهب، فلم تعلم بناتُ بذلك، وتأخّرتْ عن عيادته، فكتب إليها: [الهزج]

عَليلٌ أنتِ أعْلَلْتِهْ فَلَو أنّكِ عَلّلتِهْ[1]
بوعْدٍ أن تَزوريهِ إذا ما مُمكنٌ نلتِهْ
قريباً لنفيتِ الدَّا ءَ عنه حِينَ عاوَدْتِهْ
وما ضَرَّكِ لو جاءَ رَسولٌ منك أرسلتِهْ
فَيَحْكي لَكِ ما قال كما يَحْكي الذي قُلتِهْ
أما والله لو أن الـ ـذي يُحمَل حُمِّلتِهْ
لما احْتاجَ إلى التَّعْلِـ ـيمِ فيما قد تجاهلْتِهْ

أخبرني الصّولي قال: قال أحمد بن إسماعيل: حدثني أحمد بن عبيد الله بن

(١) أعللتِه: أمرضتِه.

جميل قال: أهدى الحسن بن وهب إلى بنات في علة اعتلتها هدايا حسنة وأهدى معها قفص شفانين[1]، وكتب إليها: [الطويل]

شِفاءُ أنينٍ بالشفانين أمّلتْ … لكم نفسُ من أهدي الشفانين عامدا
كُلوها يَكِلُّ الدَّاءُ عنكم فإنني … أزوركمُ للشَّوْقِ لا زرتُ عائدا[2]

أَخبرني عمي قال: حدثني ميمون بن هارون قال: كتب الحسن بن وهب إلى بنات يوم جمعة يستدعيها، فكتبت إليه أن عند مولاها أصدقاءَ له، وقد منعها من المسير إليه، فكتب إليها ثانياً يقول: [الخفيف]

يَوْمُنا يَوْمُ جُمعةٍ بأَبي أنـ … ـتِ وعندَ الوضيعِ لا كانَ قومُ
سَفَلٌ مِثْلَهُ يَسُومونَهُ الْخَسْـ … ـفَ ويَرضاهُ وهو للوغدِ سَوْمُ[3]
فامنعيهمْ منكِ البشاشةَ حتى … يتغشَّاهمُ مِنَ البَرْدِ نَوْمُ
وليكنْ منك طُولُ يَوْمِك لِلّـ … ـه صلاةٌ إلى المساءِ وصومُ
وارْفَعي عنهم الغِناءَ وإن نا … لك عذلٌ مِنَ الوَضيعِ ولَوْمُ
واذْكري مُغْرَماً بحُبِّكِ أمسى … هَمُّه أن يُديلَهُ منكِ يَوْمُ[4]

أخبرني عَمّي قال حدثني ميمونُ بن هارون، قال: كان الحسنُ بن وهب يشربُ عند محمد بن عبد الله بن طاهر، فعرضَت سحابة، فَبَرقتْ ورعدَت، وقَطَرت، فقال الحسنُ: [الخفيف]

هَطَلَتْنا السَّماءُ هَطْلاً دِراكا … عارض المرزمانِ فيها السِّماكا[5]
قلت للبرقِ إذ تألَّقَ فيها … يا زِنادَ السماءِ مَنْ أوْراكا؟[6]
أحَبيباً نأيْتَهُ فَبكاكا … فهو العارضُ الّذي اسْتبكاكا
أمْ تَشَبَّهْتَ بالأميرِ أبي العَبّـ … ـاسِ في جُودِهِ فلسْتَ كذاكا

---

(١) الشفانين: نوع من الحمام، جميل المنظر والصوت.
(٢) عيادة المريض: زيارته، وعائد المريض: زائره.
(٣) الخسف: الظلم، الذل.
(٤) يديله منك: ينصره عليك.
(٥) المرزمان: نجمان مع الشعريين. والسماك: النجم، وهما سماكان: السماك الرامح والسماك الأعزل.
(٦) أوراه: أوقده وأخرج ناره.

[بينه وبين ابن الزيات]

أخبرني عمي، قال: حدثنا أبو العَيناء، قال: طلبَ محمدُ بن عبد الملك الزياتِ الحسنَ بن وهب، وكان قد اصطبح مع بنات فكتب إليه: يا سيدي، أنا في مجلس بَهِيّ، وطعام هَنِيٍّ، وشراب شَهِيّ، وغناء رضِيٍّ، أفأتحوّلُ عنه إلى كدِّ الشقيّ، ووثبت بناتُ لتقوم، فردّها وكَتَبَ: [المجتث]

مـا بـانَ عـنـكَ الـذي بـنـتَ عـنـه لا عـاشَ بَـعْـدَكْ
إن لـم يَـكُـنْ عـنـده الـصَّـبْـرُ والـسُّـلـوُّ فـعـنـدَكْ
ومـا وجـدتَـه إلا عـبـدَ الـرجـاء وعـبـدَكْ

فاستلبهَا الرسولُ، ومضَى بها إلى محمد، فوقَّع فيها: [المجتث]

أبـا عَـلِـيٍّ أراكَ الإلـه فـي الأمـرِ رُشـدَكْ
إن لـم تـكـن عـنـديَ الـيـومَ كـنـتُ بـالـشَّـوْقِ عـنـدَكْ
فـاهـدم مَـحـلَّـكَ عـنـدِي واجـهَـدْ لـذلـك جَـهـدَكْ
فَـلَـسْـتُ أَزْدادُ إلا رعـايـةً لـك وُدَّكْ
وانـعَـمْ بِـمَـنْ قُـلْـتَ فِـيـهـا عـبـدَ الـرجـاءِ وعـبـدَكْ
أَزِيـلَ نَـحْـسُـكَ فـيـهـا وأَطـلَـعَ الله سَـعـدكْ

وردّ الرقعة إلى الحسن، فلما قرأها خَجِل، وحلفَ ألا يشرب النبيذَ شهراً، ولا يفارق مجلسَ الوزير.

أخبرني عمي عن إبراهيم بن المدبّر، قال: ولدَت بناتُ من مولاها ولَداً وسمته بإبراهيم، فأبغضها الحسنُ بن وهب، وكتبَ إليها: [الخفيف]

نُتِجَ الـمُـهـرةُ الـهـجانُ هـجـيـنـاً ثـم سَـمّـى الـهـجـيـنَ إبـراهـيـمـا
بـخـلـيـلِ الـرحـمـنِ سَـمَّـيـتَ عَـبـداً أم قـريـعَ الـفِـتـيـانِ ذاك الـكـريـمـا[1]

وبعثَ بالبيتين إليها، وكان آخر عهدِه بها.

أخبرني الصولي قال: حدثنا محمد بن موسى قال: كان الحسن بن وهب يعشق غلاماً روميّاً لأبي تمام، وكان أبو تمام يعشقُ غلاماً خَزريّاً للحسن، فرأى أبو تمام يوماً الحسنَ يعبثُ بغلامه، فقال له: والله لئن أعنقت إلى الروم لنركُضنّ إلى

(١) قريع الفتيان: سيدهم.

الخزر، فقال له الحسنُ: لو شئت لحكَّمتنا واحتكمت، فقال له أبو تمام: ما أُشبّهك إلا بداود، ولا أُشبّهُ نفسي إلا بخصميْه، فقال له: لو كان هذا منظوماً حفِظته، فأما المنثور فهو عارضٌ لا حقيقة له، فقال أبو تمّام: [البسيط]

أَبا عَلِيٍّ لصرْفِ الدَّهْرِ والغِيَرِ ... وللحوادثِ والأيامِ والعِبَرِ(١)
أعندك الشَّمْسُ لم يَحْظَ المغيبُ بها ... وأنت مضطربُ الأحشاءِ للقمرِ
أذكرتني أَمْرَ داودَ وكنت فَتًى ... مُصرَّفَ القَلْبِ في الأهواءِ والذِّكَرِ
إن أنت لم تَتْرُكِ السَّيْرَ الحَثِيثَ إلى ... جآذِرِ الرّومِ أَعْنقْنا إلى الخزَرِ(٢)
إن الغزالَ له منّي محلُّ هوًى ... يَحِلُّ مني مَحَلَّ السَّمْعِ والبَصَرِ
ورُبَّ أمْنعَ منه جانباً وحِمًى ... أمسى ولكنَّه مني على خَطَرِ
جرَّدتُ منه جُنودَ العزم فانْكَشَفَتْ ... منه غيابتُها عن تِكّةٍ هَدَرِ(٣)
سُبْحانَ مَنْ سَبَّحَتْهُ كُلُّ جارحةٍ ... ما فيك من طَمحانِ الأيْرِ والنظرِ
أنت المقيمُ فما تَغْدُو رواحلُه ... وأيرُه أبداً منه على سَفَرِ

قال الصوليّ: فحدثني أحمد بن إسحاق، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: قلتُ لأبي تمام: غلامُكَ أطوعُ للحسنِ بن وهب من غلام الحسن لكَ، قال: أجلْ والله؛ لأنَّ غلامي يجد عندَه ما لا يجدُه غلامه عندي، وأنا أعطي غُلامَه قِيلاً وقالاً، وهو يعطي غُلامي ثياباً ومالاً.

[ابن الزيات يتجسّس عليه]

أخبرني الصُّوليّ قال: حدّثني أبو الحسن الأنصاريّ، قال: حدثني أبي. وحدثني الفَضْلُ الكاتبُ المعروف بفنجاخ، أنَّ الحسنَ بن وهب كان يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيّات، وهو وزيرُ الواثق، وكان ابن الزيّات قد وقف على ما بين الحسن بن وهب وبين أبي تمام في غلاميهما، فتقدّم إلى بعض ولده ـ وكانوا يجلسون عند الحسن بن وهب ـ بأن يُعلموه بخبرهما، وما يكون بينهما. قال: وعزم غلامُ أبي تمام على الحِجامة، فكتب إلى الحسن يُعلمه بذلك، ويسأله التوجيه إليه بنبيذٍ مطبوخ، فوجَّه إليه بمائة دنّ ومائة دِينار، وبخلعة حسنة وبخورٍ كثير،

(١) غير الدهر: أحداثه وخطوبه.
(٢) الجآذر: جمع جؤذر، وهو ولد البقرة الوحشية.
(٣) التكة: رباط السراويل.

وكتب إليه: [الخفيف]

لَيتَ شِعْري يا أملحَ النَّاسِ عندي ... هل تداويتَ بالحِجامةِ بَعدي
دَفَعَ اللهُ عنك لي كُلَّ سوءٍ ... باكرٍ رائحٍ وإن خُنْتَ عهدي
قد كَتَمْتُ الهَوَى بمبلغِ جُهدي ... فبدا منه غَيْرُ ما كُنْتُ أُبدي
وخَلَعْتُ العِذارَ فَلْيَعْلَم النا ... سُ بأني إياك أُصفي بوُدِّي[1]
وليقولوا بما أحبُّوا إذا كُنـ ... ـت وَصولاً ولم ترُعْني بِصَدٍّ
مَنْ عذيري من مُقْلَتَيْكَ ومِنْ إشْـ ... ـراقِ وَجْهٍ مِنْ دُونِ حُمرةِ خَدٍّ

قال: ووضع الرّقعةَ تحتَ مُصلاّه، وبلغ محمد بن عبد الملك خبرُ الرّقعة، فوجّه إلى الحسن، فشغله بشيء من أمره، وأمر من أخذَ الرقعة من تحت مُصلاّه، وجاءه بها، فقرأها، وكتب في ظهرها: [الخفيف]

لَيْتَ شِعْري عن ليت شِعركَ هذا ... أبِهزلٍ تَقُولُهُ أم بِجِدٍّ
فلئن كُنْتَ في المقالِ مُحِقّاً ... يابنَ وهبٍ لقد تَغَيَّرتَ بعدي
وتشبَّهْتَ بي وكنتُ أرى أنـ ... ـي أنا العاشِقُ المتيَّمُ وحْدي
أتركُ القَصْدَ في الأمورِ ولولا ... غمراتُ الهَوى لأبصرتُ رُشدي
وأحِبُّ الأخَ المُشارِكَ في الحُبِّ ... وإن لم يَكُنْ به مِثْلُ وجدي
كنديميْ أبي عَلِيٍّ وحاشا ... لنديمي مثل شِقوةِ وَجْدي

صوت

إنّ مولايَ عبد غيري ولولا ... شُؤم جَدِّي لكان مولايَ عَبْدي
سيِّدي سيدي ومولايَ من أوْ ... رَثَني ذِلَّةً وأضرَعَ خَدِّي

في هذين البيتين الأخيرين لحن من الرمل، أظنه لجحظة أو غيره من طبقته.

قال: ثم وضع الرقعة في مكانها، فلما قرأها الحسنُ قال: إنا لله! افتضحْنا عند الوزير، وحدَّثَ أبا تمام بما كان، ووجَّه إليه بالرقعة، فلقيَا محمدَ بن عبد الملك، وقالا له: إنما جعلنا هذين سبباً للمكاتبة بالأشعار لا للريبة، فتضاحَكَ وقال: ومَنْ يظنّ بكما غير هذا! فكان قولُه أشدَّ عليهما من الخَبر.

---

(١) خلع العذار: خلع الحياء، وانهمك في الغيّ.

قرأتُ في بعض الكتب: كان الحسنُ بن وهب يعاشرُ أبا تمام عِشرةً متَّصلة، فنُدب الحسنُ بن وهب للنظر في أمر بعض النواحي، فتشاغلَ عن عِشرة أبي تمام، فكتب إليه أبو تمام: [البسيط]

قالوا جفاكَ فلا عَهْدُ ولا خَبرٌ ... ماذا تراهُ دهاهُ؟ قلتُ: أيلولُ
شهرٌ كأنّ حِبالَ الهَجر منهُ فلا ... عَقْدٌ مِنَ الوَصْلِ إلاّ وَهْوَ مَحلولُ

فأجابه الحسن:

ما عاقَني عنكَ أَيلولٌ بلذَّته ... وطِيبِهِ ولنعمَ الشَّهْرُ أيلولُ
لكن توقّعْ وَشْكَ البَيْنِ عن بَلَدٍ ... تَحْتَلُّهُ ووِكاء العين مَحلولُ

[هجوه ابن أبي دواد والهيثم الغنوي]

وقرأت فيه: كان بين الحسن بن وهب وبين الهيثم الغَنَويّ وأحمد بن أبي دواد تباعدٌ، فقال يهجوهما: [الوافر]

سَأَلْتُ أبي وكانَ أبي خبيراً ... بِسُكّانِ الجزيرةِ والسّواد
فقلت له: أَهَيْثَمُ من غَنِيٍّ؟ ... فَقَالَ كأحمدَ بن أبي دُواد
فإنْ يَكُ هَيْثَمٌ مِنْ جَذْمِ قَيْسٍ ... فَأَحْمَدُ غير شَكٍّ من إياد

أخبرني عمي: قال: حدَّثني عُمر بن نصر الكاتب، قال: كتب الحسنُ بن وهب إلى محمد بن معروف الواسطي يسأله أن يصيرَ إليه فكتب إليه محمد: [الوافر]

وَقَيْتُكَ كُلَّ مَكْروهٍ بنفسي ... وبالأَدْنَيْنَ مِنْ أَهْلي وجِنسي
أَتَأْذَنُ في التأخُّرِ عنك يَوْمي ... على أن ليس غيْرُكَ لي بأُنسِ

فأجابه الحسنُ بن وهب، فقال: [الوافر]

أقِمْ لا زِلْتَ تُصْبِحُ في سُرورٍ ... وفي نِعَمٍ مواصلةٍ وتُمسي
فما لي راحةٌ في حَبْسِ مَنْ لا ... أراهُ يَكُونُ مَحْبُوساً بحَبْسي

وكان الحسنُ يومئذ معتقلاً في مُطالبة يُطالب بها.

وجدتُ في بعض الكتب بغير إسناد: كان الحسنُ بنُ وهب يعشق بنات، جاريةَ محمد بن حماد الكاتب، وكان له معها أخبارٌ كثيرة، وكان لا يصبرُ عنها، فقَدِم الحسنُ بن إبراهيم بن رَباح من البصرة، واتصل به خبرُها، ووصفها له الحسنُ بن وهب، وصار به إليها، فأتمَّ ليلتَه معها، ومرَّت بينهما أعاجيب، ثم خالفه

الحسنُ بنُ إبراهيم بن ربَاح، وخاتلَه[1] في أمرها، فكتب إليه الحسنُ بنُ وهب:

[مجزوء الخفيف]

لا جميلَ ولا حَسَنْ	خُنْتَ عَهْدي ولم أخُنْ
كَمُلْتَ إذ فَعَلْتَ هـ	ـذا أعاجيبُ الزّمنْ
فإلى الله أَشْتكي	ما بِقَلْبي مِنَ الحَزنْ
رُبَّ شَكْوى مِنَ الصَّديـ	ـقِ إلى غيرِ ذي شَجَنْ
بأبي أنتَ يا حسنْ	يا أخا الطَّوْلِ والمِنَنْ[2]
أيُّ رَأيٍ أراكَ خَتْـ	ـلِيَ في الشادِنِ الأغَنّْ[3]
يتخطّى إليه ذُو	نِيَ في حالِكِ الدُّجُنْ
فترى منه سُنَّةً	تَتَعالى عَنِ السُّنَنْ
مَعَ كَشْفي لَكَ الحَديـ	ـثَ الذي عنكَ لم يُصَنْ
واعتمادِي زَعمتُ مِنـ	ـكَ على أحصَنِ الجُنَنْ[4]
وعلى خَيرِ صاحبٍ	وعلى خَيْرِ ما سكَنْ
خَجِلي مِنْ إساءةٍ	فَضَحَتْ حُسنَ كُلِّ ظَنّْ
ثم مِمّنْ جرّتْ إلى	مَنْ وفيمَنْ وعند مَنْ؟
إن تَكُنْ تِلْكَ هفوة	فهي كالشيءِ لم يكُنْ
أو تكن بغْتَ خُلّتي	بموافٍ من الثَّمنْ
دُرّة البَحْرِ من عدَنْ	ذُخْر سيفِ بن ذي يَزَنْ
لم يَكُنْ قطُّ مِثْلُها	في مَعَدٍّ ولا عَدَنْ

فتغافل عن جوابه، وأقام على مُواصلتها وسماعها وحَظر عليها، فلم يكن الحسنُ بنُ وهب يلقاها، فغَلُظ ذلك عليه، وكتب إليها بهذه الأبيات: [الكامل]

أنكرتِ مَعْرِفَتي جُعِلْتُ لك الفدا	إنْكارَ سيّدةٍ تُلاعِبُ سَيِّدا

---

(١) خاتله: خادعه.

(٢) الطَّوْل: الفضل.

(٣) الشادن: ولد الظبية.

(٤) الجنن: جمع جنة، وهي الدرع والحصن.

أنـا ذو مـنـعْـتِ جُـفُـونَـهُ أن تـرقُـدا ... وتـركـتِـهِ لَـيْـلَ الـتَّـمـام مُـسـهَّـدا[١]

وبـريـتِ لَـحْـمَ عِـظَـامِـهِ فـتـجـرَّدا ... وأزَرْتِ مَـضْـجَـعَـهُ الـنِّـسـاءَ الـعُـوَّدا

أنـا ذو فـإن لـم تـعـرفـيـنـي بـعـدَ ذا ... فأنـا ابنُ وهـبٍ ذو الـسـمـاحةِ والنَّدى

أشـكُـو إلـى الله الـفـؤادَ الـمُـقْـصَـدَا ... وجوًى ثَوى تحتَ الحَشَا مُتلدِّدا[٢]

وغـريـرة مـا كـنـتُ مِـنْ إشْـفـاقِـهـا ... يـومـاً وإن بَـعُـد الـتَّـلاقـي مُـسْـعِـدَا

يـا ظـبـيـةً فـي رَوْضـةٍ مَـوْلـيَّـةٍ ... جَـادَ الـرَّبـيـعُ تُـرابَـهـا فـتـلـبَّـدا

هـل تـجـزيـنْ الـوُدَّ مـنِّـي مـثـلَـه ... أو تَـصْـدُقـيـنَ مِـنَ الـمـواعِـدِ موعـدَا؟

إنـي وإنْ جَـعَـلَ الـقَـريـضُ يَـجُـولُ بـي ... حتَّـى يـغُـورَ بـمـا أقـولُ ويُـنـجِـدا

لـعَـلَـى يَـقـيـنٍ أنّ قـلـبَـكِ مُـوجَـعٌ ... عِندي المثالُ أنا، الحمى ولكِ الفِدا

وكـمـا عَـلِـمْـتِ إذا لـبسـتِ الـمُـجْـسَـدَا ... وثَنْيتِ خَلْفَ الأذْنِ حاشيةَ الرِّدا[٣]

وحَبَوتِ جيدكِ من حُليِّكِ عَسْجداً ... ونـظـمـت يـاقـوتـاً بـه وزَبـرْجَـدا[٤]

وشَكَوْتِ وجدكِ في الغناءِ شِكايةً ... يُنسِي حُنْيناً والغَريضَ ومَعْبَدا

سِـيَـمـا إذا غَـنّـيـتـنـي بـتـعـمُّـدٍ ... بـأبـي وأمِّـي ذاك مـنـكِ تَـعـمُّـدَا

أثْـوى فـأقـصـرَ لـيـلـةً لـيـزوّدا ... ومـضـى وأخـلـفَ من قُتَيْلةَ موْعِدا

[ابن رباح يكتب إليه]

فوقعت الأبياتُ في يد ابن رباح فقرأها، وعلم أنَّه قد بلغ منه. فكتب إليه:

[الطويل]

فـديً لـكَ آبـائـي وحـقَّ بـأن تُـفـدّى ... فِدًى لك قَصداً من مَلامِكَ لي قَصْدا

ولا تَـلْـحَـنـي فـي عَـثْـرةٍ إنْ عَـثَـرْتُـهـا ... فـلا والـذي أمـسـيـتُ أُدعـى لـه عَـبـدَا

وعـهـدُك يـا نـفـسـي يَـقـيـك مـن الـرّدى ... فـأعـظـمْ بـه عـنـدي وأكـرمْ بـه عَـهْـدا

يـمـيـن امْـرِئٍ بَـرٍّ صَـدوقٍ مُـبـرَّإٍ ... من الإثـم مـا حـاوَلْـتُ هَـزْلاً ولا جِـدّاً

سِـوى مـا بـه أزدادُ عـنـدكَ زُلْـفـةً ... ويُكسبني منك المودَّةَ والحَمْدا[٥]

أرى الـغـيَّ إنْ أومَـأْت لـلـغـيّ طـاعـةً ... لأمركَ فضلاً عن سِوى الغيِّ لي رُشدا

---

(١) أنا ذو منعتِ جفونه النوم: أنا الذي منعتِ جفونه النوم.

(٢) المقصَد: المصاب. والمتلدّد: الباقي.

(٣) المجسد: المصبوغ بالزعفران.

(٤) الزبرجد: حجر كريم يشبه الزمرّد.

(٥) زلفة: قربة.

وأَسْعى لما تَسْعَى وأتبعُ ما ترى … وفي كُلِّ ما يرضيكَ أَسْتغرِقُ الجُهدا
إذا أنا لم أَمْنَحْكَ صَفْوَ مَوَدَّتي … فمن ذا الذي أُصفِي له غيركَ الوُدَّا؟
ومن ذا الذي أرعَى وأشكُرُ والذي … يُؤمِّل خيراً بعدُ منّي أو رِفْدا
وأنت ثِمالي والمعوّلُ والذي … أشدّ به أزري فيعصِمُني شَدًّا[1]
وآثرُ خَلْقِ الله عندي ومن له … أيادٍ ووُدٌ لستُ أُحصيهما عَدًّا[2]
فلا تَحْسَبَنِّي مائلاً عن خليقتي … لك الدهرَ حتى أسكنَ القبرَ واللَّحْدا
معاذَ إلٰهي أن أرى لك خاذلاً … ولكنَّ عُذْري واضحٌ أنّ بي وَجْدا
بأحسنِ مَنْ أبْصَرْتُ شَخْصاً وصُورةً … وأملحِ خلقِ الله كلِّهمُ قَدّا
بمالكةٍ أمري وإن كنتُ مالكاً … لهَا ففؤادي ليس من حُبّها يَهْدا
إذا سألَتْني أن أُقيم عَشيَّةً … لأُونِسَها لا أستطيعُ لها رَدَّا
تُراشِفُني صَفْوَ المودّةِ تارةً … وأجني إذا ما شِئْتُ مِنْ خَدِّها وَردا
قنعْتُ بها لَمَّا وثقتْ بِحُبِّها … فلا زينباً أبْغي سِواها ولا هِنْدا
ولو بُذِلَتْ لي جنّةُ الخُلْدِ منزِلاً … وقلتَ: اجْتَنِبْها لاجْتَنَبْتُ لها الخُلْدا

فلما قرأها الحسن بن وهب علم أنه قد ندمَ فكتب إليه: [المديد]

حسنٌ يشكو إلى حسنِ … فقَدَ طَعْمِ النَّوْمِ والوَسَنِ
وهَوًى أمستْ مَطالِبُه … قُرِنَتْ باليأسِ في قَرَنِ[3]
وحَبيبٌ في محلَّتِهِ … مَعَهُ في الدَّارِ لمْ يَبِنِ
فإذا ما رَامَ زَوْرَتَهُ … فهو كالغادينَ في الظُّعُنِ
عجباً للشَّمْسِ لم تَرَها … مُقلَتي حَولاً ولم ترني
أتراها بعدَنا صَرَمتْ … حبَّنا هذا من اليَمنِ[4]
فقديماً كان مَطْلَعُها … بيديْ سَيْفِ بنِ ذي يزَنِ

فكتب إليه ابن رَباح: [المديد]

حسنٌ يَفدي بمُهجته … حسناً مِنْ حادِثِ الزّمنِ

(١) ثمالي: ملجئي وغياثي.
(٢) آثر: أحبّ. والأيادي: جمع يد، وهي النعمة.
(٣) القَرَن: الحبل.
(٤) صرمت: قطعت.

ويَـقِـيـهِ مـا تـضـمَّـنَـهُ مِـنْ دَخـيـلِ الـهَـمِّ والـحـزَنِ
هـاكَ عـيـنـي فـابْـكِ واقـيـةً عينك العبْرَى على الشَّجَنِ
وفـؤادي فـامْـلَـهُ حَـزَنـاً مِـنْ صُـروفِ الـهَـمِّ والـفـتـنِ
إن تَـكُـنْ شَـمْـسُ الـضُّـحَـى حُـجِـبَـتْ عَـنْ سَـلـيـلِ الـمَـجْـدِ مـن يَـمـنِ
فـهْـي حَـيْـرى عـن مَـطـالِـعِـهـا فـي سِـوَى قـوْمِ ابـنِ ذِي يَـزَنِ

ثم اعتذر إليه، ورجع إلى معاشرته، وكان لا يحضُر دار محمد بن حماد، ولا يسمع غناء بنات جاريته إلا مع الحسنِ بن وهب لا يستأثِرُ بها عليه.

وقالَ محمد بن داود الجراح: حدثني بعض أصحابنا أنّ الحسنَ بنَ وهب، أتى أبا إسحاق إبراهيم بن العباس مستعدياً على أبي محمد الحسن بن مخلد في أمر بنات جارية محمد بن حماد، وكان الحسنُ بن وهب يتعشقها، فأفسدها عليه الحسنُ بن مخلد، ولم يذكر محمد بن داود من خبرهما غير هذا، وإنما ذكرت هذه القصة على قلة الفائدة فيها ليتَّضح خبرهُ مع بنات إذ كان ما مضى ذكره من خبرها لم يقع إليّ بروايته.

[بينه وبين أبي تمام]

أخبرني محمدُ بنُ يحيى الصوليّ، قال: حدثني عبد الرحمن بن أحمد، قال: وجدت بخط محمد بن يزيد: كتب أبو تمام إلى الحسن بن وهب يستسقيه نبيذاً:

[الوافر]

جَـعَـلْـتُ فِـداكَ عـبـد الله عـنـدي بـعـقْـبِ الـهَـجـرِ مـنـه والـبـعـادِ
لـهُ لُـمَـةٌ مِـنَ الـكـتّـابِ بِـيـضٌ قَـضـوا حـقَّ الـزيـارةِ والـوِدادِ
وأحـسِـبُ يَـوْمَـهـم إن لـم تـجـدهـم مُـصـادِف دَعـوةٍ مـنـهـم جَـمـادِ
فـكـم يَـوْمٍ مِـنَ الـصَّـهْـبـاءِ سـارٍ وآخـرَ مـنـكَ بـالـمـعـروفِ غـادِ
فـهـذا يَـسْـتَـهِـلُّ عـلـى غَـلِـيـلـي وهـذا يَـسْـتَـهِـلُّ عـلـى تِـلادي
فَـيَـسْـقِـي ذا مَـذانـبَ كُـلِّ عِـرْقٍ ويَـنْـزعُ ذا قـرارةَ كُـلِّ وادِ
دَعَـوْتُـهُـم عـلـيـكَ وكُـنْـتَ مِـمَّـنْ نُـعـيِّـنُـهُ عـلـى الـعُـقَـدِ الـجـيـادِ

قال: فوجّه إليه بمائة دينار ومائة دنٍّ نبيذاً. قال محمد بن داود بن الجراح:

زار الحسنُ بن وهب وأبو تمام أبا نهشل بن حُميد، فبدأ أبو تمام، فقال:

[السريع]

أَغـــصَّـــك اللهُ أبـــا نـــهـــشـــلِ

ثم قال للحسن: أَجِزْ فقال:

بـــخـــدِّ ريـــمٍ شـــادِنٍ أكـــحـــلِ

ثم قال: أجزيا أبا نهشل، فقال:

نَـطْـمَـعُ فـي الـوَصْـلِ فـإن رُمْـتَـهُ صـارَ مَـعَ الـعـيّـوقِ فـي مـنـزِلِ[1]

أخبرني جعفر بن محمد بن قُدامة بن زياد الكاتب قال: كتب الحسنُ بنُ وهب إلى أبي تمام، وقد قدِم من سفَر: جُعِلت فِدَاءك ووقاءك وأسعدني الله بما أوفى عليَّ من مقدمك، وبلَغَ الوَطرُ كلُّ الوطَر بانضمام اليد عليك، وإحاطة الملك بِك، وأهلاً وسهلاً، فقرَّب الله داراً قرّبتْك، وأحيا رِكاباً أدَّتك، وسقى بلاداً يلتقي ليلُها ونهارُها عَليك، وجعلكَ اللهُ في أحصن معاقِله، وأيقظِ محارسِه وأبعدِها على الحوادث مراماً برحمته.

أخبرني الحسنُ بن علي قال: حدثنا محمد بن موسى قال: قال رجل للحسن بن وهب: إنّ أبا تمام سَرَق من رجل يقال له مُكنَف من ولد زهير بن أبي سُلمى، وهو رجل من أهلِ الجزيرة قصيدَته التي يقول فيها: [الطويل]

كـأنّ بـنـي الـقَـعْـقـاعِ يَـوْمَ وفـاتِـهِ نُـجومُ سماءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِها البَدْرُ[2]
تُـوفِّـيـتِ الآمـالُ بـعـدَ مـحـمـدٍ وأصْبَحَ في شُغْلٍ عَنِ السَّفَرِ السَّفْرُ[3]

فقال الحسن: هذا دِعبل حكاه، وأشاعَه في الناس، وقد كذبَ، وشعرُ مكنف عِندي، ثم أَخرجه، وأخرج هذه القصيدة بعينها، فقرأها الرجل فلمْ يَجد فيها شيئاً مما قاله أبو تمام في قصيدته. ثم دخل دعبل على الحسن بن وهب، فقال له: يا أبا عليّ، بلغني أنك قلتَ في أبي تمام كيتَ وكيتَ، فهبه سَرق هذه القصيدة

(١) العيوق: نجم أحمر في طرف المجرة الأيمن.
(٢) خرّ: سقط، هوى.
(٣) السَّفْر: الجماعة المسافرون.

كُلّها، وقبلنا قولَكَ فيه، أَسرق شعرَه كلَّه؟ أَتحسنُ أَنت أن تقول كما قال: [الطويل]

شَهِدْتُ لقد أقوتْ مغانيكُم بَعدي ... ومَحَّتْ كما مُحَّتْ وشائعُ من بُردِ[1]
وأنْجَدْتُمُ من بَعدِ إتهامِ دَارِكُمْ ... فيا دَمْعُ أنجدْني على ساكِني نَجْدِ؟

فانخزل دِعبل واستحيا، فقال له الحسنُ: الندم توبة، وهذا الرجل قد توفِّي، ولعلك كنتَ تُعاديه في الدنيا حسداً على حظِّه منها، وقد مات الآن، فحسبُك من ذكره، فقال له: أصدقك يا أبا عليٍّ، ما كان بيني وبينه شيء قط إلا أني سألتُه أن ينزل لي عن شيء استحسنتُه من شعره، فبخِلَ عليّ به، وأما الآن فأُمسكُ عن ذكره، فجعل الحسنُ يضحَك من قوله واعترافه بما اعترف به.

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال: حدثَنا إسحاق بن محمد النَّخَعي قال: كتب إبراهيم بنُ محمد بن أبي محمد اليزيدي إلى محمد بن حماد الكاتب يهجوه، ويعيّره بعشق الحسن بن إبراهيم بن رباح والحسن بن وهب جاريته وتغايُرهما عليها: [الخفيف]

لي خَليطَانِ مُحكمانِ يُجيدا ... نِ لِمَا يعمَلانِهِ حاذقانِ
واحِدٌ يَعْمَلُ القِسيَّ فَيَأْتِيـ ... ـكَ بها في اسْتِقامةِ الميزانِ
وفَتىً يعمل السكاكينَ في القَرْ ... نِ مقرٌّ بحذقِهِ الثَّقَلانِ[2]
وهما يَطْلُبانِ قَرْناً على رَأْسِـ ... ـكَ فانْظُرْ في بَعْضِ ما يسألانِ
قلت: هلْ يُؤلِمُ الفَتَى قَطْعُ ما فيـ ... ـه تُريدانِ أيُّها الفَتَيانِ؟
فأجابا بلُطفِ قولٍ وفهمٍ ... قُمْ فإنّا إذاً لنَوْكى مَدَانِ
فاقْطَعِ الآن ما بِرَأْسِكَ منها ... إن فيما ترى لمحضُ بيانِ
ذاك خَيْرٌ من أن يُسَمَّى اسْمَ سوءٍ ... فيقالَ انظُروا إلى القَرْنانِ[3]

---

(١) أقوت: خلت. والمغاني: المنازل. ومحّت: بليت واندثرت. والوشائع: الرقوم والطرائق والوشي في الثوب.
(٢) الثقلان: الإنس والجنّ.
(٣) القرنان: الديوث، والقوّاد.

صوت

[الكامل]

قـد كـان عَـتْـبُـكَ مـرَّةً مـكـتـومـا فـالـيَـوْمَ أَصْـبَـحَ ظـاهـراً مـعـلـومـا
نـال الأعـادي سُـؤْلَـهـم لا هُـنِّـئـوا لـمَّـا رأونـا ظـاعـنـاً ومُـقـيـمـا
والله لـو أَبْـصَـرْتَـنـي لأَدَيْـتَ لـي والدَّمع يَجري كالجُمانِ سُجُوما[1]
هـبْـنِـي أسـأتُ فـعـادةٌ لـك أن تُـرى مُـتـجـاوِزاً مُـتـطـاوِلاً مَـظْـلـومـا

الشعر لأحمد بن يوسف الكاتب، والغناء لعُبيد بن الحَسن الناطفي اللّطَفي، ثاني ثقيل بالوسَط، وفيه خفيف رمل يقال إنه لرَذَاذ، وفيه ثقيل أول مجهول.

(١) أديت لي: رفقت بي، أشفقت علي. والجمان: اللؤلؤ. وسجم الدمع: سال.

أخبار أحمد بن يوسف

[توفي نحو سنة ٢١٣هـ /نحو سنة ٨٢٨م]

[اسمه وأصله وعمله وكنيته]

هو أحمدُ بن يوسف بن صبيح الكاتب، وأصله من الكوفة، وكان مذهبه الرسائلَ والإنشاء، وله رسائل معروفة، وكان يتولى ديوان الرسائل للمأمون، ويُكنى أبا جعفر، وكان موسى بن عبد الملك غلامَه وخِرِّيجَه، فذكر محمدُ بن داود بن الجراح أن أحمد بن سَعيد حدّثه عن موسى بن عبد الملك قال: وهب لي أحمد بن يوسف ألفي درهم تفاريق عن ظهر يدٍ.

وأخوه القاسم بن يوسف أبو محمد شاعر مليح الشعر، وكان ينتمي إلى بني عِجْل، ولم يكن أخوه أحمد يدَّعي ذلك. وكان القاسم قد جعل وَكْده[1] في مدح البهائم ومراثيها فاستغرق أكثر شعرِه في ذلك، منها قوله يرثي شاة: [الخفيف]

عـيـنُ بـكِّـي لـعـنـزنـا الـسـوداء كـالـعـروسِ الأدمـاءِ يَـوْمَ الـجِـلاء

وقوله في الشاهَمُرك[2]: [مجزوء الرمل]

أَقْـفَـرَتْ مـنـكَ أبـا سَـعْـ ـدٍ عِـراصٌ وديـارُ

وقوله في السِّنَّوْر: [المتقارب]

ألا قُـلْ لـمُـجَّـةَ أو مـاردة تـبـكِّـي عـلـى الـهِـرَّةِ الـصـائـدة

---

(١) جعل وكده كذا: جعل همه ومراده كذا.

(٢) الشاهمرك: معرب الشاه مرغك ومعناه: ملك الكتكوت وهو الدجاج الفتيّ.

وقوله في القُمْرِيّ[١]: [المجتث]

هـل لامْـرِىءٍ مِـنْ أمـانِ مِـنْ طـارِقِ الـحَـدَثـانِ؟

[بعض أخباره وشعره]

أخبرني محمدُ بن خَلف وكيع قال: حدثنا عبد الله بنُ أبي سعد قال: حدثني رجل من ولد عبد الملك بن صالح أن الهشامي قال: كان أحمدُ بن يوسف قد تبنّى جارية للمأمون اسمُها مُؤنسة، فأراد المأمونُ أن يسافر ويحمِلَها، فكتب إليه أَحمد بن يوسف بهذا الشعر على لسانها، وأمر بعض المغَنِّين، فغناه به، فلما سمعَه وقرأ الكتاب أمر بإخراجها إليه، وهو:

قـد كـان عَـتْـبُـك مـرّةً مـكـتـومـا

وقال محمد بن داود: حدثني أحمد بن أبي خيثمة الأطرُوش قال: عتب أحمدُ بن يُوسف على جارية له، فقال: [المنسرح]

وعـامـلٍ بـالـفُـجـورِ يَـأْمـرُ بـالـبِـ ـرّ كـهـادٍ يـخُـوضُ فـي الـظُّـلَـمِ
أو كـطـبـيـبٍ قـد شَـفَّـهُ سَـقَـمٌ وَهْـوَ يُـداوِي مـن ذلـكَ الـسَّـقَـمِ
يـا واعـظَ الـنـاسِ غَـيْـرَ مـتَّـعِـظٍ نَـفْـسَـكَ طـهِّـرْ أوْ لا فـلا تـلُـمِ

ووجدتُ في بعض الكتب بلا إسناد: عَتب المأمون على مؤنسةَ، فخرج إلى الشَّماسِيّة[٢] متَنزِّهاً، وخلَّفها عند أحمد بن يوسف الكاتب فرجَتْ أن يذكرها إذا صار في مُتنزَّهه، فيرسلَ في حملها، فلم يفعلْ، وتمادى في عتبه، فسألَتْ أحمد بن يوسف أن يقول على لسانها شعراً ترفعُه فقال: [البسيط]

يـا سـيـداً فـقـدُه أغـرى بـيَ الـحَـزَنـا لا ذقـتُ بـعـدكَ لا نـومـاً ولا وَسَـنـا
لا زِلْـتُ بَـعْـدَكَ مَـطْـويّـاً عـلـى حُـرَقٍ أشنا المُقامَ وأشنا الأهلَ والوطَنا[٣]
ولا الْـتَـذَذْتُ بِـكَـأْسٍ فـي مُـنـادمـةٍ مـذ قـيـل لـي: إن عـبدالله قـد ظَـعَـنـا
ولا أرى حَـسَـنـاً تـبـدو مـحـاسـنُـهُ إلاّ تـذكـرتُ شَـوْقـاً وَجْـهَـكَ الـحَـسَـنـا

---

(١) القمري: ضرب من الحمام، مطوّق، حسن الصوت.

(٢) الشماسية: نسبة إلى أحد شماسي النصارى، وهي مجاورة لدار الروم التي بأعلى بغداد. (معجم البلدان ٣/ ٣٦١).

(٣) أشنا: أصله أشنأ خففت همزته، ومعناه: أبغض.

وبعثْ به إلى إسحاق الموصليّ، فغناه به، وقيل: بل بعثْ به إلى سُندُس، فغنَّتْه به؛ فاستحسن ذلك، وقال: لمن هذا الشعر؟ فقال أحمد بن يوسف: لمؤنسة يا سيدي تترضّاك، وتشكو البعد منك، فركب من ساعته، حتى ترضَّاها، ورضِيَ عنها.

ووجدت في هذا الكتاب قال: كنا مع أَحمد بن يوسف الكاتب في مجلس؛ وعندنا قَيْنة، فَتحلاّها أَحمدُ بنُ يوسف، فكتب إلى صاحب المنزل: [مجزوء الرمل]

أنــا رَهْــنٌ لــلــمــنــايــا ... بــيــن إبــرام ونَــقْــضِ
مــن هَــوى ظَــبْــيٍ غــريــرِ ... مــونــقِ الــمــنْــظــرِ غَــض
لــيــتــهــا جــادتْ بــتــقــبــيــ ... ــلٍ لــخــدَّيــهــا وعَــضّ
إن عــجــزتــم عــن شِــراهــا ... لــي بــفَــرْضٍ أو بــقَــرْضِ
فــتــمــنَّــوا لــي جــمــيــعــاً ... أنــهــا قــبــرٌ لــبــعْــضِــي

أخبرني عمي قال: حدثنا الحسنُ بن عُليل قال: ذكر مسعود بن أبي بِشر أنّ أحمدَ بن يوسف دخل يوماً على الفضْل بن سَهل أو أخيه في يوم دَجْن، فأطال مُخاطبته، وكان أحمدُ بن يوسف آنساً به، ففتح دواتَه وكتبَ إليه:

صوت

[الوافر]

أَرى غَــيْــمــاً تــؤلِّــفــهُ جَــنُــوبٌ ... وأحــسِــبُــه ســيــأتــيــنــا بــهــطْــلِ
فــوجْــهُ الــرَّأيِ أنْ تَــدْعــو بــرَطــلٍ ... فــتــشــربــه وتــدعُــو لــي بــرَطــلِ

ودفعها إليه فقرأهما، وضحِك، وقال: إن كان هذا عينَ الرأي قبِلناه، ولم نردّه، ثم دعا بالطعام والشراب، فأتموا يومَهم.

الغِناء في هذين البيتين للقاسم بن زُرزُور ثاني ثقيل بالوسطى.

ومما يغنّى فيه من شعره:

صوت

[الخفيف]

صــدَّ عــنــي مــحــمــدُ بــنُ ســعــيــدِ ... أحــســنَ الــعــالــمــيــنَ ثــانِــيَ جِــيــدِ
لــيــس مِــنْ جَــفْــوَةٍ يَــصُــدُّ ولــكِــنْ ... يَــتَــجَــنَّــى لــحُــسْــنــهِ فــي الــصُّــدودِ

الغناء فيه لزُرزور خفيف رَمل، ذكر ذلك إبراهيم بن القاسم بن زُرزُور عن

أبيه. ومحمد بن سعيد هذا كان من أولاد الكتّاب بسُرّ من رأى، وكان أحمدُ يتعشَّقه.

ومن شعره الذي يُغَنَّى فيه:

صوت [المنسرح]

كم لَيْلَةٍ فيكَ لا صباحَ لها أَحْبَبْتُها قَابِضاً على كبِدي
قدْ غَصَّتِ العَيْنُ بالدُّموعِ وقَدْ وَضَعْتُ خدِّي على بَنانِ يدي[1]
كأنّ قلبي إذا ذكرتُكُمْ فريشةٌ بين ساعِدَيْ أسدِ

الغناء لشارية من رواية طبَّاع، وفيه خفيف رَمَل، ذكر حَبش أنه لأحمد النُّصيبي، وهو خطأ يشبه أن يكون لأحمد بن صَدَقة أو بعض طبقته.

صوت [الكامل]

الرَّاحُ والنَّدْمانُ أَحْسَنُ مَنْظراً في كُلِّ ملتفِّ الحدائقِ رائِقِ
فإذا جمعتَ صفاءَهُ وصفاءَها فارْجُمْ بِكُلِّ مُلمةٍ مِنْ حَالِقِ[2]

الشعر للعَطَوي، والغناء لبَنان ثقيل أول بالوُسطى، وفيه لذكاء وجه الرزة خفيف ثقيل.

(١) البنان: أطراف الأصابع.
(٢) ارجم: اطرد. والملمة: النازلة الشديدة من نوازل الدهر. والحالق: العالي المرتفع في الجبل.

أخبار العطوي

[توفي نحو سنة ٢٥٠هـ /نحو سنة ٨٦٥م]

[اسمه وكنيته وولاؤه]

هو محمدُ بن عبد الرحمن بن أبي عطية مولى بني ليث بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة، ويكنى أبا عبد الرحمن بَصريُّ المولد والمنشَأ. وكان شاعراً كاتباً من شعراء الدولة العباسية، واتصل بأحمد بن أبي دُواد، وتقرَّبَ إليه بمذهَبه، وتقدّمه فيه بقوة جِدالِهِ عليه، فلما تُوفِّيَ أحمد نقصت حاله. وله فيه مدائح يسيرة، ومراثٍ كثيرة. منها ما أنشدنيه الأخفش عن كوثرةَ أَخي العَطَويّ: [الكامل]

حَنَّطْتَهُ يا نصرُ بالكافورِ ... وزففتَه للمنزلِ المهجورِ

هلاّ ببعضِ خِصالِهِ حَنَّطتَهُ ... فيضوعَ أفقُ منازلٍ وقُبورِ؟

تالله لو من نشرِ أخلاقٍ له ... يُعزَى إلى التقديسِ والتطهيرِ

حنّطتَ من سَكَن الثّرى وعلا الرُّبا ... لِتُزوِّدُوه عُدّةً لنُشورِ

فاذهَبْ كما ذهبَ الوفاءُ فإنه ... ذَهَبَتْ به رِيحا صباً ودَبُورِ

واذهبْ كما ذَهَبَ الشَّبابُ فإنَّهُ ... قد كان خيرَ مُصاحِبٍ وعَشيرِ

والله ما أَبَّنْتُهُ لأزيدَهُ ... شَرَفاً ولكن نَفْثَةُ المَصْدورِ[1]

وأنشدني الأخفش للعَطويّ أيضاً يرثي أحمدَ بن أبي دُواد قال: [الطويل]

وَلَيْسَ صَريرُ النعشِ ما تسمعونَهُ ... ولكنه أصلابُ قوم تقَصَّفُ

وليسَ نسيمُ المِسْكِ ريّا حَنُوطِه ... ولكنّه ذاكَ الثناءُ المُخلَّفُ

---

(١) أَبَّنْتُهُ: ذكرت محاسنه رثيته. والمصدور: الذي يشتكي صدَره.

[شعره وتفوّقه على أقرانه فيه]

وذكر محمد بن داود في كتاب الشعراء، فقال: كان له فنٌّ من الشعر لم يُسبَق إليه، ذهب فيه إلى مذهب أصحاب الكلام، ففاقَ جميعَ نظرائه، وخفّ شعرُه على كل لسان، ورُوِي، واستعمله الكتابُ، واحتذَوْا معانيَه، وجعلوه إماماً. قال ابن داود: وحدثني المبرّد قال: كان العَطَويّ ـ وهو عندنا بالبصرة ـ لا ينطق بالشعر، ثم ورد علينا شعرُه لمَّا صار إلى سُرّ مَنْ رأى، وكنّا نتهاداه، وكان مقتّراً عليه رزقه، دَفِراً[١] وسِخاً، منهوماً بالنبيذِ، وله فيه في وصف الصّبوح وذِكر النّدامى والمجالس أحسَنُ قول، وليس له قولٌ يَسقط، فمن ذلك قوله: [مجزوء الرجز]

فِــيـئـي إلـى أهـدى الـسُّـبُـلْ ... قـولاً وعـلـمـاً وعَـمَـلْ[٢]
قـاتَـلَـهـا الله لـقـدْ ... سـامـتـكُـمـا إحدى الـعُـضَـلْ[٣]
تَـقـولُ هـلا رِحـلَـة ... تَـنْـقُـلُـنـا خـيـرَ نُـقَـلْ
أخـشـى عـلـى جـائـلـةِ الآمـ ... ـالِ جـوّالَ الأجَـلْ

أخبرني عليّ بن سليمانَ الأخفش قال: حدثني محمد بن يزيد قال: سمع العَطويُّ رجلاً يحدّث أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب: إن فلاناً قد جمعَ مالاً، فقال عمر بن الخطاب، فهل جمعَ له أياماً؟ فأخذ العطوي هذا المعنى فقال:

[البسيط]

أرفِهْ بِعَيْشِ فتًى يغدو على ثِقَةٍ ... إنّ الذي قَسَمَ الأرزاقَ يرزُقُهُ[٤]
فالعِرْضُ منه مَصونٌ لا يُدنِّسُهُ ... والوَجْهُ منه جَديدٌ ليس يُخْلِقُهُ[٥]
جمعتَ مالاً ففكّرْ هل جَمَعْتَ له ... يا جامعَ المالِ أياماً تُفَرِّقُهُ؟
المالُ عندكَ مخزونٌ لوارثِهِ ... ما المالُ مالُكَ إلا حين تُنْفِقُهُ

ومن قوله في النُّدمان والنّبيذ مما يغنّى فيه ما أنشدنيه الأخفش وغيرُه من شيوخنا:

---

(١) الدَّفِر: النتن.
(٢) فيئي: ارجعي.
(٣) العُضَل: المشكلات التي أعيا الناس حلّها.
(٤) أرفه بعيش فتى: ما أرفه عيشه.
(٥) يخلقه: يبليه.

صوت

[الوافر]

فكم قالوا تمنَّ فقلتُ كاسٌ يَطوفُ بها قضيبٌ في كثيبِ
وَنُدْمانٌ تُساقِطُني حديثاً كَلَحْظِ الحِبِّ أو غضِّ الرَّقيبِ

الغناءُ في هذين البيتين لذكاء وجه الرزة خفيف رَمَل.

أخبرني عمي قال: حدثني كوثرة أخو العَطَوي قال: كان أخي أبو عبد الرحمن يشرب مع أصدقاء له من الكُتّاب، ومعهم قَيْنَة يقال لها: مِصْباح، من أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم غناءً، فما زالوا في قَصْف وعَزفٍ إلى أن انقطع نبيذهم؛ فبقوا حَيارى، وكانوا قريباً من منزلِ أبي العباس أحمد بن الحسين بن موسى بن جعفر بن محمد العلويّ، وكان صديقاً لأبي عبد الرحمن فكتب إليه:

[الخفيف]

يابنَ مَنْ طابَ في المواليدِ مذاً دَمَ جَرّاً إلى الحُسينِ أبيه
أنا بالقربِ منكَ عندَ كريم قد ألحّتْ عليه شُهبُ سِنيه[١]
عندَه قَيْنَةٌ إذا ما تَغَنَّتْ عادَ مِنّا الفَقِيهُ غيرَ فَقيه
تزدَهيني وأينَ مثليَ في الفهـ ـم تُغَنِّيهِ ثُمَّ لا تَزْدهيه؟
مَجْلِسٌ كالرِّياضِ حُسْناً ولكنْ لَيس قطبُ السُّرورِ واللَّهْوِ فيه
فأقِمْه بما به يَمْتَري دَنَّ عجوزٍ خمارةٍ ممتريه][٢]
وبأشياخِك الكرامِ إلى السُّؤْ دَدِ موسى بن جعفرٍ وأبيه
إن تَحشَّمْتَني وإن كان إلاّ مثلَ ما يَأْنَسُ الفَتى بأخيه

قال: فلما وصلت الرقعةُ إلى أبي العباس أرسل إليهم براويةِ شراب، فلم يزالوا يشربون مجتمعين، حتى نَفِدتْ في أخفَضِ عيش.

حدثني أبو يعقوب إسحاق بن الضحّاك بن الخصيب الكاتب قال: جاءني يوماً أبو عبد الرحمن العَطَوي بعد وفاة عمي أحمد بن الخصيب بسنتين، وكان صديقَه وصنيعتَه، فجلس عندي يحادثُني حديثَه، ويبكي ساعة طويلة، ثم تغيّمت السماءُ وهطلت، فسألته أن يقيم عندي، فحلف ألا يفعَلَ إلا بعد أن أُحْضِرَه من

(١) شهب: جمع أشهب وشهباء. والسنة الشهباء: المجدبة، القاحلة.
(٢) امتراه: استخرجه.

وقتي ما راج من الطعام، ولا أتكلَّف له شيئاً، ففعلت وجئتُه بما حضر، فقال لي: ما فعلتْ عُقَدُ؟ قلتُ: باقية، وهي في يومنا هذا مقيمةٌ عندي، والساعةَ تسمع غناءَها، فقال لي: عجِّل إذن فإنّ النهار قصيرٌ، ثم أنشأ يقول: [الخفيف]

أدِرِ الكَأسَ قد تعالى النّهارُ ... ما يُميتُ الهُمومَ إلا العُقارُ
صاح هذا الشِّتاءُ فاْغدُ عليها ... إنّ أيامَهُ لِذاذٌ قِصارُ
أيُّ شَيْءٍ أَلَذُّ مِنْ يَوْم دَجْنٍ ... فيه كأسٌ على النّدامى تُدَارُ
وقيانٌ كأنهنَّ ظِباءٌ ... فإذا قُلْنَ قالتِ الأوْتارُ

حدثني عمي قال: حدثني كوثرة قال: كان لأبي عبد الرحمن صديقٌ من الأدباء، وكان يتعشّق جارية من جواري القيان يقال لها عَثْعَث، وكان لا يقدر عليها إلا على لقاء عسير، واجتماع يسير، فأرسل إليها يوماً، فأحضرها وأصلح جميع ما يحتاج إليه، واتفق أن كان ذلك في يوم رذاذ[1] به من الطِّيب والحُسن ما الله به عليم، فكتب إلى صديقه يعرفه الخبر، ويسأله المصيرَ إليه ووصف له القصة بشعرٍ، فقال: [المتقارب]

يَوْمٌ مطيرٌ وعَيْشٌ نضيرُ ... وكأسٌ تدورُ وقِدرٌ تفورُ
وعثْعثُ تَأتي إذا جئتَنا ... فَتَسْمَعَ منها غِناءً يَصُورُ[2]
وعندي وعندك ما تشتَهيـ ... ـهِ شِعْرٌ يمرُّ وعِلمٌ يدورُ
وإذْ كان هذا كما قد وَصَفْتُ ... فإن التَّفَرُّقَ خَطْبٌ كبيرُ
فَقُمْ نَصْطَبِحْ قبل فوتِ الزّمانِ ... فإنّ زمانَ التَّلهِّي قصيرُ

قال: فسار إليه صاحبُه فمرّ لهما أحسنُ يوم وأطيبُه.

وهذا الشعر أخذه العَطويّ من كلام إسحاق، أخبرني به وَسْوَاسَة بن الموصلي عن حماد عن أبيه قال: كان يألفُني بعضُ الأعراب وكان طيباً، فجاءني يوماً، فقلت له: لم أرَكَ أمسِ، فقال: دعاني صديق لي، فقلتُ: صف لي ما كنتُم فيه، فقال لي: كنا في مجلس نِظَامُه سرور بين قُدور تَفور، وكأسٍ تدور، وغِنَاء يصور، وحديثٍ لا يجور ونَدامَى كأنهم البُدور.

قال إسحاقُ: وقلت لأعرابي كان يألفني: أين كنت بالأمس؟ قال: كنت عند

(١) الرذاذ: المطر الخفيف.
(٢) يَصُور: يميل.

بعض ملوك سُرّ من رأى، فأدخلني إلى قُبة كإيوان كسرى، وأطعمني في قِصَاع تَتْرى، وغنتْني جاريةٌ سَكْرى، تلعب بالمضرابِ كأنه مِذْرى، فيا ليتني لقيتها مرة أُخرى.

قال إسحاق: وقلت لبعض الأعراب: طلبتُك أمس فلم أجدْكَ فأين كنتَ؟ قال: كنتُ عند صديقٍ لي، فأطعمني بناتِ التَنانير[٣]، وأطعمني أُمّهاتِ الأبازير[٤] وحلواء الطَّناجِير[٥]، وسقاني رُعاف القوارير[٦]، وأسمعني غناءَ الشادِنِ الغَرير، على العيدانِ والطّنابير، قد مُلِكتْ بأوقار الدراهِم والدَّنانير.

قرأت في بعض الكتب بغير إسنادٍ أنّ العطوي كان يوماً جالساً في منزله، وطرقه صديقٌ له ممن كان يغنّي بِسرّ من رأى، فقال له: قد أهديتُ إليك جواريَّ اليوم ونبيذاً يكفيك، وحسبُك بالكفاية. وأقام عنده، فدخل عليه غلام أمردُ أحسنُ من القمر، فاحتبَسوه وكتب العَطويّ إلى صديقٍ له من أهل الأدب: [الخفيف]

يَوْمُنا طَيِّبٌ بـه حُسْنُ القَصْـ ... فِ وحثُّ الأرطالِ والكاساتِ
ما تَرَى البَرْقَ كيف يَلْمَعُ فيه ... ورشاشاً يَبُلُّ في الساعاتِ[٧]
ولديْنا ظَبْيٌ غريرٌ ظريفٌ ... قد غَنِينا به عَنِ القَيْنَاتِ
إنْ تَخَلَّفْتَ بعد ما تَصِلُ الرّقعـ ... ـةُ عَنّا فأنتَ في الأمواتِ

فأجابه الرجلُ فقال:

أنا في إثر رُقعتي فاعْلَمَنْ ذَا ... كَ على أنّني مِنَ البُيّاتِ
فافهم الشَّرْطَ بَيْنَنا لا تَقُلْ لي ... قد تثاقَلْتَ فانْصَرِفْ بحياتي
لا لسَوءٍ لكن لأُمتِعَ نَفسي ... بحديثِ الظَّبْيِ الغريرِ المواتِي

صوت

[الطويل]

أيا بَيْتَ ليلَى إنَّ ليلى مريضةٌ ... بِراذان لا خالٌ لديْها ولا ابنُ عمّْ
ويا بَيْتَ ليلى لو شَهِدتُكَ أعْوَلَتْ ... عليكَ رجالٌ مِنْ فَصيحٍ ومن عَجَمْ

---

(١) بنات التنانير: الخبز.
(٢) الأبازير: التوابل.
(٣) الطناجير: القدور.
(٤) الرعاف: الدم يخرج من الأنف، شبه به الخمر لشدّة حمرتها.
(٥) الرشاش: المطر الخفيف.

ويا بيتَ ليلَى لا يَبِسْتَ ولا تَزَلْ بلادُك سُقياها مِنَ الواكِفِ الدِّيَمْ[١]

الشعر لمرة بن عبد الله النَّهدي، والغناء لأحمد النُّصَيبي ثقيل أول بالوسطى، يقال إنه لحُنَين.

(١) الواكف: المطر المنهلّ. والديم: جمع ديمة، وهي السحابة.

أخبار مرة ونسبه

[اسمه ونسبه]

هو مُرة بن عبد الله بن هُليل بن يسار، أحد بني هِلال بن عَصَم بن نصر بن مازن بن خُزيمة بن نَهد، وليلى هذه من رهطه، يقال لها ليلى بنت زهير بن يَزيد بن خالد بن عمرو بن سَلَمة.

[حبه امرأة من بني نهد اسمها ليلى وشعره فيها وأخباره]

نسخت خبرَها من كتاب ابن أبي السَّرِيّ قال: حدثني ابن الكلبي عن أبيه قال: كانت امرأة من بني نَهد، يقال لها ليلَى بنت زهير بن يَزيد، وكان لها ابن عم يقال له مرّة بن عبد الله بن هليل يهواها، واشتد شغَفُه بها فخطَبها، وأَبوْا أن يزوِّجوه، وكان لا يخطبها غيرُه إلاَّ هجاه، فخطبها رجل من بني نَهْشَل، يقال له: إران، فقال مرّة يهجوه: [الطويل]

وما كُنْتُ أخشَى أن تَصيرَ بمَرَّةٍ ... مِنَ الدّهْرِ ليلى زوجةً لإرانِ
لمن ليس ذا لُبٍّ ولا ذا حفيظةٍ ... لعِرسٍ ولا ذا منطِقٍ وبَيانِ[1]
لقد بُلِيَتْ ليلى بِشَرٍّ بليَّةٍ ... وقد أُنزلتْ ليلى بدارِ هَوانِ

قال فتزوجَها المِنجابُ بن عبد الله بن مسروق بن سَلَمة بن سعد، من بني زُوَيّ بن مالك بن نَهد، فخَرج إلى البعْثِ براذَان، وهي إذ ذاك مَسْلَحةٌ لأهل الكوفة، فخرج بها معه، فماتت براذَان ودُفِنتْ هناك. فقدم رجُلان من بَجيلة من

(١) الحفيظة: الحمية.

مكتبهما براذَان من بني نهد، وكانتْ بجيلة جيرانَ بني نهد بالكوفة، فمرًّا على مجلسهم، فسألوهما عمن براذَان من بني نهدٍ، فأخبراهم بسلامتهم، ونعيا إليهم ليلى، ومُرّة في القوم، فأنشأ يقول: [الطويل]

أيا ناعِيَيْ ليلَى أما كان واحدٌ مِنَ النَّاسِ ينعاها إلَيَّ سواكما
ويا ناعييْ ليلى أَلَمْ تَكُ جيرَةً عليكم لها حقٌّ فألاَّ نَهاكما
ويا ناعِيَيْ ليلى لقد هِجْتُما لنا تجاوُبَ نَوْحٍ في الدِّيارِ كِلاكُما
ويا ناعِيَيْ ليلى لَجَلَّتْ مُصِيبَةٌ بنا فقدُ ليلَى لا أُمِرَّت قواكما[1]
ولا عِشْتُما إلا حليفَيْ بَلِيَّةٍ ولا مِتُّ حتى يُشْتَرى كَفنَاكما
فأشْمَتَ والأيامُ فيها بوائِقٌ بِمَوْتِكما إني أُحِبُّ رَدَاكما[2]

وقال فيها أيضاً: [الطويل]

كأنك لم تُفجَع بشَيْءٍ تعدُّه ولم تصطبرْ للنائباتِ من الدَّهْرِ
ولم تَرَ بُؤْساً بعد طولِ غضارةٍ ولم ترمِكَ الأيامُ من حيثُ لا تدري[3]
سقى جانبيْ راذَان والساحةَ التي بها دَفَنوا ليلى مُلِثٌّ من القَطرِ[4]
ولا زال خِصْبٌ حيث حلَّتْ عظامها براذانَ يُسقَى الغَيْثُ منَ هَطِلٍ غَمْرِ
وإن لم تُكَلِّمْنا عظامٌ وهامَةٌ هناك وأصداءٌ بَقِينَ مَعَ الصَّخْرِ

وقال فيها: [الطويل]

أيا قَبْرَ ليلى لا يَبِسْتَ ولا تَزَلْ بلادُكِ تَسقيها من الواكفِ الدِّيمْ
ويا قَبْرَ لَيلى غُيِّبَتْ عنك أُمها وخالَتُها والناصحونَ ذوو الذِّمَمْ
ويا قَبْرَ ليلى كم جمالٍ تُكِنُّهُ وكم ضُمَّ فيكَ من عَفافٍ ومِنْ كَرَمْ

وساق باقي الأبياتِ التي فيها الغناءُ.

وحكى الهيثم بن عدي عن شيخ من بني نهد، أنّ مرة كان تزوجَها، وكان مكتبه براذان، وأخرجها معه، ثم ضُرِب عليه البعث إلى خراسان، فخلّفها عند شيخ من أهل منزله هناك، وأفرد لها الشيخ داراً كانت فيها، ومضى لبَعثه، ثم قدم بعد

---

(١) جلّت: عظمت. أُمِرَّت: اشتدّت.
(٢) البوائق: الدواهي. والردى: الموت.
(٣) الغضارة: النعمة، سعة العيش.
(٤) الملثُّ: المطر الشديد.

حول، فلقِيَ فتى من أهل راذان قبلَ وصوله إلى دارها، فسأله عنها، فقال: أترى القبرَ الذي بِفنَاء الدار؟ قال: نعم، قال: هو والله قبرها، فجاء، فأكبّ عليه يَبكي، ويندُبُها، وترك مكتبَه، ولزم قبرَها يغدو ويروح إليه، حتى لحِق بها.

صوت

[مجزوء الخفيف]

بـــأبـــي أنـــتَ يـــابـــن مَـــن ... لا أُســـمِّـــي لـــبـــعـــضِ مـــا
يـــا شَـــبِـــيـــهَ الـــهـــلالِ مـــثـــ ... ـلُـــك فـــي الأُفـــقِ أنـــجُـــمـــا
راقـــــبِ الله فـــــي أســـــ ... ـيـــرك إن كـــنـــت مُـــسْـــلِـــمـــا

الشعر لعليّ بن أمية والغناء لعمر المَيْداني رَمل مطلق.

أخبار علي بن أمية

[أخباره وبعض شعره]

علي بن أمية بن أبي أمية، وكان أبوه يكتبُ للمهديِّ على ديوان بيت المال وديوانَي الرسائل والخاتَم، وكان منقطعاً إلى إبراهيم بن المهدي، وإلى الفضل بن الربيع، وقد تقدم خَبرُ أخيه محمد في مواضع من هذا الكتاب.

فحدّثني أحمدُ بن عُبيد الله بن عمّار قال: حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني محمد بنُ علي بن أمية قال: لما قدم عليُّ بنُ أمية، وقال:

صوت

[المنسرح]

يا ريحُ ما تَصْنَعينَ بالدِّمَنِ؟ كم لك من محوِ منظَرٍ حَسَنِ
محوتِ آثارنا وأحدثتِ آ ثاراً بربْعِ الحَبيبِ لم تَكُنِ
إنْ تَكُ يا رَبْعُ قد بَليتَ من الرِّيحِ فإني بالٍ من الحَزَنِ
قد كان يا ربعُ فيك لي سَكَنٌ فَصِرْتُ إذ بان بعدَه سَكَني
شبّهتُ ما أبْلَتِ الرِّياحُ مِن آ ثار حبيبي الثَّأى بلا بَدَنِ[1]
يا رِيحُ لا تطمِسي الرُّموسَ ولا تَمْحِي رُسومَ الدِّيارِ والدِّمنِ
حاشاك يا رِيحُ أن تَكُونَ على العاشِقِ عَوْناً لحادِثِ الزَّمنِ

(١) الثأى: الجرح.

كَثَّر الناسُ فيه، وغناه عمرو الغزال، فقال أبو موسى الأعمى: [المنسرح]

يا رَبُّ خُذْني وخُذْ عَلِيّاً وخُذْ يا رِيحُ ما تَصْنَعينَ بالدِّمَنِ
عَجِّل إلى النار بالثلاثة والرا بع عمرو الغَزَال في قَرَنِ

ثم ندم، وقال: هؤلاء أهلُ بيت، وهم إخوتي، ولا أحبّ أن أُنشِب بيني وبينهم عداوةً وشرّاً، فأتى أميّةَ فقال: إني قد أذنبت فيما بيني وبينكم ذنباً، وقد جئتك مُستجيراً بك من فتيانك، فدعا بعليٍّ بن أمية، فقال: يا هذا، عمُّك أبو موسى قد أتاك معتذراً من الشعر الذي قاله، قال: وما هو؟ فأنشده، فقال: قد ضَجِرنا نحن والله منه كما ضَجِرتَ أنت وأكثر، وأنت آمِنٌ من أن يكون منا جوابٌ، وأتى محمد بن أمية، فقال له مثل ذلك، ومضى أبو موسى، فأخذ عليٌّ بن أمية رقعة فكتب فيها: [المنسرح]

كم شاعِرٍ عند نَفْسِهِ فَطِنٍ ليس لدينا بالشَّاعِرِ الفَطِنِ
قد أَخْرَجَتْ نَفْسَهُ بغُصَّتِها يا رِيحُ ما تصنَعينَ بالدِّمنِ

ودفع الرقعةَ إلى غلام له، وقال: ادفعها إلى غلام أَبي موسى، وقل له: يقول لكَ مولاك: اذكرني بهذا إذا انصرفتَ إلى المنزل، فلما انصرف إلى المنزل أتاه غلامُه بالرقعة، فقال: ما هذه؟ فقال: التي بعثت بها إليَّ، فقال: والله ما بعثتُ إليك رقعة، وأظن الفاسق قد فعلها، ثم دعا ابنه، فقرأها عليه، فلما سمع ما فيها قال: يا غلام، لا تنزع عن البغلة. فرجع إلى عليّ بن أمية، فقال: نشدتك الله أن تزيد على ما كان، فقال له: أنت آمن.

لحن عمرو الغزال في أبيات عليّ بن أُمية رمل بالوسطى.

وقال يوسف بن إبراهيم: حدّثني إبراهيم بن المهديّ قال: حدثني محمد بن أيوب المكي، أنه كان في خدمة عُبيدِ الله بن جعفر بن المنصور، وكان مستخِفّاً لعمرو الغزال، محبّاً له، وكان عمرو يستحق ذلك بكل شيء، إلا ما يدَّعيه، ويتحقّقُ به من صناعة الغناء؛ وكان ظريفاً أَدِيباً نظيفَ الوجه واللباس، معه كلُّ ما يحتاج إليه من آلة الفتُوّة، وكان صالح الغناء، ما وقف بحيث يستحقّ، ولم يدع ما يستحقه، وأنه كان عند نفسه نظير ابن جامع وإبراهيم وطبقتهما، لا يرى لهم عليه فضلاً ولا يشكّ في أنَّ صنعتهم مثلُ صنعتِه، وكان عبيد الله قليلَ الفهم بالصناعة، فكان يظن أنه قد ظفر منه بكنز من الكنوز، فكان أحظى الناس عنده من استحسن

غناء عمْرو الغَزَال وصنعته. ولم يكن في ندمائه مَن يفهم هذا، ثم استزار عبيدُ الله بن جعفر أخاه عيسى، وكان أفهمَ منه، فقلت له: استعن برأي أخيك في عمرو الغزال؛ إنه أفهمُ منك! وكانت أُمُّ جعفر كثيراً ما تَسأل الرشيد تحويل أخيها عبيد الله وتقديمه والتنويه به، فكان عيسى أخوه يُعرّف الرشيد أنه ضعيف عاجز لا يستحق ذلك، فلما زاره عيسى أسمعه غناء عمرو، فسمع منه سُخْنَةَ عين، فأظهر من السرور والطّرب أمراً عظيماً، ليزيد بذلك عُبيدَ الله بصيرةً فيه، ويجعلَه عيسى سبباً قوياً يشهد عند الرشيد بضعف عقله. وعلمتُ ما أراد، وعرفت أن عمراً الغزال أول داخل على الرشيد، فلما كان وقت العصر من اليوم الثاني، لم نشعر إلا برسول الرشيد قد جاء يطلب عمراً الغزال، فوجّه إليه وأقبل يلومني ويقول: ما أظنك إلا قد فرقتَ بيني وبين عمرو، وكنتَ غنياً عن الجمع بينه وبين عيسى، واتفق أن غنّى عمرو الرشيد في هذا الشعر صنعته: [المنسرح]

يا رِيحُ ما تَصْنَعينَ بالدِّمنِ؟ كم لك مِنْ مَحْوِ مَنْظَرٍ حَسَنِ

وكان صوتاً خفيفاً مليحاً فأطربه، ووصله بألف دينار، وصار في عِداد مُغَنّي الرشيد، إلا أنه كان يلازم عبيدَ الله إذا لم يكن له نوبة، فأقبلتُ أتعجّب من ذلك، واتّصلت خدمته إياه ثلاث سنين، ثم انصرفا يوماً من الشّمّاسية مع عبيد الله بن جعفر، فلقيَه الخضر بنُ جبريل، وكان في الناس في العسكر، فعاتبه عبيد الله على تركه وانقطاعه عنه، فقال: والله ما أفعل ذلك جَهلاً بحقك، ولا إخلالاً بواجبك، ولكنا في طريقين مُتباينين لا يمكن معهما الاجتماع. قال: وما هما ويحَكَ؟ قال: أنت على نهاية السَّرف في مَحبَّة عمرو الغزال، وأنا على نهاية السّرف في بغضه، وأنت تتوهم أنه لا يطيب لك عيش إلا به، وأنا أتوهم أني إن عاشرتهُ ساعة متّ، وتقطعتْ نفسي غيظاً وكمداً، وما يستقيم مع هذا بيننا عشرة أبداً، فقال له عبيدُ الله: إذا كان هذا هكذا فأنا أُعفيك منه إذا زرتَني، فصِرْ إليَّ آمناً، ولم يجلس عبيدُ الله حتى قال لحاجبه لا تُدخِل اليومَ أحداً، ولا تستأذن عليَّ لجلوسه ودخلنا، فلما وُضِعَت المائدة لم يأكل ثلاث لُقَم، حتى دخل الحاجبُ فوقف بين يديه، وأقبل عمرو الغزال خلفَه، فرآه من أقصى الصحن[1]، فقال له عبيدُ الله: ثكلتْك أُمُّك! ألم أقل لك لا تُدخل عليّ أحداً من خلق الله؟ فقال له الحاجب: امرأته طالقٌ ثلاثاً إن

---

(١) صحن الدار: ساحتها.

كان عنده أن عمراً عندك في هذا المجرى، ولو جاء جبريل وميكائيل وكلّ مَن خلق الله لم يَدخلوا عليك إلا بإذن سوى عمرو؛ فإنك أمرتني أن آذن له خاصة وأن يدخُلَ متى شاء، وعلى كلِّ حال. قال: ولم يفرغ الحاجبُ من كلامه حتى دخل عمرو، فجلس على المائدة وتغيّر وجهُ الخضر، وبانت الكراهةُ فيه، فما أكل أكلاً فيه خير، وتبيَّن عبيد الله ذلك، ورُفعت المائدة وقُدِّم النبيذ، فجعل الخِضر يشرب شرباً كثيراً لم أكن أعهده يشرب مثلَه، فظننت أنه يريد بذلك أن يستتر من عمرو الغزال، وعمرو يتغنَّى، فلا يقتصر وكلما تغنَّى قال له عبيد الله: لمن هذا الصوتُ يا حبيبي؟ فيقول: لي، وعندنا يومئذ جوارٍ مطربات محسنات، وهو يقطع غناءهنّ بغنائه، وتبينت في وجه الخضر العربدة إلى أن قال عمرو بعقب صوت: هذا لي، فوثب الخِضر وكشف استه وخَرِي في وسط المجلس على بساط خزٍّ لم أر لأحد مثلَه، ثم قال: إن كان هذا الغناء لك، فهذا الخراء لي، فغضب عبيد الله، وقال له: يا خِضر أكنت تستطيع أن تفعل أكثر من هذا؟ قال: إي والله أيها الأمير، ثم وضع رجليه على سلحه، ثم أخرجَهما فمشَى على البساط مُقْبلاً ومُدبراً، حتى خرج وقد لوَّثه، وهو يقول: هذا كله لي، وتفرَّقنا عن المجلس على أقبح حال وأسوئها، وشاع الخبر، حتى بلغ الرشيد، فضحِك حتى غُلِب عليه، ودعا الخضر، وجعله في نُدمائه منذ يومئذ، وقال: هذا أطيب خلق الله، وانكشف عنده عُوارُ[1] عمرو الغزال واسترحنا منه، وأمر أن يُحْجَبَ عنه، فسقط يومئذ، وقد كان الجواري والغِلمان أخذوه ولَهِجوا[2] به، وكان الرشيد يكايد به إبراهيم الموصلي وابن جامع قبل ذلك فسقط غِناؤه أيضاً منذ يومئذ، فما ذكر منه حرفٌ بعد ذلك اليوم إلا صنعتَه في:

يــا ريــحُ مــا تــصــنــعــيــن بــالــدِّمــنِ

ولولا إعجابُ الرشيد به لسقط أيضاً.

[وصف مجلس لهو]

حدثني الحسن بن علي عن محمد بن القاسم عن أبي هِفّان قال: كنا في مجلس، وعندنا قَينة تغنينا، وصاحبُ البيت يهواها، فجعلت تكايده، وتومىء إلى

(١) عوار: عيب، وشين، وقبح.
(٢) لهج به: أولع به.

غيره بالمزح والتَّجْميش وتغيظُه بجَهدها، وهو يكاد يموت قلقاً وهمّاً، وتَنَغَّص عليه يومُه، ولجَّتْ في أمرها، ثم سقط المِضرابُ عن يدها، فأكبَّت على الأرض لتأخذه، فضرَطت ضَرطةً سمعها جميعُ من حضر، وخَجِلت، فلم تَدْرِ ما تقول فأقبلت على عشيقها فقالت: أيشٍ تشتهي أن أُغني لك؟ فقال غَنِّي:

يا ريحُ ما تصنعين بالدِّمَنِ

فخجِلت وضحك القوم وصاحبُ الدار، حتى أفرطوا، فبكتْ وقامتْ من المجلس، وقالت: أنتم والله قوم سِفل، ولعنة الله على مَنْ يُعاشركم، وغضِبَتْ وخرَجَتْ، وكان ـ عَلِم الله ـ سببَ القطيعة بينهما وسلوّ ذلك الرجل عنها.

أخبرني ابن عمّار وعمي والحسن بن علي، قالوا: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثنا الحسين بن الضحاك: قال: كنت في مجلس قد دعينا إليه، ومعنا عليّ بن أمية، فعلقتْ نفسُه بقَيْنة دعيتْ لنا يومئذ، فأقبل عليها فقال لها: أَتُغنّين قوله: [الخفيف]

خَبِّريني مَنِ الرَّسولُ إليكِ؟ واجْعَليهِ مَنْ لا يَنمُّ عليكِ[1]
وأشيري إليَّ مَنْ هُوَ باللَّحْـ ـظِ ليَخفَى على الذين لَديكِ

فقالت: نعم، وغنتْه لوقتها وزادت فيه هذا البيت، فقالت:

وأَقِلّي المُزاحَ في المَجْلِسِ اليَوْ مَ فإن المُزاحَ بينَ يديكِ

ففطن لِما أرادتْ وسُرّ بذلك، ثم أقبلت على خادم واقف فقالت له: يا مسرور، اسقني، فسقاها، وفطِن ابنُ أُمية أنها أرادت أن تعلمه أن مسروراً هو الرسول، فخاطبه، فوجده كما يريد، وما زال ذلك الخادم يتردَّد في الرسائل بينهما.

---

(١) نمّ الحديث، سعى به، وشى.

أخبار عمر الميداني

هو رجل من أهل بغداد كان ينزل المَيدان[١] فعرف به، وكان لا يفارق محمداً وعليّاً ابنيْ أمية وأبا حشيشة، ينادمهم ويغنّي في أشعارهم، وكان منزله قريباً منهم، وهو أحد المحسنين المتقدمين في الصنعة والأداء.

حدثني جحظةُ قال: سمعتُ ابنَ دقاق في منزل أبي العُبَيس بن حَمدون يقول: سمعت أبا حَشيشة والمسدود، ومَن قبلَهما من الطُّنبوريين، فما سمعتُ منهم أصحَّ غناءً ولا أكثرَ تصرفاً من عُمر الميداني.

حدثني جحظةُ قال: حدثني علي بن أمية قال: دخلتُ يوماً على عمر الميداني، وكان له بقَّال على باب داره ينادمه ولا يفارقه، ويقارضه[٢] إذا أعسر، ويتصرّفُ في حوائجه، فإذا حصلتْ له دراهمُ دفعها إليه يقبض منها ما رأى، لا يسأله عن شيء، فوجدتُ عنده يومئذ هذا البقالَ، فقال لنا عمر: معي أربعة دراهم تُعطوني منها لعلف حماري دِرهماً، والثلاثة لكم، فكلوا بها ما أحببتم. وعندي نبيذٌ، وأنا أُغنيكم، والبقال يُحضِرنا من الأبقال اليابسةِ ما في حانوته. فوجّهْنا بالبقال فاشترى لنا بدرهم لحماً، وبدرهم خبزاً، وبدرهم فاكهةً وريحاناً، وجاءنا من حانوته بحوائج السِّكبَاج[٣] ونُقْل. فبينا نحن نتوقع الفراغَ من القدر إذا بفُرَانق[٤] يدقُّ الباب، فأدخله عمر فقال له: أجب الأمير إسحاق بنَ إبراهيم. فحلف علينا عمرُ بالطلاق ألاّ نبرح، ومضى هو؛ وأكلنا السِّكباج وشربنا وانصرف عِشاءً. وبَكر

(١) الميدان: محلة ببغداد. (معجم البلدان ٥/ ٢٤٢).

(٢) يقارضه: يعطيه قرضاً (دَيْناً).

(٣) السِّكباج: ضرب من الطعام فيه لحم وخلّ.

(٤) فرانق: رسول.

إليَّ رسولُه في السَّحَر أن صِرْ إليَّ، فصرت إليه، فقلت: أعطني خبرك من النَّعل إلى النَّعل[1]. قال: دخلتُ فوُضِعَتْ بين يديّ مائدة كأنها جَزْعة[2] يمانية قد فُرِشت في عِراصِها الحِبَرُ فأكلتُ وسُقيتُ رطلين، ودُفع إليَّ طُنبورٌ. فدخلت إلى إسحاق، فوجدته في الصدر جالساً، وخلفه ستارة، وعن يمينه مُخارق وعن يساره علّويه. فقال لي: أنت عُمر الميداني؟ فقلت: نعم، فقال: أأكلت؟ فقلت: نعم، قال: هاهنا أو في منزلك؟ فقلتُ: بل هاهنا، قال: أحسنت، فغنّ بصوتك الذي صنعته فيَّ: [مجزوء الخفيف]

يا شبيه الهلال كُلِّل في الأفْق أنجُما

وهو رَمَل مطلق، فغنّيته فضربَ الستارةَ. وقال: قولوه أنتم، فقالوه، فقال لمخارق وعلّويه: كيف تسمعانِ؟ فقالا: هذا والله ذا. وذا ذاك، فرددتُه مراراً. وشرب عليه، وقال لي: أنا اليوم على خلوة ولك عليّ دعوات، فانصرف اليومَ بسلام. فخرجت ودفع إليَّ الغلام خمسة آلاف درهم. فهي هذه، والله لا استأثرتُ عليكم منها بدرهم. فلم نزل عنده نقصِفُ حتى نَفِدَت.

صوت

[الهزج]

أميـنَ الـخـالِـقِ الـبـاري ... وراعـي كُـلِّ مَـخْـلـوقِ
أدِرْ راحَـكَ فـي الـمَـغْـشُـو ... قِ مِـنْ راحـةِ مَـغْـشـوقِ

الشعر لأبي أيوب سُليمان بن وهب. والغناء للقاسم بن زُرزور ثقيل أول بالبنصر من جامع غنائه المأخوذ عن أبيه أَبي القاسم عبيد الله بن القاسم.

---

(١) أي منذ لبست نعلك وخرجت حتى عدت وخلعته.

(٢) الجزع: ضرب من العقيق.

أخبار سليمان بن وهب وجمل من أحاديثه تصلح لهذا الكتاب

[توفي نحو سنة ٢٧٢هـ /نحو سنة ٨٨٥م]

قد تقدّم نسبُه في أَخبار الحسن بن وهب أخيه وانتماؤه في بني الحارث بن كَعب، وأن أَصلهم من قرية يقال لها سارقرمقا من طَسُّوج خُسْر وسابور[١] من سواد واسط، وكان سليمان بن وهب ينكر الانتسابَ إلى الحارث بن كعب على أخيه الحسن وعلى ابنه أبي الفضل أحمد بن سليمان بن وهب لشدة تعلقهما به، أخبرني بذلك محمد بن يحيى وغيره من شيوخنا ومن مشيخة الكتّاب.

أخبرني الصوليّ قال: حدثني الحسن بن يحيى وعَوْن بن محمد الكِندي، أن جعفر بن محمد كان وزير المهتدي في أول أمره، فبلغه عنه تشيُّع فكرهه، وقال: هذا رافضيّ لا حاجةَ لي فيه، واستوزر جعفر بن محمد بن عمّار، فلم يزل على وزارته حتى مضت سنة من خلافة المهتدي، ثم قدم موسى بن بَغَا من الجبل، وكاتبه سليمان بن وهب وابنه عبيد الله، فاستوزر المهتدي سليمان بن وهب ولقب الوزير حقاً؛ لأن من كان قبلَه كان غيرَ مستحق للوزارة، ولا مستقلٍّ بها.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني الحسنُ بن يحيى بن الجماز قال: لما استُوزرَ سليمان بن وهب جلس للناس، فدخل عليه شاعر يقال له: هارون بن محمد البالسي، فذكر مظلمةً له ببلده، ثم أنشده: [الخفيف]

زِيدَ في قَدْرِكَ العَلِيِّ عُلُوٌّ   يابن وهبٍ من كاتبٍ ووزيرِ

(١) خسروسابور: قرية قرب واسط (معجم البلدان ٢/ ٣٧١).

أسْفَرَ الشَّرْقُ منك والغَرْبُ عَنْ ضَوْ ءِ مِنَ العَدْلِ فاقَ ضَوْءَ البدورِ
أنْشَرَ الناسَ غيثُكمْ بعدما كا نوا رُفاتاً من قبلِ يومِ النّشورِ
شرَّد الجورَ عدلُكم فَسَرَحْنا بينكم بين رَوْضَةٍ وسُرورِ
أنت عَيْنُ الإمامِ والقَرْمِ مو سى بك تَفْتَرُّ عابِساتُ الأمورِ

فوقع في ظلماته بما أراد ووصله بمائتيْ دينار.

[يزيد المهلبي يمدحه فيقضي له حوائجه]

أخبرني محمدُ بن يحيى قال: حدثنا أحمد بن الخصيب قال: لعهدي بيزيد بن محمد المهلبيّ عند سليمان بن وهب بعدما استوزَره المهتدي، وقد أجلسه إلى جانبه، وهوينشده قولَهُ: [الطويل]

وَهَبْتُم لنا يا آلَ وهبٍ مودّةً فأبقت لنا جاهاً ومجداً يؤثَّلُ(١)
فَمن كان للآثامِ والذُّلِّ أرضُهُ فأرضُكُم للأجْرِ والعِزِّ منزِلُ
رأى الناسُ فوقَ المجدِ مقدارَ مجدِكم فَقَدْ سَألُوكم فَوْقَ ما كانَ يُسْأَلُ
يُقَصِّرُ عن مَسْعاكُمُ كُلُّ آخرٍ وما فاتكم مِمّن تقدَّمَ أولُ
بَلَغْتُ الذي قد كُنْتُ أمّلتُه لكم وإن كُنْتُ لم أَبْلُغْ بكم ما أُؤمِّلُ

فقطع عليه سليمانُ الإنشاد، وقال له: يا أبا خالد، فأنت واللهِ عندي كما قال عُمارة بن عَقيل لابنه: [الطويل]

أُقَهْقِهُ مَسْروراً إذا أُبتَ سالماً وأبكي مِنَ الإشْفاقِ حِينَ تَغيبُ

فقال له يزيد: فيسمعُ مني الوزيرُ آخرَ الشّعر لا أولَه، وتمم فقال: [الطويل]

وما لِيَ حَقٌّ واجبٌ غَيْرَ أنّني بِجُودِكُم في حاجتي أتوسَّلُ
وأنّكم أَفْضَلْتُم وبَررْتُم وقد يَسْتَتِمُّ النّعْمَةَ المُتَفَضِّلُ
وأوليتُم فِعلاً جميلاً مُقَدَّماً فعودوا فإن العَوْدَ بالحرّ أجملُ
وكم مُلحفٍ قد نالَ ما رامَ منكمُ ويمنعنا من مثلِ ذاكَ التجمُّلُ(٢)
وعوّدتمونا قبلَ أن نَسْألَ الغِنى ولا بَذْلَ للمعروفِ والوجهُ يُبذَلُ

---

(١) يؤثل: يثبت، لا تزيله الأيام. يقال: مجدٌ مؤثّل.

(٢) الملحف: من ألحف: ألحّ.

فقال له سليمان: لا تبرح والله إلاّ بقضاء حوائجك كائنةً ما كانت، ولو لم أستفد من كَتَبَة أمير المؤمنين إلا شكرَكَ لرأيت جنابي بذلك مُمرِعاً، وغرسي مُثمِراً، ثم وقّع له في رِقاع كثيرةٍ كانت بين يديه.

أخبرني محمد قال: حدثنا الخزَنْبَل قال: لما ولّى المهتدي سليمانَ بن وهب وزارتَه قام إليه رجل من ذوي حِرفته، فقال: أنا ـ أعز الله الوزير ـ خادمُك، المؤمِّل دولتَك، السعيدُ بأيامك، المطويُّ القلب على ودّك، المنشورُ اللسان بمدحِك، المرتهَنُ بشكر نعمتك، وقد قال الشاعر: [البسيط]

وفَّيْتُ كُلَّ أديب ودَّني ثَمناً إلا المؤمِّلَ دَولاتي وأيّامي
فإنَّني ضامِنٌ ألاَّ أُكافِئَهُ إلا بتسويغه فَضْلي وإنعامي

وإنّي لَكَما قال القَيْسيُّ: ما زلت أمتطي النهارَ إليك، وأستدِلُّ بفضلك عليك، حتى إذا جنَّني الليلُ[1]، فَقَبَض البصر، ومحا الأثر، أقام بَدَني؛ وسافر أملي، والاجتهادُ عذر، وإذا بلغتُك فهو مرادي فقط. فقال له سليمان: لا عليكَ، فإني عارف بوسيلتِكَ، محتاج إلى كفايتِكَ، ولستُ أؤخّر عن أمري النظر في أمرك وتَوليتَكَ ما يحسن أثرُه عليك.

وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه قال: ما رأيتُ أظرفَ من سليمان بن وهب، ولا أحسنَ أدباً: خرجنا نتلقاه عند قُدومه من الجبل مع موسى بن بَغَا، فقال لي: هات الآن يا أبا الحسن، حدِّثني بعجائبكم بعدي، وما أظنك تحدثني بأعجبَ من خبرِ ضَرطة أبي وهب بحضرة القاضي، وما سُيِّر من خبرها، وما قيل فيها، حتى قيل: [الكامل]

ومن العجائبِ أنها بشهادَةِ الـ قاضي فليس يُزيلُها الإنكارُ

وجعل يضحك.

[بينه وبين ابن ثوابة]

قال علي بن الحسين الأصبهاني: حضرت أبا عبد الله الباقطاني، وهو يتقلّد

---

(١) جنّه الليل: ستره.

ديوانَ المشرق، وقد تقلّد ابن أبي السلاسل ماسبذان[١] ومهْرجان قُذُق[٢]، وجاءه يأخذ كتبه، فجعل يوصيه كما يوصي أصحابُ الدواوين العُمَّال، فقال ابن أبي السلاسل: كأنَّك استكثرتَ لي هذا العمل أنت أيضاً! قد كنتَ تكتب لأبي العباس بن ثوابة، ثم صرتَ صاحب ديوان، فقال له الباقطانيّ: يا جاهل يا مجنون، لولا أنه قبيح عليّ مكافأة مثلك لراجعتُ الوزير ـ أيده الله ـ في أمرك، حتى أُزيلَ يدَك، ومن لي أن أَجِد مثل ابن ثوابة في هذا الوقت، فأكتب له، ولا أُريد الرياسة! ثم أقبل علينا يحدثنا، فقال: دخلت مع أبي العباس بن ثوابة إلى المهتدي، وكان سليمان بن وهب وزيره، وكان يدخل إليه الوزير وأصحاب الدواوين والعمال والكتّاب، فيعملون بحضرته، فيوقع إليهم في الأعمال، فأَمر سليمان أن يكتبَ عنه عشرةَ كتب مختلفة إلى جماعةٍ من العمال، فأخذ سليمان بيد أبي العباس بن ثوابة، ثم قال له: أنت اليوم أحدُّ ذهناً منّي فهلمّ نتعاون، فدخلا بيتاً، ودخلتُ معهما، وأخذ سليمان خمسة أنصاف وأبو العباس خمسة أنصاف أُخر، فكتبا الكتب التي أُمر بها سليمانُ ما احتاج أحدهما إلى نسخه، وقد أكمل كلٌّ واحد منهما ما كتب به صاحبه، فاستحسنَه وقرّظَه، ثم وضع سليمان الكتب بين يدي المهتدي، فقال له وقد قرأها: أحسنتَ يا سليمان، ونعم الرجلُ أنتَ لولا المعجَّل والمؤجّل، وكان سليمان إذا ولّى عاملاً أخذ منه مالاً معجَّلاً، وأجّل له مالاً إلى أن يتسلّم عمله، فقال له: يا أمير المؤمنين، هذا قول لا يخلو من أن يكون حقّاً أو باطلاً، فإن كان باطلاً فليس مثلُكَ من يقوله، وإن كان حقّاً ـ وقد علمت أن الأصول محفوظة ـ فما يضرّ مَن يساهمني من عمالي على بعض ما يصل إليهم من برٍّ؛ من غير تحيُّف للرعية[٣] ولا نقص للأموال؟ فقال: إذا كان هكذا فلا بأسَ، ثم قال له: اكتب إلى فلان العامل يقبض ضيعة فلان المصروف المعتَقَل في يده، بباقي ما عليه من المصادرة، فقال له أبو العباس بن ثوابة: كلُّنا يا أمير المؤمنين خدمك وأولياؤك، وكلّنا حاطب في حبلك[٤]، وساعٍ فيما أرضاك

(١) ماسبذان: كورة من نواحي الجبل في طريق القاصد من حلوان العراق إلى همذان.
(٢) مهرجان قذف: كورة حسنة واسعة ذات مدن وقرى قرب الصيمرة.
(٣) تحيّف للرعية: تنقص لها.
(٤) يحطب في حبله: يخدمه.

وأيّد ملكَك، أفنمضي ما تأمر به على ما خيّلْتَ أم نقول بالحق؟ قال: بل قل الحقَّ يا أَحمد! فقال: يا أَمير المؤمنين، المِلْك يقين، والمصادَرة شكٌّ، أفترى أَن أُزيلَ اليقين بالشكّ؟ قال: لا، قال: فقد شهدتَ للرجل بالملكِ، وصادَرته عن شكّ فيما بينك وبينه، وهل خانك أم لا، فتجعل المصادرة صُلحاً! فإذا قبضتَ ضيعته بهذا فقد أَزلتَ اليقينَ بالشكّ، فقال له: صدقت، ولكن كيف الوصولُ إلى المال؟ فقال له: أنت لا بدّ لك من عُمّال على أعمالك، وكلهم يرتزق، ويرتَفِق[1]، فيحوز رِفقَه ورزقَه إلى منزله، فاجعله أَحد عمّالك؛ ليصرف هذين الوجهينِ إلى ما عليه ويسعفه معاملوه، فيتخلّصَ بنفسه وضيعته ويعودَ إليك مالُك، فأمر سليمانَ بن وهب بأن يفعلَ ذلك، فلمّا خرجا من حضرة المهتدي قال له سليمان: عهدي بهذا الرجلِ عدوّك، وكل واحد منكما يسعَى على صاحبه، فكيف زال ذلك، حتى نُبْتَ عنه في هذا الوقت نيابةً أَحييته بها، وتَخَلَّصتَ نفسَه ونعمته؟ فقال: إنما كنت أُعاديه، وأَسعى عليه وهو يقدر على الانتصاف مني، فأمّا وهو فقير إليّ فلا. فهذا مما يحظره الدين والصناعة والمروءة. فقال له سليمانُ: جزاك الله خيراً، أما والله، لأشكرن هذه النيّةَ لك، ولأعتقدنّك من أجلها أخاً وصديقاً، ولأجعلنّ هذا الرجلَ لك عبداً ما بقي. ثم قال الباقطاني: أَفمن كان هذا وزنه وفعله يُعاب من كان يكتُبُ له؟

أخبرني محمد بن يحيى الباقطاني قال: حدَّثنا الحسين بن يحيى الباقطاني قال: كنت آلفُ سليمان بن وهب كثيراً، وأخدمه وأحادثه، وكان يخصّني ويأنس بي، فأنشدَني لنفسه يذكر نكبتهُ في أيام الواثق:

صوت

[مخلع البسيط]

نَوائبُ الدَّهْرِ أدَّبتْني ... وإنما يُوعظُ الأريبُ

قد ذُقْتُ حُلْواً وذقتُ مُرّاً ... كذاك عَيْشُ الفَتَى ضُروبُ

ما مَرَّ بُؤْسٌ ولا نَعِيمٌ ... إلا وَلِي فيهما نصيبُ

فيه رَمَل محدَث لا أعرف صانعه.

---

(١) يرتفق: يرتزق، يستعين، ينتفع.

وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى أنَّ جفوةً نالت أباه من سليمان بن وهب فكتب إليه: [الطويل]

جفاني أبو أيوب نَفسِي فداؤه فعاتَبْتُه كيما يَريعَ ويُعتِبَا[1]
فوالله لولا الضَّنُّ مني بوُدِّهِ لكان سُهيلٌ من عِتابِيه أقربَا[2]

فكتب إليه سليمان: [الطويل]

ذَكَرْتَ جَفائي وهْو من غير شِيمتي وإنّي لدانٍ من بعيد تَقرَّبا
فكيف بخلٍّ لي أضِنّ بوُدّه وأُصفيه وُدّاً ظاهراً ومُغَيَّبا
عليّ بن يحيى لا عَدِمْتُ إخاءَهُ فما زالَ في كُلِّ الخصالِ مُهَذَّبا
ولكنّ أشْغالاً غَدَتْ وتواتَرتْ فلما رَأَيْتُ الشُّغْلَ عاقَ وأتعبَا
وَكُنْتُ إلى عُذْرِ الأخلاّءِ إنّهم كِرامٌ وإن كان التَّواصلُ أَوجبَا
فإن يطّلبْ منّي عتابُك أوبةً[3] ببرٍّ تجدْني بالأمانةِ مُعتِبا

أخبرني محمدُ بن العباس اليزيدي عن عمه قال: كان سليمان بن وهب - وهو حَدَث - يتعشَّق إبراهيم بن سوَّار بن شداد بن ميمون، وكان من أحسنِ الناسِ وجهاً وأملحِهم أدباً وظَرفاً، وكان إبراهيم هذا يتعشق جاريةً مُغنّية يقال لها رُخاص، فاجتمعوا يوماً فسكِر إبراهيم، ونام، فرأت رُخاصُ سليمانَ يقبّله، فلما انتبه لامته، وقالت: كيف أصفو لك وقد رأيتُ سليمانَ يُقبّلك؟ فهجره إبراهيم، فكتب إليه سليمان: [المجتث]

قل للذي ليس لي مِن جَوَى هَواهُ خَلاصُ
أَئِنْ لثمتُك سرّاً وأبصرتْني رُخاصُ
وقال لي ذاكَ قَومٌ على اغْتِيابي حِراصُ
هجرتَني وأتتني شَتِيمةٌ وانتِقاصُ
وَسرَّ ذَاكَ أُناساً لهم علينا اخترَاصُ[4]

(١) يريع: يرجع.
(٢) ضنّ به: بخل.
(٣) أوبة: عودة، رجوعاً.
(٤) اختراص القول: افتعاله.

فهاكَ فاقْتَصَّ مِنّي ... إنّ الجُروحَ قِصاصُ

وأهدى سليمانُ إلى رُخاصَ هدايا كثيرة، فكانوا بعد ذلك يتناوبون يوماً عند سليمان، ويوماً عند إبراهيم، ويوماً عند رُخاص.

[بينه وبين أحد أصحابه]

أخبرني الصوليّ عن أحمد بن الخصيب قال: حضرتُ سليمان بن وهب، وقد جاءته رُقعة من بعض مَن وعده أن يصرّفه من أصحابه، وفيها: [الرجز]

هَبْني رَضِيتُ منكَ بالقَليلِ ... أكانَ في التَّأويلِ والتَّنْزيلِ!
أو خبرٍ جاءَ عَنِ الرّسولِ ... أو حُجةٍ في فِطَرِ العقولِ
مُسْتَحْسَنٌ مِنْ رَجُلٍ جليلِ ... عالٍ له حظٌّ من الجميلِ
ينقصُ ما أشاعَ بالتَّطْويلِ ... والقَوْل دُونَ الفِعْلِ بالتحصيلِ
ليس كذا وصف الفتى النّبيلِ

قال: فكتب له بولاية ناحية، وأنفذ إليه مائتيْ دينار وكتب في رقعة: [الرجز]

ليس إلى الباطِلِ مِنْ سبيلِ ... إلا لمن يَعدِلُ عن تعديلِ
وقد وَفَينَا لكَ بالتحصيلِ ... فاطْوِ الذي كان عن الخليلِ
فضلاً عَنِ الخَليطِ والنزيلِ ... وَعُدْ مِنَ القَوْلِ إلى الجميلِ
وعفَّ في الكثيرِ والقليلِ ... تَحظَ مِنَ الرُّتبةِ بالجزيلِ

أخبرني محمدُ بن يَحيى عن عبد الله بن الحُسَين بن سعد عن بعض أهله أنه كتب إلى سليمان بن وهب، وهو يتولى شيئاً من أعمال الضِّياع: [الهزج]

أطالَ الله إسعادَ ... ك في الأجلِ والعاجلْ
أما تَرْعَى لمن أَمَّـ ... لَ فَضْلاً حُرمةَ الآملْ
وعندي عاجلٌ من رُشـ ... ـوةٍ يَتْبَعها آجلْ
وأنت العالمُ الشّاهـ ... ـدُ أني كاتب عاملْ
فولِّ الكافلَ الباذ ... لَ دون العاجزِ الباخلْ

فـمـا أُفـشِـي لـك الـسِّـرَّ فِـعـالَ الأخـرقِ الـجـاهـلْ

قال: فضحك وأجلسه وكتب في رقعته: [الهزج]

أَبِـن لـي مـا الـذي تـخـطـ ـبُ شـرحـاً أيـهـا الـبـاذِلْ؟
ومـا تُـعـطـي إذا وُلِّـيـ ـتَ تـعـجـيـلاً ومـا الآجـلْ؟
أفـي الإِسـلافِ تَـنـقـيـص أم الـوزنُ لـه كـامـلْ؟
وفـي الـمـوقـوفِ تـضـمـيـنٌ أم الـوعـدُ بـه حـاصِـلْ؟
وهـل مـيـقـاتـه الـغَـلَّـ ـةُ فـي الـعـامِ أو الـقـابِـلْ؟
أَبِـنْ لـي ذاك واردُدْ رُقْـ ـعـتـي يـا كـاتـبـاً عـامـلْ؟

فلما قرأها الرجلُ قطع ما بينه وبينه، وردّ الرقعة عليه، وولاّه سليمانُ ما التمس.

أخبرني محمد بن يحيى عن موسى البربريّ قال: أهدى سليمانُ بن وهب إلى سُليمان بن عبد الله بن طاهر سِلالَ رُطب من ضَيعته، وكتب إليه يقول:

[مجزوء الكامل]

أذِن الأمـيـرُ بِـفَـضْـلِـهِ وبِـجُـودِهِ وبِـنُـبْـلِـهِ
لـولـيِّـهِ فـي بِـرِّهِ بـجَـنـاهُ شُـكَّـرَ نَـخـلِـهِ
فـبـعـثْـتُ مـنـه بـسَـلَّـةٍ تَـحْـكِـي حـلاوةَ عـدلِـهِ

أخبرني محمد الباقطاني: قال: كتب سليمانُ بنُ وهب بقلم صُلْب، فاعتمد عليه اعتماداً شديداً، فصرَّ القلم[1] في يده، فقال: [الطويل]

إذا ما حَدَدْنا وانْتَضَيْنا قواطعاً أَصَمَّ الذَّكيَّ السَّمْعِ منها صريرُها
تَظَلُّ المنايا والعطايا شوارعاً تدورُ بما شِئنا وتمضي أُمُورُها
تَساقطُ في القرطاسِ منها بدائعٌ كمثل اللآلي نَظمُها ونَثيرُها
تَقُودُ أبِيّات البيانِ بفطنةٍ تَكَشَّفَ عَنْ وَجْهِ البلاغةِ نورُها
إذا ما خُطوبُ الدَّهرِ أَرْخَتْ سُتورَها تَجَلَّتْ بنا عما تُسِرّ سُتورُها

(١) صرّ القلم: صوّت. والصرير: صوت القلم.
(٢) انتضى السيف: استلّه من غمده.

[رثاؤه أخاه الحسن]

قال: وأنشدَني له يَرثي أخاه الحسن: [الطويل]

مضى مذ مضى عِزُّ المعالي وأَصْبَحَتْ ... لآلي الحجا والقَوْلِ ليس لها نَظْمُ
وأَضْحَى نَجِيُّ الفِكْرِ بعدَ فراقِهِ ... إذا هَمَّ بالإفصاحِ مَنْطقه كَظْمُ

وذكر ابن المسيّب أنّ جماعة تذاكروا لمّا قَبَض الموفّق على سليمان بن وهب وابنه عبد الله،أنه إنما استكتبهما ليقف منهما على ذخائر موسى بن بَغَا وودائعه، فلما استقصى ذلك نكبَهما لكثرة مالهما، فقال ابن الرومي وكان حاضراً: [الطويل]

أَلَمْ تَرَ أن المالَ يُتْلِفُ ربَّهُ ... إذا جَمَّ آتِيه وسُدَّ طريقُهُ
ومن جاوَرَ الماءَ الغزيرَ مَجَمُّهُ ... وسُدَّ مفيضُ الماءِ فهو غَريقُهُ[1]

ومات سليمان بن وهب في محبسه وهو مُطالب، فرثاه جماعة من الشعراء، فممن جوَّد في مرثيته البحتريّ حيث يقول: [الكامل]

هذا سليمانُ بنُ وهبٍ بعدما ... طالتْ مساعيهِ النُّجومَ سمُوكَا
وتَنَصَّفَ الدُّنْيا يُدبِّرُ أَمْرَها ... سبعين حَولاً قد تَمَمْن دكيكا[2]
أغْرَتْ به الأَقْدارُ بَغْتَ مُلِمَّةٌ ... ما كان رسُّ حديثها مَأفوكا[3]
أبلغ عُبَيدَ الله بارعَ مَذْحجٍ ... شرفاً ومُعطى فَضْلِها تَمليكا
ومتى وَجَدْتَ النَّاسَ إلا تاركاً ... لِحَميمِهِ في التُّربِ أو مَتروكا
بَلَغَ الإرادةَ إذ فداك بِنَفْسِهِ ... وتَوَدُّ لو تَفْديهِ لا يفديكا
إن الرزيَّةَ في الفقيدِ فإن هَفَا ... جَزعٌ بلُبِّكَ فالرزيَّةُ فِيكا[4]
لو يَنجلي لكَ ذخرُها من نَكبةٍ ... جَلَلٍ لأضحكَكَ الذي يَبكيكا

صوت

[الطويل]

لقد برّزَ الفَضْلُ بن يحيى ولم يزلْ ... يُسامي مِنَ الغاياتِ ما كان أَرفعَا[5]

---

(١) مجمّ الماء: مستقرّه.
(٢) الدكيك: التام.
(٣) رسّ الحديث: أوله، أو طرف منه. ومأفوكاً: مكذوباً مفترىً.
(٤) الرزية: المصيبة.
(٥) يسامي: يطاول سموّاً ورفعة.

يَـراهُ أمـيـرُ الـمُـؤمِـنـيـنَ لِـمُـلْـكِـهِ كَفِيلاً لما أعطى مِنَ العَهْدِ مَقْنَعا
قَـضَـى بـالـتـي شـدّتْ لـهـارونَ مُـلْـكَـهُ وأحْـيَـتْ لـيـحـيـى نَـفْـسَـهُ فـتـمـتّـعـا
فأمست بنو العباسِ بعد اختِلافِها وآلُ عَـلِـيٍّ مِـثْـلَ زَنْـديْ يَـدٍ مـعـا
لئن كان مَنْ أَسْدَى القَريضَ أجادَهُ لـقـد صـاغَ إبـراهـيـمُ فـيـه فَـأَوْقَـعـا

الشعر لأبان بن عبد الحميد اللاحقيّ يقوله في الفضلِ بن يحيى لمّا قدم يحيى بن عبد الله بن الحسين على أمان الرشيد وعهده. والغِناء لإبراهيم الموصلي ثاني ثقيل بالبنصر عن أحمد بن المكي، وكان الرشيدُ أمره أن يغني في هذا الشعر، وإياه عنى أبان بقوله:

لـقـد صـاغ إبـراهـيـمُ فـيـه فـأوقـعـا

أخبار أبان بن عبد الحميد ونسبه

[توفي نحو سنة ٢٠٠هـ / نحوسنة ٨١٥م]

[اسمه ونسبه]

أبانُ بنُ عبد الحميد بن لاحق بن عَفير مولى بني رَقاش، قال أبو عبيدة: بنو رقاش ثلاثةُ نفر يُنسبون إلى أمهم، واسمها رَقاش، وهم: مالك، وزيد مَناة، وعامر، بنو شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

[بينه وبين البرامكة]

أخبرني عمي قال: حدثنا الحسين بن عُلَيل العَنَزي قال: حدثني أحمد بن مَهران مولى البرامكة قال: شكا مروانُ بن أبي حفصة إلى بعض إخوانه تَغيّر الرشيد عليه وإمساكَ يدِه عنه، فقال له: ويحك! أتشكو الرشيدَ بعدما أعطاك؟ قال: أوَ تعجب من ذلك؟ هذا أبان اللاحقيّ، قد أخذَ من البرامكة بقصيدةٍ قالها واحدةٍ مثلَ ما أخذتُه من الرشيد في دهري كلِّه، سوى ما أخذه منهم ومن أشباههم بعدَها، وكان أبان نقَل للبرامكة كتابَ كليلَة ودِمنَة، فجعله شعراً، ليسهل حفظُه عليهم، وهو معروف، أوله: [الرجز]

هذا كِتابُ أدبٍ ومِحنَهْ وهو الذي يُدْعَى كليلة ودمنَهْ
فيه احْتِيالاتٌ وفيه رُشْدُ وهو كتابٌ وَضَعَتْهُ الهِنْدُ

فأعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار، وأعطاه الفضل خمسةَ آلاف دينار، ولم يعطه جعفر شيئاً، وقال: ألا يكفيك أن أحفظه فأكون راويتَك؟ وعمل أيضاً القصيدة التي ذكر فيها مبدأ الخلق وأمر الدنيا وشيئاً من المنطق، وسماها ذاتَ الحُلَل، ومن الناس من يَنسُبها إلى أبي العتاهية، والصحيح أنها لأبان.

[المهاجاة بينه وبين أبي نواس]

أخبرني محمدُ بنُ جعفر النحويّ صهرُ المبرِّد قال: حدثنا أبو هِفَّان قال: حدثني الجمَّاز، قال: كان يحيى بن خالد البرمكيّ قد جعل امتحان الشعراء وترتيبَهم في الجوائز إلى أبان بن عبد الحميد، فلم يرضَ أبو نواس المرتبة التي جعلَه فيها أبانُ، فقال يهجوه بذلك: [المجتث]

جالَسْتُ يَوْماً أَبانا ... لا درَّ درُّ أبانِ
حتى إذا ما صلاةُ الأ ... ولى دَنَتْ لأوانِ
فقامَ ثَمَّ بها ذو ... فَصاحةٍ وبَيانِ
فكلَّما قال قُلْنا ... إلى انْقِضاءِ الأذَانِ
فقالَ: كيف شَهِدْتُم ... بذا بِغيرِ عِيَانِ
لا أَشْهَدُ الدَّهْرَ حتى ... تعايِنَ العينانِ
فقلت: سُبحانَ رَبِّي ... فقال: سُبْحانَ ماني[1]

فقال أبان يجيبه: [مجزوء الرمل]

إنْ يَكُنْ هذا النُّواسيّ ... بلا ذَنْبٍ هَجانا
فلقد نِكْناهُ حيناً ... وصَفَعْناهُ زمانا
هانيء الجَرْبَى أبوه ... زادَه الله هَوانا
سائِلِ العباسَ واسمعْ ... فيه مِنْ أمِّكِ شانا
عَجَنوا من جُلَّنارٍ ... ليَكيدُوك عِجَانا

جُلّنار أم أبي نواس، وتزوَّجها العباسُ بعد أبيه.

[تهاجٍ عابث]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدثنا أبو قُلابة عبدُ الملك بن محمد قال: كان أبان اللاحقيّ صديقاً للمعذَّل بن غَيْلان، وكانا مع صداقتهما يتعابثان بالهجاء، فيهجوه المعذَّلُ بالكفر وينسبه إلى الشؤم، ويهجوه أبان، وينسبه إلى الفُسَاء الذي تُهجَى به عبدُ القيس، وبالقِصَر ـ وكان المعذّل قصيراً ـ فسعى في

(١) ماني هو مؤسس مذهب المانوية القائلة بمبدأ الخير ومبدأ الشر.

الإصلاح بينهما أبو عُيينة المهلّبي، فقال له أخوه عبدالله ـ وهو أسن منه ـ: يا أخي إن في هذين شرّاً كثيراً ولا بد من أن يُخرجاه، فدعهما؛ ليكون شرُّهما بينهما، وإلا فرّقاه على الناس، فقال أبان يهجو المعذَّل: [الطويل]

أُحاجيكُمُ ما قَوْسُ لَخمٍ سِهامُها ... مِنَ الرِّيحِ لَمْ تُوصَلْ بِقدٍّ ولا عَقَبْ[1]
وليست بشَريانٍ وليست بشَوْحَطٍ ... وليستْ بنَبْعٍ لا وليستْ من الغَرَبْ[2]
ألا تلك قوسُ الدّحْدِحِيّ معذَّلٍ ... بها صار عَبديّاً وتمَّ له النسَبْ[3]
تصكُّ خياشيمَ الأنوفِ تعمُّداً ... وإن كان راميها يُرِيدُ بها العُقَبْ
فإن تَفْتَخِرْ يَوْماً تَميمٌ بحاجبٍ ... وبالقَوْسِ مَضْموناً لكسرى بها العَرَبْ
فحَيُّ ابنِ عمروٍ فاخرونَ بقَوْسِهِ ... وأسْهُمِهِ حتى يغلّب مَنْ غَلَبْ

قال أبو قلابة: فقال المعذّل في جواب ذلك: [الطويل]

رأيتُ أباناً يَوْمَ فِطْرٍ مُصَلِّياً ... فقُسِّمَ فكري واستفزني الطَّرَبْ
وكيف يُصَلِّي مُظْلِمُ القَلْبِ، دِينُهُ ... على دِين ماني إنّ ذاك مِنَ العَجَبْ

[هجاؤه أبا النضير]

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا عَوْن بن محمد الكنديّ قال: كان لأبي النَّضِيرِ جوارٍ يغنّين، ويخرجن إلى جِلَّة أهل البصرة، وكان أبان بن عبد الحميد يهجوه بذلك، فمن ذلك قوله: [الرمل]

غضِبَ الأحمقُ إذ مازحتُه ... كيف لو كنا ذكرنا المَمْرَغَهْ[4]
أو ذكرنا أنَّهُ لاعَبَها ... لعبةَ الجِدّ بِمَزْحِ الدَّغْدَغَهْ
سوَّد الله بخمسٍ وجهَهُ ... دُغنٍ أمثالِ طينِ الردَغَهْ[5]
خُنفُساوانِ وبِنْتا جُعَلٍ ... والتي تَفْتَرُّ عنها وَزَغَهْ[6]
يَكْسِرُ الشِّعْرَ وإن عاتبتَهُ ... في مجالٍ قال: هذا في اللغهْ

---

(١) القدّ: سير من جلد. والعقب: عصب تعمل منه الأوتار.
(٢) شريان وشوحط ونبع: أشجار تصنع منها القسيّ.
(٣) الدحدحيّ: القصير.
(٤) الممرغة: السقوط، والفحش، والفسق.
(٥) دُغُن: جمع دغناء، وهي السوداء. والردغة: الوحل الكثير.
(٦) الوزغ: سام أبرص.

وأنشدني عمي قال: أنشدني الكُرانيّ قال: أنشدني أبو إسماعيل اللاحقي لجدِّه أبان في هجاء أبي النضِير، وأخبرني الصوليّ أنه وجدَها بخط الكُراني:

[الهزج]

إذا قـامَـتْ بـواكـيـكَ وقـد هَـتَّـكْـنَ أسـتـارَكْ
أيُـثْـنـيـنَ عـلـى قَـبْـرِ كَ أم يَـلْـعَـنَّ أحـجـارَكْ؟
ومـا تَـتْـرُكُ فـي الـدُّنْـيـا إذا زُرْتَ غـداً نـارَكْ؟
تَـرَى فـي سَـقَـرَ الـمَـثْـوى وإبْـلِـيـسَ غـداً جـارَكْ[1]
لـمَـنْ تَـتْـرُكُ زِقَّـيْـك ودِنَّـيْـكَ وأوتـارَكْ
وخَـمْـسـاً مِـنْ بَـنـاتِ الـلـيـلِ قـد أُلـبِـسْـنَ أطـمـارَكْ
تـعـالـى الله مـا أَقْـبَـحَ إذ وَلَّـيْـتَ أدبـارَكْ

وقال فيه أيضاً:

[الوافر]

قيـانُ أبـي الـنَّـضِـيرِ مـثـلَّـجـاتٌ غـنـاءً مـثـل شـعـر أبـي الـنـضـيـر[2]
فـلا هَـمَـذَانَ حـيـن نـصـيـفُ نـبـغـي ولا الـمـاهَـيْـنِ أيـام الـحَـرور
ولا نَـبْـغـي بـقـرمِـيـسـيـنَ رَوحـاً ولا نُـبـلـي الـبـغـالَ مـن الـمـسـيـر[3]
فـإن رُمْـتَ الـغـنـاءَ لَـدَيْـهِ فـاصْـبِـرْ إذا مـا جِـئْـتَـهُ لـلـزَّمـهـريـر

[هجاؤه المعذّل]

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا أبو خليفة وأبو ذَكْوان والحسن بن عليّ النَّهدي قالوا: كان المعذّل بن غيلان المهري يجالس عيسى بن جعفر بن المنصور، وهو يلي حينئذ إمارة البصرة من قِبَل الرشيد، فوهب المعذّل بن غَيْلان له بيضةَ عنبر وزنها أربعة أرطال، فقال أبان بنُ عبد الحميد:

[السريع]

أَصْـلَـحَـكَ الله وقـد أَصْـلَـحـا إنّـيَ لا آلـوكَ أَنْ أنـصَـحَـا
عَـلامَ تُـعْـطـي مـنـوَيْ عَـنْـبَـرٍ وأحـسِـبُ الـخـازنَ قـد أرجـحـا
مَـنْ لَـيْـسَ مِـنْ قِـرْدٍ ولا كَـلْـبَـةٍ أبـهـى ولا أَحْـلـى ولا أمـلـحـا
رسـول يـأْجُـوجَ أتـى عـنـهـم يُـخْـبِـرُ أن الـرُّومَ قـد أقـبـحـا

(١) سقر: جهنم.
(٢) مثلجات: باردات كالثلج.
(٣) همدان، والماهين، وقرميسين: بلاد فارسية مشهورة.

مـا بـيـن رِجْـلَـيْـهِ إلـى رَأْسِـهِ   شِـبْـرٌ فـلا شَـبَّ ولا أفـلـحـا

أخبرني الصوليّ قال: حدثنا أبو العَيْناء قال: حدثني الحرمازيّ قال: خرج أبانُ بن عبد الحميد من البصرة طالباً للاتصال بالبرامكة، وكان الفضلُ بن يحيى غائباً، فقصده، فأقام ببابه مدة مديدة لا يصل إليه فتوسَّل إلى مَن وصَّل له شعراً إليه، وقيل: إنه توسل إلى بعض بني هاشم ممن شخص مع الفضل، وقال له:

[الخفيف]

يـا غـزيـرَ الـنَّـدى ويـا جَـوْهَـرَ الـجَـوْ   هَـرِ مِـنْ آلِ هـاشـمٍ بـالـبـطـاحِ
إنْ ظَـنِّـي ولـيـس يُـخـلِـفُ ظَـنِّـي   بـك فـي حـاجَـتـي سَبِـيـلُ الـنـجـاحِ
إنَّ مِـن دونـهـا لـمـصـمَـتُ بـابٍ   أنـت مِـنْ دُونِ قـفْـلِـهِ مِـفـتـاحـي
تـاقَـتِ الـنَّـفْـسُ يـا خـلـيـلَ الـسَّـمـاحِ   نـحـو بَـحْـرِ الـنَّـدى مُـجـاري الـرِّيـاحِ
ثُـمَّ فَـكَّـرْتُ كـيـف لـي واسْـتَـخَـرْتُ الـلَّـ   ـه عـنـد الإمـسـاءِ والإصْـبـاحِ
وامْـتَـدَحْـتُ الأمـيـرَ أَصْـلَـحَـهُ الـلَّـ   ـهُ بِـشِـعْـرٍ مُـشَـهَّـرِ الأوضـاحِ

فقال: هات مديحَك، فأعطاه شعراً في الفضل في هذا الوزنِ وقافيته:

[الخفيف]

أنـا مَـن بُـغـيـةُ الأمـيـرِ وكـنـزٌ   مِـن كُـنـوزِ الأمـيـرِ ذُو أربـاحِ
كـاتـبٌ حـاسـبٌ خـطـيـبٌ أديـبٌ   نـاصـحٌ زائـدٌ عـلـى الـنُّـصَّـاحِ
شـاعـرٌ مُـفْـلِـقٌ أخـفُّ مـن الـرِّيـشـ   ـةِ مِـمّـا يَـكـونُ تَـحـتَ الـجَـنَـاحِ

وهي طويلة جداً يقول فيها:

إن دعـانـي الأمـيـرُ عـايـن مِـنِّـي   شَـمَّـرِيـاً كـالـبُـلْـبُـلِ الـصَّـيَّـاحِ[1]

قال: فدعا به، ووصله، ثم خُصّ بالفضل، وقُدِّم معه، فقُرِّب من قلب يحيى بن خالد وصار صاحب الجماعة وزمام أمرهم.

[يهجو آل أبي طالب ليصل إلى الرشيد]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبي قال: حدثني عليّ بن محمد النوفليّ، أنّ أبان

(١) شمرّياً: ماضياً، مجرّباً

بن عبد الحميد عاتب البرامكة على تركهم إيصالَه إلى الرشيد وإيصال مديحه إليه، فقالوا له: وما تريدُ من ذلك؟ فقال: أُريد أن أحظَى منه بمثل ما يحظى به مروانُ بنُ أبي حفصة، فقالُوا له: إن لمروانَ مذهباً في هجاء آل أبي طالب وذمّهم، به يحظَى وعليه يُعطَى، فاسلُكه حتى نفعل، قال: لا أستحلّ ذلك، قالوا: فما تصنع؟ لا يجيء طلبُ الدنيا إلا بما لا يحلّ، فقال أبان:

نَشَدتُ بحقِّ الله مَنْ كانَ مُسْلِماً ... أَعُمُّ بما قد قُلْتُهُ العُجْمَ والعَرَبْ
أعَمُّ رَسولِ الله أَقْرَبُ زلفةً ... لديه أم ابنُ العمِّ في رتبة النَّسَبْ
وأيُّهما أولى به وبعهده ... ومَن ذا له حقُّ التُّراثِ بما وجَبْ!
فإن كان عبّاسٌ أَحَقَّ بِتِلْكُمُ ... وكان عَلِيٌّ بعد ذاكَ على سَبَبْ
فأَبْناءُ عباسٍ هُمُ يَرِثونَهُ ... كما العمُّ لابن العمِّ في الإِرْثِ قد حَجَبْ

وهي طويلة، قد تركت ذكرها لما فيها، فقال له الفضل: ما يَرِدُ على أمير المؤمنين اليومَ شيء أعجب إليه من أبياتك! فركب فأنشدها الرَّشيدَ، فأمر لأبان بعشرين ألف درهم، ثم اتصلت بعد ذلك خدمته الرشيد، وخُصَّ به.

أخبرنا أبو العباس بن عمار عن أبي العيناء عن أبي العباس بن رستم قال: دخلت مع أبان بن عبد الحميد على عِنانَ جاريةِ النّاطفي، وهي في خيش، فقال لها أبان:

العَيْشُ في الصَّيْفِ خَيْشُ

فقالت مُسرعة: [المجتث]

إذ لا قِتالٌ وجَيْشُ

فأنشدتُها أنا لجرير قولَه: [الطويل]

ظَلَلْتُ أُواري صاحبيَّ صَبَابتي ... وهل عَلِقَتْني مِنْ هواك علوقُ

فقالت مُسرعة: [الطويل]

إذا عقل الخَوْفُ اللِّسانَ تَكَلَّمَتْ ... بِأَسْرارِهِ عَيْنٌ عليه نَطوقُ

أخبرني الصوليّ قال: حدثنا محمد بن سعيد، قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل عن عبد الله بن محمد بن عُثْمان بن لاحق قال: أولَمَ محمد بن خالد، فدعا أبانَ بن عبد الحميد والعتبيّ، وعبيدَ الله بن عمرو، وسهلَ بن عبد الحميد، والحَكَم بن

قَنبر، فاحتبس عنهم الغداءُ، فجاء محمد بن خالد فوقف على الباب فقال: ألكم أعزكم الله حاجة؟ يمازحهم بذلك، فقال أبان: [السريع]

حاجَتُنا فاعْجَلْ علينَا بها ... مِنَ الحَشَاوي كُلّ طُردِينِ[١]

فقال ابن قنبر بعد ذلك:

ومن خَبيص قدَ حَكَتْ عاشِقاً ... صُفرته زِينَ بتلوينِ[٢]

فقال عُبَيْد الله بنُ عمرو:

وأتبِعوا ذاك بأبِّيَّةٍ ... فإنكم آيينُ آيينِ[٣]

فقال سهل:

دَعْنا مِنَ الشِّعْرِ وأوصافِهِ ... واعْجَلْ علينَا بالأخاوينِ[٤]

فأحضر الغَداءَ، وخلع عليهم ووصلَهم.

[تشبيبه بغلام تركي كان يهواه]

أخبرني الصولي قال: حدثنا محمد بن زياد قال: حدثني أبان بن سعيد الحميدي بن أبان بن عبد الحميد قال: اشترى جارٌ لجدِّي أبان غلاماً تركيّاً بألف دينار، وكان أبان يهواه ويُخفي ذلك عن مولاه، فقال فيه: [مجزوء الرمل]

ليتني ـ والجاهلُ المغـ ... ـرورُ مَن غُرَّ بلَيْتِ
نلتُ مِمّن لا أُسَمِّي ... وهو جاري بَيْتَ بَيْتِ
قُبلةً تُنعِش ميْتاً ... إنّني حَيٌّ كَمَيْتِ
نَتَساقى الرِّيقَ بعد الشُّـ ... ـرْبِ مِن راحٍ كُمَيتِ
لا أُسَمِّيه ولكنْ ... هو في كَيْتَ وكَيْتِ

وكان اسمه يتك.

(١) الحشاوي والطردين: أنواع أطعمة.

(٢) الخبيص: الحلوى المخبوصة من التمر والسمن.

(٣) آيينُ آيينِ: أبي أتباع دستور.

(٤) الأخاوين: جمع إخوان، لغة في خوان، وهو ما يؤكل عليه.

[خبره مع عمّارة الثقفية وزوجها]

وقال أبو الفيّاض سوّار بن أبي شُراعة:

كان في جوار أبان بن عبد الحميد رجل من ثقيف يقال له محمد بن خالد، وكان عدوّاً لأبان، فتزوج بعمَّارة بنت عبد الوهاب الثقفي، وهي أخت عبد المجيد الذي كان ابن مُناذر يهواه، ورثاه، وهي مولاة جِنَان التي يُشبِّبُ بها أبو نواس، ويقولُ فيها: [الخفيف]

خَرَجَتْ تَشْهدُ الزفافَ جنانٌ ... فاسْتَمالَتْ بحُسْنِها النَّظَّارهْ
قال أهلُ العَروسِ لما رأوْها ... ما دهانا بها سِوى عمَّارهْ

قال: وكانت موسرة، فقال أبان بن عبد الحميد يهجوه ويحذِّرها منه: [السريع]

لمّا رأيت البَزَّ والشارهْ ... والفَرشَ قد ضاقَتْ به الحارهْ
واللّوز والسُّكَّرَ يُرمَى به ... مِنْ فَوْق ذي الدَّارِ وذي الدارهْ
وأحضروا المُلْهِينَ لم يَتْرُكوا ... طَبْلاً ولا صاحبَ زمّارهْ
قلت: لماذا؟ قيل أعجوبةٌ ... مُحَمَّدُ زُوِّجَ عَمَّارهْ
لا عمَّرَ الله بها بَيْتَهُ ... ولا رَأَتْهُ مُدرِكاً ثارَهْ
ماذا رأتْ فيه وماذا رجَتْ ... وهي من النِّسوانِ مُختارهْ
أسودَ كالسّفُّودِ يُنْسَى لدى التَّنْـ ... ـورِ بل محراكُ قَيَّارهْ[(1)]
يُجْري على أولادِهِ خَمْسةً ... أرغفةً كالرِّيشِ طيَّارهْ
وأهله في الأرضِ مِنْ خَوْفِهِ ... إن أفرطوا في الأكْلِ سيَّارهْ
وَيْحَكِ فِرِّي وأعصي ذاكَ بي ... فهذه أُخْتُكِ فرَّارهْ
إذا غفا باللّيْلِ فاسْتَيْقِظي ... ثُمَّ اطْفِري إنَّكِ طفَّارهْ
فصعَّدت نائلةً سُلَّماً ... تخافُ أن تصعده الفارهْ
سُرورُ غَرَّتْها فلا أفْلَحَتْ ... فإنَّها اللّخناءُ غَرَّارهْ
لو نِلْتَ ما أبعدْتَ مِنْ رِيقها ... إن لها نَفْثَةَ سحَّارهْ

قال: فلما بلغتْ قصيدتُه هذه عمّارة هربتْ فحُرِم الثقفيّ من جهتها مالاً عظيماً، قال: والثلاثة الأبيات التي أولها:

---

(1) السفّود: قضيب من الحديد ينظم فيه اللحم ليشوى. والقيارة: أصحاب القار، وهو الزفت.

فصعّدت نائلةً سلما

زادَها في القصيدة بعد أن هربتْ.

[بعض أخباره وشعره]

أخبرني الأخفش عن المبرد عن أبي وائِلة، قال: كان أبان اللاحقيّ يُولَع بابن مُناذر، ويقول له: إنما أنت شاعر في المراثي، فإذا مت فلا تَرْثني، فكثر ذلك من أبان عليه، حتى أغضبه، فقال فيه ابنُ مُناذر: [المنسرح]

غُنجُ أبانٍ ولينُ مَنْطِقِهِ ... يُخبِرُ الناسَ أنه حَلَقي[1]
داءٌ به تَعرَفونَ كلُّكُم ... يا آلَ عبدِ الحَميدِ في الأُفُقِ
حتّى إذا ما المَساءُ جَلَّلَهُ ... كان أطبَّاؤه على الطُّرُقِ
ففرِّجوا عنه بعضَ كُرْبَتِهِ ... بمسبطِرٍّ مُطوَّقِ العُنُقِ

قال: وهجاه بمثل هذه القصيدة، ولم يجبه أبانٌ خوفاً منه، وسُعيَ بينهما، فأمسك عنه.

أخبرني الصُّولي، عن محمد بن سعيد، عن عيسى بن إسماعيل قال: جلس أبانُ بن عبد الحميد ليلة في قوم، فثلب[2] أبا عبيدة فقال: يقدحُ في الأنساب ولا نَسَب له. فبلغ ذلك أبا عبيدة فقال في مجلسه: لقد أغفل السلطانُ كلَّ شيء حتى أغفل أخْذَ الجزية من أبان اللاحقي، وهو وأهله يهود، وهذه منازلهم فيها أسْفار التوراة، وليس فيها مُصحف، وأوضحُ الدلالة على يهوديتهم أنّ أكثرهم يدّعي حفظَ التوراة، ولا يحفظُ من القرآن ما يُصلّي به، فبلغ ذلك أباناً فقال: [الخفيف]

لا تَنِمَّنَّ عنْ صديقٍ حديثاً ... واستعِذْ من تسرُّرِ النمَّامِ
واخفض الصَّوْتَ إن نطقتَ بليلٍ ... والتفِتْ بالنَّهارِ قبلَ الكَلامِ

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة[3] قال: كنا في مجلس أبي زيد الأنصاري، فذكروا أبانَ بن عبد الحميد، فقالوا: كان كافِراً،

(١) الحلقي: المصاب بالحُلاق وهو الأُبنة.
(٢) ثلبه: عابه.
(٣) هو لقب لعيسى بن إسماعيل.

فغضب أبو زيد، وقال: كان جاري، فما فقدتُ قرآنه في ليلة قطُّ.

[يتنبأ لجاره بالموت المحتّم]

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزاعي عن دَماذ قال: كان لأبان جارٌ، وكان يعاديه، فاعتلّ علّة طويلة وأرجف أبانٌ بموته، ثم صَحَّ من عِلّته، وخرج، فجلس على بابه، فكانت علَّتُه، من السُّلّ، وكان يكنى أبا الأطول، فقال له أبان: [الهزج]

أَبا الأطولِ طوّلْتَ وما يُنجيك تَطْويلٌ
بك السُّلُّ ولا واللّهِ ما يَبْرَأُ مَسْلُولُ
فلا يغررْكَ من طِبِّكَ أقوالٌ أباطيلُ
أَرى فيكَ علاماتٍ وللأسبابِ تأويلُ
هُزالاً قد بَرى جسمَك والمسلولُ مهزولُ
وذِبّاناً حوالَيْكَ فموقوذٌ ومقتولُ
وحُمَّى منكَ في الظهْرِ فأنت الدَّهْرَ مَمْلولُ
وأغْلاماً سِوى ذاك تُواريها السّراويلُ
ولو بالفِيلِ ممّا بك غُشرٌ ما نجا الفيلُ
فما هذا على فيكَ قُلاعٌ أم دماميلُ
وما زالَ مُناجيكَ يُوَلِّي وَهْوَ مَبْلُولُ
لئن كان مِنَ الجَوْفِ لقد سالَ بِك النِّيلُ
وذا داءٌ يُزجِّيكَ فلا قالٌ ولا قِيلُ

فلما أنشده هذا الشعرَ أُرعِد واضطرب، ودخل منزله، فما خرج منه بعد ذلك، حتى مات.

صوت

[الخفيف]

ما تزال الدّيارُ في بُرقةِ النَّجـ ـد لسُعدى بقرْقرى تُبكِيني[1]
قَدْ تَحَيَّلْتُ كي أرى وَجْهَ سُعدى فإذا كُلُّ حِيلةٍ تعيِيني

---

(١) قرقرى: موضع باليمامة فيه قرى ونخيل. (معجم البلدان ٤/ ٣٢٦).

قُلْتُ لما وَقَفْتُ في سُدَّةِ البا ... بِ لسُعدى مَقالةَ المِسكينِ
افعلِي بي يا ربَّةَ الخِدرِ خيراً ... ومِنَ الماءِ شَربةً فاسْقينِي
قالتِ: الماءُ في الرَّكِيِّ كثيرٌ ... قلتُ: ماءُ الرَّكِيِّ لا يُروينِي[1]
طَرَحَتْ دونيَ السُّتورَ وقالتْ: ... كُلَّ يَومٍ بِعلَّةٍ تأتِيني

الشعر لتُويت اليَمامي، والغناءُ لأبي زَكّار الأعمى، رَمَل بالوسطى، ابتداؤه نشيد من رواية الهشامي.

(١) الركي: البئر.

أخبار تويت ونسبه

[توفي نحو سنة ١٠٠هـ /نحو سنة ٧٢٠م]

[اسمه ونشأته]

تُويْت لقب، واسمه عبدُ الملك بن عبد العزيز السَّلولي من أهل اليمامة، لم يقع لي غير هذا وجدتُه بخط أبي العبَّاس بن ثَوابة، عن عبد الله بن شبيب من أخبار رواها عنه. وتُويْت أَحدُ الشعراء اليماميين من طبقة يحيى بن طالب وبني أبي حَفْصة وذويهم، ولم يَفِد إلى خليفة، ولا وجدْتُ له مديحاً في الأكابر والرؤساء فأخمل ذلك ذكرَه، وكان شاعراً فصيحاً نشأ باليمامة وتُوفِّي بها.

[خبره مع سعدى بنت أزهر]

قال عبد الله بن شَبيب: كان تُويت يهوَى امرأةً من أَهل اليمامة يقال لها سُعدى بنتُ أَزهر، وكان يقول فيها الشعر، فبلغها شعرُه من وراء وراءَ، ولم تره؛ فمرّ بها يوماً، وهي مع أَتراب لها، فقلن: هذا صاحبك، وكان دَميماً، فقامت إليه وقمن معها، فضربْنَه، وخَرَّقْن ثيابَه، فاستعدى عليهنَّ فلم يُعدِه الوالي، فأنشأ يقول:

[المنسرح]

إنّ الغواني جرَحْنَ في جسدي ... من بعدِ ما قد فَرَغْنَ من كَبِدي
وقد شقَقْنَ الرِّداءَ ثُمَّتَ لم ... يُعْدِ عليهِن صاحِبُ البلدِ
لم يُعدِني الأحولُ المشومُ وقد ... أَبْصَرَ ما قد صَنَعْنَ في جَسدي

قال: فلما جرى هذا بينَه وبينَها عقدَ له في قلبها رِقّة، وكانت تتعرَّضُ له إذا مرَّ بها، واجتاز يوماً بِفنَائها فلم تتوارَ عنه، وأرته أنها لم تره، فلما وقفَ مَلِيّاً

سترتْ وجْهها بخِمارها، فقال تُوَيْت: [الطويل]

ألا أيـهـا الـثَّـارُ الـذي لـيـسَ نـائـمـاً عـلـى تِـرةٍ إن مُـتَّ مِـنْ حُـبِّـهـا غَـدا[١]
خُذُوا بدمي سُعدى فسعدى مُنيتُها غـداةَ الـنَّـقـا صادتْ فُؤاداً مُـقـصَّـدا[٢]
بـآيـةِ مـا ردَّت غـداةَ لـقِـيـتُـهـا عـلـى طَـرفِ عَـيْـنَـيـهـا الـرِّداءَ الـمـورَّدا

قال ابن شَبيب: ولقيها راحلة نحوَ مكة حاجَّة، فأخذ بخِطام[٣] بَعيرِها وقال:

[الكامل]

قـل لـلـتـي بـكـرتْ تُـريـدُ رَحـيـلا لِـلْـحَـجِّ إذ وجـدتْ إلـيـهِ سـبـيـلا
مـا تَـصْـنَـعِـيـنَ بـحَـجَّـةٍ أو عُـمْـرةٍ لا تُـقْـبَـلانِ وقـد قـتَـلْـتِ قَـتـيـلا
أَحـيِـي قَـتِـيـلَـكِ ثـم حُـجِّـي وانْـسـكِـي فـيـكـون حـجُّـكِ طـاهـراً مَـقـبـولا

فقالتْ له: أَرسل[٤] الخِطام، خيَّبك الله وقبَّحك! فأرسله وسارت.

[هجاؤه ليحيى بن أبي حفصة]

قال عبد الله بن شبيب: ثم تزوجها أبو الجنوب يَحيى بن أبي حَفصة، فحجبها، وانقطع ما كان بينها وبين تُوَيت، فطفِقَ يَهجو يحيى فقال: [الوافر]

عَـنـاءٌ سِـيـقَ لِـلْـقَـلْـبِ الـطَّـروبِ فـقـد حُـجِـبـتْ مـعـذِّبـةُ الـقُـلـوبِ
أَقـولُ وقـد عَـرَفْـتُ لـهـا مـحَـلاً فـفـاضَـتْ عَـبْـرَةُ الـعـيـنِ الـسَّـكـوبِ
ألا يـا دارَ سُـعـدَى كَـلِّـمِـيـنـا ومـا فـي دار سُـعـدَى مِـنْ مُـجـيـبِ
ولـمـا ضـمَّـهـا وحـوَى عـلـيـهـا تَـرَكْـتُ لـهـا بـعـاقـبـةٍ نَـصـيـبـي
وقـلـت: زِحـامُ مـثـلـكِ مـثـلَ يَـحـيـى لَـعَـمْـرُكِ لـيـس بـالـرَّأْيِ الـمُـصـيـبِ
فـمـا لـك مِـثْـلُ لـمَّـتـهِ تُـدرَّى ومـا لـك مـثـلُ بُـخـلِ أبـي الـجـنـوبِ
إذا فَـقَـدَ الـرَّغـيـفَ بَـكَـى عـلـيـه وأَتْـبَـعَ ذاك تَـشـقـيـقَ الـجُـيـوبِ
يُـعَـذِّبُ أَهْـلَـهُ فـي الـقَـرْصِ حـتـى يَـظَـلُّـوا مـنـهُ فـي يَـوْمٍ عَـصـيـبِ[٥]

---

(١) التِّرَة: الثأر.
(٢) النقا: الكثيب من الرمل، والمقصد: المحطّم، المكسّر.
(٣) الخطام: الزمام.
(٤) أرسِلِ الخطام: دَعْه.
(٥) القرص: قطع العجين لبسطه قرصاً قرصاً.

وقال أيضاً: [الطويل]

ألا في سبيل الله نفسٌ تقسَّمتْ شَعاعاً وقلبٌ للحسانِ صديقُ
أفاقت قلوبٌ كُنّ عُذِّبْن بالهوَى زماناً وقلبي ما أراهُ يُفِيقُ
سَرَقْتِ فؤادي ثم لا ترجعينَه وبعضُ الغواني للقلوبِ سَروقُ
عَروفُ الهوى بالوعدِ حتى إذا جرتْ بِبَيْنِك غِربانٌ لهن نَعيقُ
ورُدَّتْ جِمالُ الحَيِّ وانْشَقَّتِ العَصا وآذَنَ بالبَيْنِ المُشِتِّ صَدوقُ
ندمتِ على ألا تكوني جَزيْتِني زَعَمْتِ وكُلُّ الغانياتِ مَذُوقُ[1]
لعلكِ أن نَنْأَى جميعاً بغُلّةٍ تذُوقِينَ مِنْ حَرِّ الهوَى وأذوقُ
عَصَيْتُ بكِ النّاهينَ حتى لوَ انَّني أموتُ لما أرعَى عَلَيَّ شَفيقُ[2]

[أجمل ما قاله في سعدى]

ومن مختار قول تُويت في سعدى هذه ما أخذتُه من رواية عبد الله بن شبيب من قصيدة أولها: [الوافر]

سَنُرْضِي في سُعيدى عاذلَيْنَا بِعاقبةٍ وإن كُرُمَتْ علَيْنا

يقول فيها:

لقيتُ سُعَيدَ تمشي في جَوارٍ بجرعاءِ النَّقا فلقيتُ حَيْنَا
سَلَبْنَ القَلْبَ ثم مَضَيْنَ عنِّي وقد نادَيْتُهنَّ فما لَوينا[3]
فَقُلْتُ وقد بقِيتُ بِغَيْرِ قَلْبٍ بقلبي يا سُعَيدى أين أيْنا!
فما تَجْزينَ يا سُعدى مُحِبّاً يَهيمُ بكم ولا تَقْضِينَ دَيْنا
فقالوا إذ شَكَوْتَ المَطْلَ منها لَعَمْرُكَ مَنْ سَمِعْتَ له قَضَيْنا
ومن هذا الذي إن جاء يشكُو إلينا الحُبَّ مِنْ سَقَم شفَيْنا
فَهُنَّ فواعلٌ بي غيرَ شكٍّ كما قَبْلي فَعلْنَ بصاحِبَيْنَا
بعروةَ والذي بسهامِ هِندٍ أُصِيبَ، فما أقَدْنَ ولا وَدَيْنَا

ومن مختار قوله فيها: [الوافر]

سلِ الأطلالَ إنْ نَفَعَ السُّؤَالُ وإنْ لم يربَع الرَّكْبُ العِجالُ

(١) مذوق: غير مخلصات.
(٢) أرعى عليه: أبقاه ورحمه.
(٣) لَوَيْن: أقمن وانتظرن.

عَنِ الخَودِ التي قَتَلَتْكَ ظلماً وليس بها إذا بَطَشت قِتالُ
أصابك مُقلتانِ لها وجيدٌ وأشنبُ باردٌ عذبٌ زُلالُ[1]
أعارَكِ ما تبَلْتِ به فؤادي مِنَ العَيْنَيْنِ والجيدِ الغَزالُ[2]
أيا ثاراتِ مَن قَتَلَتْهُ سُعدَى دَمي - لا تطلبُوهُ - لها حَلالُ
أرِقُّ لها وأُشفِق بعد قَتْلي على سُعدى وإن قلَّ النَّوالُ
وما جادتْ لنا يَوماً بِبَذْلٍ يمينٌ مِنْ سُعادَ ولا شِمالُ

ومن قوله فيها أيضاً: [الكامل]

يا بنت أزهرَ إنّ ثَأْري طالِبٌ بدمي غداً والثأرُ أجهدُ طالب
فإذا سَمِعْتِ براكبٍ مُتعصِّبٍ ينعى قتيلَك فافْزَعِي للراكبِ[3]
فلأنتِ مِنْ بَيْنِ الأنام رَمَيْتني عَنْ قَوسٍ مَتْلَفَةٍ بِسَهْمٍ صائبِ
لا تأمني شُمَّ الأنوفِ وتَرْتهِم وتركتِ صاحبَهم كأمسِ الذاهبِ[4]
من كان أصبحَ غالباً لهوى التي يهوَى فإن هواكِ أصبحَ غالِبي
قالَتْ وأسْبَلَتِ الدُّموعَ لِتِربِها لما اغتررتُ وأومأتْ بالحاجبِ
قولي له: باللهِ يُطلِقُ رَحْلَهُ حتى يُزَوِّدَ أو يَرُوحَ بصاحبِ

وقال فيها أيضاً: [الطويل]

أرَّقَ العَيْنَ مِن الشَّوْقِ السَّهَرْ وصبا القَلْبُ إلى أمّ عُمَرْ
واعترتْني فكرةٌ من حُبِّها وَيْحَ هذا القَلْبِ من طُولِ الفكَرْ
قَدَرٌ سِيقَ فَمَنْ يَمْلِكُهُ أينَ مَن يَمْلِكُ أسْبابَ القَدَرْ!
كُلُّ شَيْءٍ نالني مِنْ حُبِّها - إن نَجتْ نفسي مِنَ الموت - هَدَرْ

وقال أيضاً: [الكامل]

يا لَلرِّجال لِقَلبكِ المتطرِّفِ والعينُ إن تَرَ بَرْقَ نَجْدٍ تَذْرِفِ
ولحاجةٍ يومَ العَبِيرِ تعرَّضَتْ كبرتْ فرُدّ رسولُها لم يُسعفِ
يا بنت أزهر ما أراكِ مُثيبَتي خيراً على وُدِّي لكم وتلطُّفِي

---

(١) الأشنب: الثغر الذي رقت أسنانه وابيضّت.
(٢) تبله الحب: أسقمه.
(٣) افزعي: أسرعي.
(٤) شمّ الأنوف: كناية عن المترفّعين المتكبرين.

إنـي وإن خُـبِّـرتِ أنّ حـيـاتَـنـا في طرف عَيْنِكِ هكذا لم تطرفِ
لَيَظَلُّ قَلْبِي مِنْ مخافةِ بَيْنِكُمْ مثلَ الجناحِ معلَّقاً في نَفْنَفِ[1]
وَيَظلُّ في هَجرِ الأحبَّةِ طالِباً لرضاكِ مِمَّا جارَ إن لم تُسعفِ
كأخي الفَلاةِ يَغُرُّه من مائِها قِطعُ السَّرابِ جَرَى بقاعٍ صَفْصَفِ[2]
أهراقَ نُطفتَه فلما جاءَها وجدَ المَنِيَّةَ عندَها لم تُخلِفِ

صوت

[الطويل]

أمِنتَ بإذْنِ الله مِنْ كُلِّ حادثٍ بقربِكَ مِنْ خَيْرِ الورى يابنَ حارث
إمامٌ حَوى إرْثَ النبيِّ مُحَمّدٍ فأكْرِمْ به من ابنِ عَمٍّ وَوارث

الشعر والغناء لمحمد بن الحارث بن بسخنّر، خفيف رَمَل بالبنصر مطلق من جامع أغانيه وعن الهِشامي.

(١) نفنف: مهواة بين جبلين.
(٢) الصفصف: المستوي من الأرض لا نبات فيه.

أخبار محمد بن الحارث

[مكانة أبيه]

مولى المنصور، وأصله من الرّي[1] من أولاد المرازبة، وكان الحارث بن بسخنّر أبوه رفيع القَدْر عند السلطان، ومن وُجوه قواده، وولاه الهادي ـ ويقال الرشيد ـ الحربَ والخراجَ بكُور الأهوازِ كلِّها.

[أخبار أبيه]

فأخبرني حبيب المهلَّبي قال: حدثني النَّوفليّ عن محمد بن الحارث بن بسخنّر قال: كنت بالدَّيْر، وكان رجل من أهلها يَعرِض عليّ الحوائجَ ويخدمني فَيُكْرِمُني، ويذكر قديمنا، ويترحَّم على أبي، فقال لي رجلٌ من أهلِ تلكَ الناحية: أتعرفُ سببَ شكر هذا لأبيك؟ قلت: لا، قال: فإن أباه حدثني ـ وكان يُعرف بابن بَانة ـ بأن أباكَ الحارث بن بسخنّر اجتاز بهم يُريد الأهواز فتلقاه بدجلة العوراء، وأهدى له صُقوراً وبَواشق[2] صائدةً، فقال له: الحقْ بي بالأهواز، فقال له يوماً: إني نظرتُ في أمور الأعمال بالأهواز، فلم أجدْ شيئاً منها يرتفق[3] منه بما قَدَّرتُ أن أبرَّك به، وقد ساومني التّجّار بالأهواز بالأُرز، وقد جعلتُه لك بالسعر الذي بذَلوه، وسيأتونني، فأعلِمْهم بذلك، فقلتُ: نعم، فجاءوا، وخلصوه منه بأربعين ألفَ دِينار، فصرتُ إلى الحارث فأعلمتُه، فقال لي: أرضيتَ بذلك؟

---

(١) الريّ: مدينة مشهورة عاصمة بلاد الجبال. (معجم البلدان ٣/ ١١٦).
(٢) البواشق: جمع الباشق: وهو طير يستخدم في الصيد.
(٣) يرتفق: ينتفع.

فقلت: نعم، قال: فانصرف.

ولما قَفل الحارث من الأهواز مرّ بالمدائن، فلقيَه الحُسينُ بن محرِز المدائني المغَنِّي فغنّاه: [السريع]

قد عَلِمَ الله علا عَرْشُهُ أَنِّي إلى الحارِثِ مُشْتاقُ

فقال له: دعْني من شوقك إليَّ، وسلني حاجةً فإني مُبادر، فقال له: عليَّ دين مائةُ ألف دِرهم، فقال: هي عليّ، وأمر له بها، وأصعد.

[سار على منهاج إبراهيم بن المهدي]

وكان محمد بن الحارث من أصحاب إبراهيم بن المهدي والمتعصّبين له على إسحاق، وعن إبراهيم بن المهديّ أَخذ الغِنَاء، ومن بحره استَقى، وعلى منهاجه جَرَى.

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق، عن محمد بن هارون الهاشميّ، عن هِبةِ الله بن إبراهيم بن المهدي قال: كان المأمونُ قد أَلزم أَبي رجلاً ينقل إليه كلّ ما يسمعه من لفظ جِدّاً وهَزلاً شِعراً وغِناءً، ثم لم يثق به، فألزمه مكانَه محمد بن الحارث بن بسخنَّر، فقال له: أيها الأمير، قل ما شئتَ واصنع ما أَحببتَ، فوالله لا بلّغتُ عنك أبداً إلا ما تُحِبّ، وطالت صحبته له، حتى أَمنه وأَنِس به، وكان محمد يغني بالمِعْزَفة[1] فنقلَه أبي إلى العود، وواظب عليه حتى حَذِقَه، ثم قال له محمد بن الحارث يوماً: أَنا عبدُك وخِرِّيجُك وصنيعتُك، فاخْصصني بأن أَروِيَ عنك صنعتَك، ففعل، وألقى عليه غِناءه أجمعَ، فأخذه عنه، فما ذهب عليه شيء منه ولا شَذَّ.

وقال العتّابي: حدّثني محمد بن أَحمد بن المكيّ قال: حدثني أبي قال: كان محمد بن الحارث قليلَ الصنعةِ، وسمعتُه يغنِّي الواثق في صنعته في شعر له مدَحه به وهو: [الطويل]

أَمِنْتَ بإذن الله مِنْ كُلِّ حادِثٍ بِقُرْبِكَ مِنْ خَيْرِ الوَرَى يابنَ حارِثِ

فأمر له بألفي دينار.

---

(١) المعزفة: آلة من الآلات الموسيقية.

وذكر عليّ بن محمد الهشاميّ، عن حمدون بن إسماعيل، قال: كان محمد بن الحارث قد صنع هزجاً في هذا الشعر:

صوت

[مجزوء الكامل]

أصبحتُ عبداً مسترقا أبكي الأُلى سكنُوا دِمَشْقا
أَعْطَيْتُهم قَلْبِي فَمَنْ يَبْقى بلا قَلْبٍ فأبقى

وطرحه على المَسْدود، فغنَّاه، فاستحسنه محمدُ بنُ الحارث منه لطِيب مسموع المسدود، ثم قال: يا مسدود، أتحبُّ أن أَهَبَه لك؟ قال: نعم، قال: قد فعلتُ، فكان يُغنِّيه، ويدَّعيه، وهو لمحمد بن الحارث.

[من ألحانه العشرة]

وقال العتّابي: حدثني شَرْوين المغني المدادي، أن صَنعةَ محمدِ بن الحارث بلغت عشرةَ أصوات، وأنه أخذها كُلَّها عنه، وأن منها في طريقة الرَّمَل، قال: وهو أحسَنُ ما صنعه:

صوت

[المتقارب]

أَيا مَنْ دَعاني فلَبّيتُه بِبَذْلِ الهَوَى وهو لا يَبذُلُ
يُدِلُّ عَلَيَّ بِحُبِّي له فمَنْ ذاك يَفْعَلُ ما يَفْعَلُ

لَحْنُ محمد بن الحارث في هذا الصوت رَمَلٌ مطلق، وفيه ليزيدَ حوراء ثقيل أول وفيه لسُلَيم لحن وجدته في جميع أغانيه غير مُجنّس.

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثنا عبدُ الله بنُ أبي سعد قال: حدّثني أبو تَوبة صالحُ بنُ محمد، عن عمرو بن بانةَ قال: كنت عند محمد بن الحارث بن بسخنَّر في منزله، ونحن مُصطبحون في يوم غيْم، فبينا نحنُ كذلك إذ جاءتنا رُقعة عبد الله بن العباس الربيعيّ، وقد اجتاز بنا مُصعِداً إلى سُرَّ مَن رأى، وهو في سفينة، ففضَّها محمدٌ، وقرأها، وإذا فيها: [الطويل]

محمدُ قد جادَتْ علينا بوَدْقِها سَحائبُ مُزنٍ برقُها يتهلَّلُ

ونحنُ مِنَ القاطولِ في شِبْهِ مَرْبعٍ ... له مَسْرحٌ سَهْلُ المحلَّة مُبْقِلُ[١]
فَمُرْ فائزاً تَفْدِيكَ نفسي يُغَنِّنِي ... أَعَنْ ظُعُنِ الحَيِّ الأُلَى كنتَ تسألُ؟
ولا تَسْقِنِي إلا حلالاً فإنّني ... أعافُ مِنَ الأشياءِ ما لا يُحَلَّلُ[٢]

فقام محمدُ بنُ الحارث مستعجِلاً حافياً، حتى نزلَ إليه فتلقَّاه، وحلفَ عليه حتى خرج معه، وسار به إلى منزله، فاصطبَحا يومئذ، وغنَّاه فائزٌ غلامُه هذا الصوتَ، وكان صوته عليه، وغنَّاه محمد بن الحارث وجواريه وكل من حضَر يومئذ، وغنَّانا عبدُ الله بن العباس الربيعي أيضاً أصواتاً، وصنَعَ يومئذ هذا الهَزَج فقال: [الكامل]

يا طيبَ يَوْمي بالمَطيرةِ مُعمِلاً ... للكَأْسِ عندَ محمدِ بن الحارثِ[٣]
في فِتيةٍ لا يَسْمَعُونَ لعاذِلٍ ... قَوْلاً ولا لمسوِّفٍ أو رائِثِ

حدثني وسواسة قال: حدَّثَني حماد بن إسحاق قال: كان أبي يستحسنُ غناء جواري الحارث بن بسخنَّر، ويعتمدُ على تعليمِهنّ لجَواريه، وكان إذا اضطربَ على واحدة منهنّ أو على غيرهن صوتٌ، أو وقع فيه اختلاف، اعتمدَ على الرجوع فيه إليهنّ. ولقد غنَّى مُخارِقٌ يوماً بين يديه صوتاً، فتزايد فيه الزوائد التي كان يستعملُها، حتى اضطرب. فضحك أبي، وقال: يا أبا المُهَنَّأ، قد ساء بعدي أدبُك في غِنَائك فالزم عجائز الحارث بن بسخنَّر يُقوِّمْنَ أَوَدَك[٤].

صوت

[الوافر]

بنانُ يدٍ تُشيرُ إلى بَنانٍ ... تَجاوبَتا وما يتكلّمانِ
جرى الإيماءُ بينَهما رَسولاً ... فأحكم وحْيَهُ المتناجيانِ
فلو أبْصَرْتَهُ لغضضْتَ طَرْفاً ... عَنِ المُتناجِيَيْنِ بلا لِسانِ

الشعر لِماني المُوَسْوِس، والغِناء لعُمر المَيْداني هَزَج، وفيه لعَرِيب لَحنٌ من الهَزَج أيضاً.

---

(١) القاطول: اسم نهر مقطوع من دجلة. كان في موضع سامراء قبل أن تعمر. (معجم البلدان ٤/ ٢٩٧). ومبقل: أخضر وخصيب.
(٢) أعاف: أترك.
(٣) المطيرة: قرية من نواحي سامراء. وكانت من متنزهات بغداد. (معجم البلدان ٥/ ١٥١).
(٤) الأود: الاعوجاج.

أخبار ماني الموسوس

[توفي نحو سنة ٢٤٥هـ /نحو سنة ٨٥٩م]

[اسمه وصفاته]

هو رجلٌ من أهلِ مِصر، يكنى أبا الحسن واسمه محمدُ بنُ القاسم، شاعر ليّن الشعر رقيقه، لم يقل شيئاً إلا في الغزل، وماني لقب غَلَب عليه، وكان قدم مدينةَ السلام، ولقيه جماعةٌ من شيوخنا، منهم أبو العباس محمد بن عمَّار وأبو الحسن الأسديّ وغيرهما، فحدّثني أبو العباس بن عمار، قال: كان ماني يألفُني، وكان مليحَ الإنشاد حلوه، رقيقَ الشعر غَزِلَه، فكان يُنشدني الشيءَ، ثم يُخالَط، فيقطعُه. وكان يوماً جالساً إلى جنبي، فأنشدني للعُريان البصريّ: [المنسرح]

ما أنْصَفَتْكَ العُيونُ لم تَكِفِ ... وقد رَأَيْتَ الحَبِيبَ لم يَقِفِ
فابْكِ دِياراً حَلَّ الحبيبُ بها ... فَبَاعَ منها الجفَاءَ باللُّطَفِ
ثم اسْتَعَارتْ مسامعاً كَسد اللـ ... ومُ عليها من عاشِقٍ كَلِفِ
كأنها إذْ تقنَّعَتْ بِبِلًى ... شَمطاءُ ما تستقلُّ من خَرَفِ[1]
يا عينُ إمّا أريتِني سَكَناً ... غضبانَ يَزوِي بوجهِ مُنْصرِفِ[2]
فمثِّليه للقَلْبِ مُبتسماً ... في شَخصِ راضٍ عَلَيَّ مُنعطِفِ
إنْ تَصِفِيهِ للقلب مُنقَبِضاً ... فأنتِ أشقَى منه به فَصِفِي
يُقالُ بالصَّبْرِ قَتْلُ ذي كلَفٍ ... كيف وصَبْري يَمُوتُ مِنْ كَلَفي[3]

(١) الخرف: فساد العقل من الكبر.
(٢) السّكن: الحبيب.
(٣) الكلف: العشق والهيام.

إذا دعـا الـشَّـوْقُ عَـبـرةً لِـهـوًى ... فـأيّ جَـفْـنٍ يَـقُـولُ لا تَـكِـفِـي
ومُـسْـتـرادٍ لِـلَّـهْـو تـنـفـسـح الْـ ... مُـقْـلَـةُ فـي حـافـتـيـه مـؤتَـلـفِ
قَـصَـرْتُ أيـامَـهُ عـلـى نَـفَـرٍ ... لا مُـنُـنٍ بـالـنَّـدى ولا أُسُـفِ[(١)]
بـحـيـث إنْ شِـئْـتَ أنْ تَـرَى قـمـراً ... يَسْعى عليهم بالكَأْس ذا نُطفِ[(٢)]

[معارضته للعريان]

قال: فسألتُه أن يمليها عليَّ، ففعل، ثم قال: اكتب، فعارضه أبو الحسن المصري، يَعني «ماني» نفسَه فقال: [المنسرح]

أَقْـفَـر مَـغْـنـى الـدِّيـارِ بـالـنَّـجَـفِ ... وحُلْت عـمـا عـهـدتُ مِـنْ لَـطَـفِ[(٣)]
طَـوَيْـتُ عـنـهـا الـرِّضـا مـذمّـمـةً ... لـمّـا انْطوى غضُّ عـيـشِـهـا الأُنُـفِ
حَـلَـلْـتُ عَـنْ سَـكـرةِ الـصَّـبـابـةِ مـن ... خَـوْفِ إلـهـي بـمـعـزِلٍ قُـذُفِ
سَـئِـمـتُ وِرْدَ الـصِّـبـا فـقـد يَـئِـسـتْ ... مـنـي بـنـاتُ الـخـدورِ والـخَـزَفِ
سَـلَـوْتُ عـن نُـهَّـدٍ نُـسِـبْـنَ إلـى ... حسنِ قَـوامٍ والـلَّـحْـظِ فـي وَطَـفِ[(٤)]
يَـمْـدُدْنَ حَـبْـلَ الـصِّـبـا لـمـن أَلِـفَـتْ ... رِجـلاهُ قِـدّاً الـمُـحـولِ والـدَّنَـفِ[(٥)]
ومُـدنَـفٍ عـادَ فـي الـنُّـحولِ مِـنَ الـوَجْـ ... ـدِ إلـى مِـثْـلِ رقَّـةِ الألِـفِ
يُـشـارِكُ الـطَّـيْـرَ فـي الـنَّـحـيـبِ ولا ... يَـشـركـنَـه فـي الـنُّـحـولِ والْـقَـضَـفِ[(٦)]
ومُـسْـمِـعـاتٍ نَـهـكْـنَ أعـظُـمَـهُ ... فـهـو مِـنَ الـضَّـيْـم غـيـرُ مـنـتَـصِـفِ
مـفـتـخـراتٍ بـالـجَـوْرِ عُـجْـبـاً كـمـا ... يَـفْـخَـرُ أَهْـلُ الـسَّـفـاهِ بـالـجَـنَـفِ[(٧)]
وقـهـوةٍ مـن نِـتـاجِ قُـطْـرَبُّـلٍ ... تَـخْـطَـفُ عَـقْـلَ الـفـتـى بـلا عُـنُـفِ[(٨)]
تَـرْجِـعُ شَـرخَ الـشـبـابِ لـلـخـرِفِ الْـ ... ـفَـانـي وتُـدنـي الـفـتـى مِـنَ الـشَّـغَـفِ

---

(١) المُنُن: الفخورون على من أعطوا حتى يفسدوا عطاءهم.
(٢) النُطفُ: جمع نطفة: وهي القليل من الماء.
(٣) المغنى: المنزل.
(٤) الوطف: كثرة شعر الحاجبين والعينين.
(٥) الدّنف: المرض الشديد.
(٦) القضَف: الهزال، النحول.
(٧) الجَنفَ: الظلم.
(٨) قُطربُّل: قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر. (معجم البلدان ٤/ ٣٧١).

قال: فبينا هو يُنشد إذ نظر إلى إمام المسجد الذي كنّا بإزائه قد صَعِد المئذنة ليؤذن فأمسك عن الإنشاد، ونظر إليه - وكان شيخاً ضعيف الجسم والصوت - فأذّن أذاناً ضعيفاً بصوت مرتَعِش، فصعِدَ إليه ماني مُسرعاً، حتى صار معه في رأس الصَّوْمَعة، ثم أخذ بلحيتِه، فصفَعَه في صَلْعَتِه صفعةً ظننتُ أنَّه قد قلع رأسَه، وجاء لها صوتٌ منكَرٌ شديد، ثم قال له: إذا صَعِدت المنارَة لتؤذّن، فعَطْعِط[1]، ولا تُمَطْمِط[2]، ثم نزل ومضَى يعدُو على وجهه. ولقيتُ عنتاً من عَتب الشيخ وشكواه إياي إلى أبي ومشايخ الجِيران، يقول لهم: هذا ابن عمَّار يجيء بالمجانين، فيكتُبُ هَذَيانَهم، ويسلِّطهم على المشايخ فيصفعونهم في الصوامع إذا أذَّنوا، حتى صرتُ إلى منزله، فاعتذرت وحلفت أني إنما أكتب شيئاً من شعره، وما عرفت ما عَمِله ولا أُحيطُ به علماً.

[منوسة الجارية تغني وهو يضيف]

ونسخت من كتاب لابن البَرَاء: حدَّثني أبي قال: عزم محمد بنُ عبد الله بنِ طاهر على الصَّبوح، وعنده الحسنُ بنِ محمد بن طالوت، فقال له محمد: كنا نحتاج أن يكون معنا ثالثٌ نأنَسُ به ونَلذُّ في مجاورته فمن ترى أن يكونَ! فقال ابنُ طالوت: لقد خَطَر ببالي رجل ليسَ علينا في منادمته ثِقَل، قد خلا من إبرام المجالسين، وبَرِىء من ثِقَل المؤانسين، خفيف الوطأة إذا أدنيتَه، سريع الوثبة إذا أمرتَه، قال: مَن هو؟ قال: ماني المَوَسْوِس، قال: ما أسأتَ الاختيار. ثم تقدّم إلى صاحب الشُّرطةِ بطلبه وإحضاره، فما كان بأسرعَ من أن قبض عليه صاحبُ الشرطة بربع الكَرخ فَوافى به بابَ محمد بن عبد الله، فأُدخل، ونُظِّف، وأُخِذ من شَعْره، وأُلبس ثِياباً نِظافاً، وأُدخل على محمد بن عبد الله، فلما مَثَل بين يديه سلّم، فردَّ عليه، وقال له: أما حان لك أن تزورَنا مع شوقنا إليك؟ فقال له ماني: أعزّ الله الأميرَ! الشوق شديد، والوُدُّ عَتيد، والحجابُ صعب، والبواب فَظٌّ، ولو تسهّل لنا الإذنُ لسهُلتْ علينا الزيارة. فقال له محمد: لقد لَطُفتَ في الاستئذان. وأمره بالجلوس فجلس، وقد كان أُطعِم قبل أن يدخل، فأتى محمد بن عبد الله بجارية لإحدى بنات المَهديّ، يقال لها: مَنُوسة، وكان يحبّ السماعَ منها، وكانت تُكثر

(١) عطعط: أي تابع الأصوات.

(٢) تمطمط: أي لا تتوان في الكلام. ويقصد هنا الأذان.

أن تكونَ عنده، فكان أول ما غنَّته: [الطويل]

ولستُ بناسٍ إذ غدوا فتحمَّلوا دُموعي على الخدَّينِ مِنْ شدَّةِ الوجْدِ
وقوْلي وقد زالتْ بعيني حُمولُهمْ بَواكرُ تُحدَى لا يكنْ آخِرَ العَهْدِ[1]

فقال ماني: أيأذَنُ لي الأمير؟ قال: في ماذا؟ قال: في استحسان ما أسمع، قال: نعم، قال: أحسنْتِ والله، فإن رأيتِ أن تزيدي مع هذا الشعر هذين البيتين:

وقُمْتُ أُداري الدَّمْعَ والقَلْبُ حائرٌ بمقلةِ موقوفٍ على الضَّرِّ والجَهْدِ
ولم يُعدِني هذا الأميرُ بعذْلِهِ على ظالمٍ قد لجَّ في الهَجْرِ والصَّدِّ

فقال له محمد: ومن أيّ شيء استعديتَ يا ماني؟ فاستحيا، وقال: لا من ظلمِ أيها الأمير، ولكن الطّربَ حرّك شوقاً كان كامناً، فظهر. ثم غَنَّتْ: [الخفيف]

حَجبوها عَنِ الرِّياح لأني قلت: يا رِيحُ بلِّغيها السّلامَا
لو رضُوا بالحِجابِ هانَ ولكنْ مَنَعُوها يَوْمَ الرِّياحِ الكَلامَا

قال: فطرِب محمد، ودعا برِطل فشربه، فقال ماني: ما كان على قائل هذين البيتين لو أضاف إليهما هذين البيتين:

فَتَنَفَّسْتُ ثُمَّ قُلْتُ لطَيفي: ويكَ إن زُرتَ طيفَها إلماما[2]
حَيِّها بالسَّلامِ سِرّاً وإلاّ منعوها لشِقْوَتي أن تَناما

فقال محمد: أحسنت يا ماني، ثم غنّتْ: [الخفيف]

يا خليليَّ ساعةً لا تَرِيما وعَلى ذي صبابةٍ فأقيما
ما مَرَرْنا بِقَصْرِ زَيْنَبَ إلا فَضَحَ الدَّمْعُ سِرَّكَ المكتُوما

قال ماني: لولا رهبةُ الأمير لأضفت إلى هذين البيتين بيتين لا يَردان على سمع سامع ذي لُبّ فيصدران إلا عن استحسانٍ لهما، فقال محمد: الرغبةُ في حُسْن ما تأتي به حائلةٌ[3] عن كلِّ رهبة، فهاتِ ما عندكَ، فقال:

ظَبيةٌ كالهلال لو تلحظ الصخْـ ـرَ بطَرفٍ لغادَرتْه هَشيما

---

(١) تحدى: تُساق مع الغناء لها.
(٢) ألمّ بالقوم: زارهم زيارة قصيرة.
(٣) حائلة: مانعة.

وإذا ما تبسّمتْ خِلتَ ما يبـ ـدو مِنَ الثَّغرِ لؤلؤاً مَنظوما

فقال محمد: إن أحسنَ الشعر ما دام الإنسان يشرَبُ ما كان مكسوّاً لحناً حسناً تُغَنّي به مَنُوسة وأشباهها، فإن كسيتَ شعرَك من الألحان مثلَ ما غنَّتْ قبلَه طاب، فقال: ذلك إليها. فقال له ابن طالوت: يا أبا الحُسَين، كيف هي عندَكَ في حسنها وجمالها وغِنائها وأدبها؟ قال: هي غاية يَنتهي إليها الوصفُ، ثم يقف. قال: قل في ذلك شعراً، فقال: [السريع]

وكيفَ صَبْرُ النَّفسِ عن غادةٍ تَظْلِمُها إن قلتَ طاووسَهْ
وجُرتَ إن شبّهتَها بانةً في جنَّةِ الفردوسِ مَغروسَهْ[1]
وغيرُ عدْلٍ إن عَدَلْنا بها لؤلؤةً في البحْرِ مَنْفُوسهْ[2]
جلَّتْ عَنِ الوَصْفِ فما فِكرةٌ تَلْحَقُها بالنَّعْتِ مَحسوسَهْ

فقال له ابنُ طالوت: وجب شكرُك يا ماني، فساعدَك دهْرُك، وعطف عليك إلفُك، ونلتَ سرورَك، وفارقْتَ محذورَك، والله يديم لنا ولك بقاء من ببقائه اجتمع شملُنا وطاب يومُنا.

فقال ماني: [الرمل]

مُدْمِنُ التَّخْفيفِ مَوْصولُ ومُطِيلُ اللَّبثِ مَمْلولُ[3]

فأنا أستودعُكم الله، ثم قام فانصرف، فأمر له محمد بن عبد الله بصِلَة، ثم كان كثيراً ما يبعث يطلبه إذا شَرِب، فيبرُّه، ويصلُه، ويقيمُ عنده.

[تشبيبه بغلام]

أخبرني جعفر بن قُدامة، قال: حدثني المبرد، قال: حدثني بعض الكتّاب ممَّن كان ماني يلزمه، ويكثُرُ عنده، قال: لقيني يوماً ماني بعد انقطاع طويل عني، فقال: ما قطعني عنك إلا أني هائم، قلت: بِمَنْ؟ قال بمن إن شئتَ أن تراه الساعةَ رأيتَه فعذرْتَني، قلتُ: فأنا معك، فمضى، حتى وافى بابَ الطاق، فأراني غُلاماً

(١) البانة: شجرة سبطة القوام، لينة. تشبه بها الحسان في الطول واللين.
(٢) منفوسة: متنافَسٌ عليها مرغوب فيها.
(٣) اللّبْث: الإقامة.

جميلَ الوجه بين يدي بزَّاز[1] في حانوتِه، فلما رآه الغلام عدا، فدخل الحانوتَ، ووقف ماني طويلاً ينتظره، فلم يخرج، فأنشأ يقول: [البسيط]

ذَنبي إليه خُضُوعي حينَ أُبْصِرُه ... وطُولُ شَوْقي إليه حِينَ أذكُرُهُ
وما جرحْتُ بطرف العَيْن مُهجَتَهُ ... إلا ومن كَبِدي يَقْتَصُّ مَحْجَرُهُ[2]
نَفْسِي على بُخْلِهِ تَفدِيهِ مِنْ قَمَرٍ ... وإنْ رماني بِذَنْبٍ ليسَ يَغْفِرُهُ
وعاذلٍ باضطبارِ القَلْبِ يَأْمُرُني ... فَقُلْتُ: من أيْنَ لي قَلْبٌ أُصَبِّرُهُ

ومَضى يعدو ويصيح: الموت مخبوءٌ في الكتب.

صوت

وشادنٍ قلبي به مَعْمُودُ ... شِيمَتُهُ الهِجْرانُ والصُّدُودُ
لا أسأمُ الحِرصَ ولا يَجُودُ ... والصَّبْرُ عَنْ رُؤْيَتِهِ مَفْقودُ
زُنّارُهُ في خَصْرِه مَعْقودُ ... كأَنَّهُ مِنْ كَبِدي مَقدودُ[3]

عروضه من الرجز، والشِّعْرُ لبكرِ بن خارجة، والغِناء للقاسم بن زُرْزُور، خفيف رَمَل بالوسطى.

---

(١) البزاز: بائع الثياب.
(٢) المحجر: ما أحاط بالعين.
(٣) مقدود: مقطوع.

أخبار بكر بن خارجة

[صنعته]

كان بكرُ بن خارجة، رجلاً من أهل الكوفة، مولًى لبني أسد، وكان ورّاقاً ضيّقَ العيش، مقتصراً على التكسب من الوِرَاقة، وصرفَ أكثرَ ما يكسبُه إلى النبيذ، وكان مُعاقراً للشُّرب في منازل الخمَّارين وحاناتهم، وكان طيّبَ الشّعر مليحاً مطبوعاً طَبْعاً ماجناً[1].

[عشقه للخمرة]

فذكر أبو العنبس الصَّيْمري أن محمد بن الحجاج حدَّثه قال: رأيتُ بكرَ بن خارجةَ يبكّر في كل يوم بقِنّينتين من شراب إلى خراب من خراباتِ الحِيرة، فلا يزال يشربه فيه على صوت هُدْهُد كان يأوي إلى ذلك الخراب، إلى أن يَسْكر، ثم ينصرف، قال: وكان يتعشق ذلكَ الهُدْهُدَ.

وحدثني عمي عن ابن مَهرُوَيه عن عليّ بن عبد الله بن سعد، قال: كان بكرُ ابنُ خارجة يتعشق غلاماً نصرانياً، يقالُ له عيسى بن البَراء العِبَاديّ الصَّيْرفي، وله فيه قصيدة مزدوجة يذكُرُ فيها النّصارى وشرائعَهم وأعيادَهم، ويُسمِّي دياراتِهم، ويفضّلُهم.

قال: وحدثني من شَهِد دِعبِلاً وقد أنشدني قوله في عيسى بن البراء النصراني العِبَادِي: [الرجز]

زُنّــارُهُ فــي خَـصْـرِهِ مَـعْـقُـودُ كـأَنَّـهُ مِـنْ كـبـدِي مـقـدودُ

(١) الماجن: العديم المبالاة.

فقال دِعبِل: ما يعلمُ الله أنّي حسدتُ أحداً قطُّ كما حسدت بَكراً على هذين البيتين.

[يبكي ويتحسّر على الخمر المصبوبة في الطرق]

وحدثني عمي عن الكُرانيّ، قال: حرّم بعضُ الأمراء بالكوفة بيعَ الخمر على خماري الحِيرة، وركب فكسر نَبيذَهم، فجاء بَكر يشربُ عندهم على عادته، فرأى الخمرَ مصبوبة في الرحاب والطرق، فبكى طويلاً، وقال: [الخفيف]

يا لَقَوْمي لِما جنَى السُّلطانُ ... لا يكونَنْ لما أهانَ الهوانُ
قهوةٌ في التَّرابِ من حَلَبِ الكَرْ ... مِ عُقَاراً كأنَّها الزَّعْفرانُ
قَهْوَةٌ في مكانِ سَوءٍ لقد صا ... دفَ سعدَ السُّعودِ ذاكَ المكانُ[1]
من كُميتٍ يُبدي المِزاجُ لها لؤ ... لؤَ نظمٍ والفصلُ منها جُمَانُ[2]
فإذا ما اصْطَبَحْتُها صغُرت في الـ ... قَدْر تَختالُها هي الجرذانُ
كيفَ صَبْري عن بعضِ نفسي وهل يصْـ ... ـبرُ عن بعضِ نفسِهِ الإنسانُ!

قال: فأنشدتها الجاحظ، فقال: إن من حق الفتوّة أن أكتب هذه الأبيات قائماً وما أقدر على ذلك إلا أن تَعْمِدني[3]، وقد كان تقوّس، فعمَدتُه، فقام، فكتبها قائماً.

[الخمرة أفسدت عقله]

وقال محمد بن داود بن الجرَّاح في كتاب الشعراء: قال لي محمد بن الحجاج: كانت الخمرُ قد أفسدتْ عقلَ بكر بن خارجة في آخر عمره، وكان يمدح ويهجو بدِرهم وبدِرهمين ونحو هذا فاطُّرِح[4]، وما رأيت قطّ أحفظَ منه لكلِّ شيء حسن، ولا أروَى منه للشعر.

---

(١) سعد السعود: واحد من عدة كواكب يقال لكل واحد منها: سعد كذا..

(٢) الجمان: اللؤلؤ.

(٣) تَعْمِدني: تساعدني على القيام.

(٤) أطرح: أهمل.

قال: وأنشدني بعضُ أصحابنا له في حال فساد عقله: [مجزوء الكامل]

هَبْ لي فَدَيْتُكَ دِرهماً أو دِرهمَيْنِ إلى الثّلاثَهْ
إني أُحِبُّ بني الطُّفَيْلِ ولا أُحِبُّ بَني عُلاثَهْ

قال ابن الجراح: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني بعض أصحابنا الكوفيين قال: حضرنا دعوة ليحيى بن أبي يوسف القاضي وبتنا عنده، فنمت فما أنبهني إلاّ صياح بكر يستغيث من العطش، فقلت له: ما لك؟ فاشرب فالدار مليئة ماءً، قال: أخاف، قلت: من أي شيء؟ قال: في الدار كلب كبير، فأخاف أن يظنني غزالاً فيثب عليّ ويقطعني ويأكلني، فقلت له: ويحك يا بكر! فالحمير أشبه منك بالغزال، قمْ فاشرب إن كنت عطشان وأنت آمن، وكان عقله قد فسد من كثرة الشراب.

قال: وأنشدني له، وقد رأى صديقاً له قرأ رقعة من صديق له آخر ثم حرقها:

[البسيط]

لم يَقْوَ عندي على تَحْريقِ قُرْطاسي إلا امْرُؤٌ قَلْبُهُ مِنْ صَخْرَةٍ قاسي
إنَّ القراطِيسَ مِنْ قَلْبي بمنزلةٍ تَحْويهِ كالسَّمْعِ والعَيْنَيْنِ في الراسِ

ومما يغنَّى فيه من شعر بَكر بن خارجة:

صوت

[السريع]

قلبي إلى ما ضرَّني داعي يُكْثِر أَحزاني وأوجاعي
لقَلّ ما أبقَى على ما أرى يُوشِكُ أن ينعَانِيَ الناعي
كيفَ احْتِراسي من عدوِّي إذا كان عدوي بين أضلاعي؟
أسلمني الحُبُّ وأشْياعي لمَّا سعى بي عندها الساعي
لمَّا دعاني حُبُّها دَعْوةً قُلْتُ له: لبَّيْك مِنْ دَاعِ

الغناء لإبراهيم بن المهدي ثقيل أول، وفيه لعبدِ الله بن العباس هَزَج، جميعاً عن الهشامي، وقيل: إن فيه لحناً لابن جامع.

وقد ذكر الصولي في أخبار العباس بن الأحنف وشعره أن هذه الأبيات للعباس بن الأحنف، وذكر محمد بن داود بن الجرَّاح عن أبي هفَّان أنها لبكر بن خارجة.

صوت

[السريع]

وَيْـلـي عـلـى سـاكِـنِ شَـطِّ الـصَّـراهْ مِنْ وَجْنَتَيْهِ شِمتُ بـرْقَ الـحـيـاه[1]
مـا يَـنْـقَـضـي مِـنْ عَـجـبِ فِـكْـرتـي فـي خَـصـلـةٍ فَـرَّطَ فـيـهـا الـوُلاهْ
تَـرْكُ الـمُـحِـبـيـنَ بـلا حـاكـمٍ لـم يُـقـعـدوا لـلـعـاشِـقـيـنَ الـقُـضـاهْ

الشعرُ لإِسماعيل القراطيسي والغناءُ لعباس بن مَقام خفيف رَمَل بالوسطى.

(١) الصَّراة: نهران ببغداد: الصراة الكبرى والصراة الصغرى. (معجم البلدان ٣/ ٣٩٩).

أخبار إسماعيل القراطيسي

[بيته ملتقى العابثين]

هو إسماعيل بن مَعْمَر الكوفي، مولى الأشاعثة، وكان مَألفاً للشعراء، فكان أبو نواس وأبو العتاهية ومُسلم[١] وطبقتهم يقصدون منزله. ويجتمعون عنده، ويقصِفون[٢]، ويدعو لهم القيانَ وغيرَهن من الغلمان، ويساعدُهم.

وإياه يعني أبو العتاهية بقوله: [الهزج]

لـقـد أمـسَـى الـقَـراطِـيـسـي رَئِـيـسـاً فـي الـكَـشـاخـيـن[٣]

وفي هذه الأبيات التي فيها الغناءُ يقول القراطيسي: [السريع]

وقـد أتـانـي خَـبَـرٌ سـاءنـي مـقـالـهـا فـي الـسِّـرِّ وا سَـوْأتـاهْ
أمـثـلَ هـذا يَـبْـتَـغِـي وَصْـلَـنـا أمـا يَـرى ذا وَجْـهَـهُ فـي الـمِـراهْ[٤]

أخبرني ابنُ عمَّار عنُ ابن مَهرويه، عن عليّ بن عمران، قال: قال القراطيسي: قلت للعباس بن الأحنف: هل قلتَ في معنَى قولي: [السريع]

وقـد أتـانـي خـبـرٌ سـاءنـي مـقـالـهـا فـي الـسـرّ: وا سـوأتـاه؟

قال: نعمْ، وأنشدَني: [السريع]

جـاريـة أعـجـبَـهـا حـسـنُـهـا فـمـثـلُـهـا فـي الـنـاسِ لـم يُـخْـلَـقِ
خـبَّـرتُـهـا أنّـي مُـحِـبٌ لـهَـا فـأَقْـبَـلَـتْ تَـضْـحَـكُ من مـنـطـقـي

---

(١) هو المعروف بصريع الغواني: مسلم بن الوليد الأنصاري.
(٢) يقصفون: يلهون.
(٣) الكشاخون: جمع كشخان وهو الذي لا يغار على أهله.
(٤) المراه: المرآة.

والْـتَـفَـتَـتْ نَـحْـوَ فـتـاةٍ لـهـا كـالـرشـأ الـوَسـنـانِ فـي قُـرطُـقِ[1]
قـالـتْ لـهـا: قُـولِـي لـهـذا الـفَـتَـى: انْـظُـرْ إلـى وَجْـهِـكَ ثـم اعـشَـقِ

أخبرني الحسنُ بن مَهرُويه، قال: حدثني أحمد بن بشر المَرْثديّ، قال: مدح إسماعيلُ القراطيسي الفضلَ بن الربيع، فحرَمه فقال: [الهزج]

ألا قـلْ لـلّـذي لـم يَـهْـدِ هِ الـلّـهُ إلـى نـفـعِ
لـئـن أخْـطَـأتُ فـي مـدحـيـ ـكَ مـا أخْـطـأتَ فـي مـنـعـي
لـقـد أحـلَـلْـتُ حـاجـاتـي بـوادٍ غـيـر ذي زَرْعِ[2]

أخبرني محمدُ بن جعفر النحويّ صهر المبرِّد عن أبي هفَّان عن الجمَّاز، قال: اجتمع يوماً أبو نواس وحُسينُ الخليع وأبو العَتاهية في الحَمّام وهم مخمورون، فقالوا: أينَ نجتمع؟ فقال القراطيسي: [الهزج]

ألاَ قُـومـوا بـأجْـمَـعِـكُـم إلـى بَـيْـتِ الـقَـراطـيـسـي
لـقـد هـيَّـا لـنـا الـنـزْلَ غـلامٌ فـارِهٌ طُـوسـي[3]
وقـد هـيّـا الـزُّجـاجـاتِ لـنـا مِـنْ أرضِ بِـلْـقـيـس
وألْـوانـاً مِـنَ الـطَّـيْـرِ وألْـوانـاً مـنَ الـعِـيـس
وقَـيْـنـاتٍ مِـنَ الـحُـورِ كـأمْـثـالِ الـطـواويـس
فـنـيـكـوهُـنَّ فـي ذاكـم وفـي طـاعَـةِ إبـلـيـس

صوت

[البسيط]

أبكي إذا غَضِبَت حتى إذا رَضِيَتْ بَكَيْتُ عند الرِّضا خَوْفاً من الغَضَبِ
فالويلُ إن رضِيتْ والعوْلُ إن غَضِبَتْ إن لم يتمَّ الرِّضا فالقَلْبُ في تَعَبِ

الشعر لأبي العِبَر الهاشمي، أنشدَنيه الأخفش وغيرُه من أصحابنا، وذكره له محمد بن داود بن الجرّاح، والغناء لعُلَيَّة بنتِ المهديّ ثاني ثقيل بالوسطى عن الهِشاميّ.

---

(١) القرطق: القباء.

(٢) أي نزلت حيث كان يجب ألاّ أنزل.

(٣) الفَارِهْ: الجميل الحسن والخفيف النشيط.

أخبار أبي العبر ونسبه

[توفي نحو سنة ٢٥٠هـ /نحو سنة ٨٦٤م]

[اسمه ونسبه]

هو أبو العباس محمد بنُ أحمد، ويلقب حمدوناً الحامض بن عبد الله بن عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان صالح الشعر مطبوعاً يقول الشعرَ المستوي في أول عمره منذ أيام الأمين وهو غلام، إلى أن ولِيَ المتوكل الخلافة، فترك الجِدّ، وعاد إلى الحُمق والشهرة به، وقد نيَّف على الخمسين، ورأى أن شعره مع توسطه لا ينفُق مع مشاهدته أبا تمام الطائيّ والبحتريّ وأبا السمط بن أبي حفصة ونظراءهم.

[أخبار حماقاته]

حدثني عم أبي عبد العزيز بن أحمد، قال: سمعت حمدون الحامض يذكر أن ابنه أبا العِبَر ولد بعد خمس سنين خلت من خلافة الرشيد، قال: وعُمِّر إلى خلافة المتوكل، وكسب بالحُمق أضعافَ ما كسبه كلُّ شاعر كان في عصره بالجِدّ، ونَفَق نَفاقاً عظيماً، وكسب في أيام المتوكّل مالاً جليلاً، وله فيه أشعارٌ حميدة، يمدحه بها، ويصف قصرَه وبرجَ الحمام والبِرْكة كثيرة المحالّ، مُفرِطة السقوط، لا معنى لذكرها، سيما وقد شهرت في الناس.

فحدّثني محمد بن أبي الأزهر، قال: حدّثني الزبير بن بكّار، قال: قال لي عمي: ويحك! ألا يأنف الخليفة لابن عمه هذا الجاهل مما قد شهَّر به نفسه وفضحَ

عشيرته! والله إنه لعُرٌّ[١] بني آدم جميعاً، فضلاً عن أهله والأدنَيْن! أفلا يردَعُه ويمنعه من سوء اختياره! فقلت: إنه ليس بجاهل كما تعتقد، وإنما يتجاهل، وإن له لأدباً صالحاً وشعراً طيِّباً، ثم أنشدتُه: [المديد]

لا أقُولُ الله يَظْلِمني كيف أشكو غيرَ مُتَّهمِ!
وإذا ما الدَّهرُ ضَعْضَعني لم تجِدْني كافرَ النِّعمِ
قَنَعَتْ نَفْسي بما رُزِقَتْ وتناهَتْ في العُلا هِمَمي
لَيس لي مالٌ سِوى كَرَمي وبه أمْنِي مِنَ العَدَمِ

فقال لي: ويْحكَ! فلم لا يلزَمُ هذا وشبهه؟ فقلت له: والله يا عمّ لو رأيتَ ما يصل إليه بهذه الحماقات لعذرتَه، فإن ما استملحتَ له لم يَنفُق به، فقال عمي - وقد غضِب - لا أنا لا أَعذره في هذا ولو حاز به الدُّنيا بأسرها، لا عذرني الله إن عذرتُه إذَن!

وحدثني مُدرك بن محمد الشيباني، قال: حدثني أبو العنبس الصيمري، قال: قلتُ لأبي العِبَر ونحن في دارِ المتوكل: ويحك! أيشٍ يحملُك على هذا السُّخف الذي قد ملأتَ به الأرض خُطباً وشعراً وأنت أَدِيب ظَريف مليحُ الشعر؟ فقال لي: يا كشخانُ، أتريد أن أكسد أنا وتنفق أنت؟ أنت أيضاً شاعر فَهِمٌ متكلِّم فلم تركتَ العلم، وصنعت في الرقاعة نيّفاً وثلاثين كتاباً، أُحبُّ أن تخبرني لو نفق العقلُ أكنتَ تُقدّم عليّ البُحتري، وقد قال في الخليفة بالأمس: [مجزوء الكامل]

عَن أيِّ ثَغرٍ تَبْتَسِم وبأيِّ طَرفٍ تَحْتَكِم!

فلما خرجتَ أنتَ عليه وقلت: [مجزوء الكامل]

في أيِّ سَلْحٍ تَرْتَطِمْ وبأيِّ كَفٍّ تَلْتَطِم
أَدْخَلْتَ رأسَكَ في الرَّحِم وعَلِمْتَ أنَّكَ تَنْهزِم

فأُعطِيتَ الجائزة وحُرِم، وقُرِّبتَ وأُبعد، في حِرِ أُمّكَ وحِرِ أُمّ كل عاقل معك! فتركتُه، وانصرفت.

قال مدرك: ثم قال لي أبو العَنْبَس: قد بلغني أنك تقول الشعر، فإن قدرت أن تقوله جيّداً، جيّداً، وإلا فليكن بارداً بارداً، مثلَ شعر أبي العِبَر وإياك والفاتر فإنه صفعٌ كلُّه.

(١) العُرّ: في الأصل الجرب وهنا يريد المعرّة والمسبّة.

حدثني جعفر بن قُدامة، قال: حدثني أبو العيناء، قال: أنشدتُ أبا العِبر:

[مجزوء الرجز]

مــا الــحُــبُّ إلا قُــبْــلَــة أو غَــمْــزُ كــفٍّ وعَــضُــدْ
أو كــتُــبٌ فــيــهــا رُقًــى أَنْــفَــذُ مِــنْ نَــفْــثِ الــعُــقَــدْ[1]
مَــن لــم يَــكُــنْ ذا حُــبَّــهُ فــإنَّــمــا يَــبْــغِــي الــولَــدْ
مــا الــحُــبُّ إلا هــكــذا إنْ نُــكِــحَ الــحُــبُّ فَــسَــدْ

فقال لي: كذب المأبونُ وأكل من خَراي رِطلين ورُبعاً بالميزان، فقد أخطأَ وأساءَ، أَلا قال كما قلتُ:

[الهزج]

بــاضَ الــحُــبُّ فــي قــلْــبــي فــوا ويــلــي إذا فَــرَّخْ
ومــا يَــنْــفَــعُــنــي حُــبِّــي إذا لــم أكــنــس الــبَــرْبَــخْ[2]
وإن لــم يــطــرح الأصــلَــ ـعُ خُــرجــيــه عَــلَــى الــمَــطْــبَــخْ

ثم قال: كيف ترى؟ قلتُ: عجباً من العَجب، قال: ظننت أنك تقول: لا، فأبلَّ يدي وأرفعها. ثم سكت، فبادرتُ، وانصرفتُ خوفاً من شرِّه.

حدثني عبد العزيز بن أحمد عم أبي، قال: كان أبو العِبر يجلس بسُرَّ مَن رأى في مجلس يجتمع عليه فيه المُجّان يكتبون عنه، فكان يجلس على سُلَّم وبين يديه بلاَّعة فيها ماء وحَمْأَة[3]، وقد سُدَّ مَجراها، وبين يديه قصبةٌ طويلة، وعلى رأسه خُفٌّ، وفي رجليَّه قَلَنْسيتان، ومُستمليه في جوفِ بِئر، وحوله ثلاثةُ نفرٍ يدُقُّون بالهواوين، حتى تكثر الجَلبَةُ، ويقلّ السماع، ويَصيحُ مُستمليه من جوف البئر من يكتب، عذَّبك الله، ثم يملي عليهم، فإن ضحك أحد ممن حضر قاموا فصبُّوا على رأسه من ماء البلاَّعة إن كان وضيعاً، وإن كان ذا مُروءة رشَّشَ عليه بالقصبةِ من مائها، ثم يحبس في الكنيف إلى أن ينفضَّ المجلسُ، ولا يخرج منه حتى يغرم دِرْهمين. قال: وكانت كنيتُه أَبا العباس، فصيرها أَبا العِبر، ثم كان يزيد فيها في كل سنة حرفاً، حتى مات، وهي: أبو العِبر طرد طيل طليري بك بك بك.

حدثني جحظةُ، قال: رأيت أبا العبر بسُرّ من رأى، وكان أبوه شيخاً صالحاً،

(١) الرُّقَى: جمع رقية وهي العوذة التي يُرقى بها المريض ونحوه.
(٢) البربخ: منفذ الماء ومجراه (البالوعة).
(٣) الحمأة: الطين الأسود المنتن.

وكان لا يكلِّمه. فقال له بعض إخوانه: لم هجرتَ ابنك؟ قال: فضحني - كما تعلمون - بما يفعلُه بنفسه، ثم لا يرضى بذلك، حتى يُهَجِّنَني ويؤذيني، ويُضحك الناسَ مني، فقالوا له: وأيّ شيء من ذاك؟ وبماذا هجَّنك؟ قال: اجتاز عليّ منذ أيام ومعه سُلَّم، فقلت له: ولأيّ شيء هذا معك؟ فقال: لا أقول لك، فأخجلني، وأضحك بي كل من كان عندي، فلما أن كان بعد أيام اجتاز بي ومعه سَمَكة، فقلت له: أيشٍ تعمل بهذه؟ فقال: أنيكُها، فحلفتُ لا أُكلمُه أبداً.

أخبرني عم أبي عبد العزيز، قال: سمعتُ رجلاً سأل أبا العِبَر عن هذه المُحالات التي لا يُتكلّم بها: أيُّ شيء أصلها؟قال: أُبكِّر، فأجلسُ على الجسر، ومعي دواة ودَرْج[1]، فأكتب كلَّ شيء أسمعُه من كلام الذاهب والجائي والملاَّحين والمُكارين، حتى أملأ الدَّرج من الوجْهيْن، ثم أقطعه عَرضاً وطولاً وأُلصقه مخالفاً، فيجيء منه كلام ليس في الدنيا أحمقُ منه.

أَخبرني عمي، قال: رأيت أبا العِبَر واقفاً على بعض آجام[2] سُرّ من رأى، وبيده اليسرى قوس جُلاهق[3]، وعلى يده اليمنى باشق، وعلى رأسه قطعة رئة في حبل مشدود بأنشوطَة[4]، وهو عُريان، في أيره شعر مفتول مشدود فيه شِصّ[5] قد ألقاه في الماء للسَّمك، وعلى شفته دُوشاب[6] مُلطَّخ، فقلت له: خَرِب بيتُك، أيشٍ هذا العمل؟ فقال: أصطادُ يا كَشخان يا أحمقُ بجميع جوارحي، إذا مرَّ بي طائر رميته عن القوس، وإن سقط قريباً مني أرسلتُ إليه الباشق، والرئة التي على رأسي يجيء الحِدَأ[7] ليأخذها فيقع في الوهق[8] والدُّوشاب أصطاد به الذُّبابَ، وأجعله في الشِّص، فيطلبه السمك، ويقع فيه، والشصّ في أيري، فإذا مرّتْ به السمكة أحسستُ بها، فأخرجتُها.

قال: وكان المتوكل يَرمِي به في المنْجَنيق إلى الماء، وعليه قميصُ حرير،

---

(١) الدَرْج: ما يكتب فيه من الورق وغيره.
(٢) الآجام: جمع أجم وهو: القصر.
(٣) جلاهق: بندق يرمى به.
(٤) الأنشوطة: حديدة يعقد بها.
(٥) الشصّ: حديدة معقوفة يصاد بها السمك.
(٦) الدوشاب: عصير العنب.
(٧) الحِدأ: جمع حِدَأة وهي: طائر من الجوارح ينقض على الجرذان والدواجن والأطعمة ونحوها.
(٨) الوهق: حبل يرمى به في أنشوطة فتؤخذ به الدابة أو الإنسان وجمعه: أوهاق.

فإذا علا في الهواء صاح: الطريقَ الطريقَ، ثم يقع في الماء، فتخرجه السُّبَّاح، قال: وكان المتوكل يُجلسه على الزّلاّقة، فينحدرُ فيها، حتى يقع في البِركة، ثم يطرح الشبكة، فيُخرجه كما يُخرج السمك، ففي ذلك يقول في بعض حماقاته:

[المتقارب]

ويأمر بي المَلِك ... فيطرحُني في البِرَكْ
ويصطادُني بالشَّبك ... كأني من السَّمكْ
ويَضْحَكُ كك كك ككك ... ككك كك ككك كك كك

وحدثني جعفر بن قدامة، قال: قدم أبو العِبَر بغداد في أيام المستعين، وجلس للناس، فبعث إسحاقُ بن إبراهيم، فأخذه، وحبسه،فصاح في الحبْس: لي نصيحة، فأُخرج، ودعا به إسحاق، فقال: هات نصيحتَك، قال: على أن تؤمِّنني؟ قال: نَعَم، قال: الكَشْكية ـ أصلحك الله ـ لا تَطيب إلا بالكشك، فضحك إسحاق وقال: هو ـ فيما أرى ـ مجنون، فقال: لا، هو ـ امتخط حوت[1]، قال: أيش هوامتخط حوت؟ ففهم ما قاله، وتبسم ثم قال: أظنُّ أنّي فيك مأثوم[2] قال: لا، ولكنك في ماء بَصل، فقال: أخرجوه عني إلى لعنة الله، ولا يقيم ببغداد، فأردَّه إلى الحبس، فعاد إلى سُرَّ من رأى.

وله أَشعار ملاح في الجِدّ، منها ما أنشدَنيه الأخفش له يخاطب غلاماً أمردَ:

[الخفيف]

أيها الأمْرَدُ المُولَّعُ بالهَجْـ ... ـرِ أفقْ ما كذا سبيلُ الرَّشادِ
فكأنّي بحُسْنِ وَجْهِكَ قد أُلْـ ... ـبَسَ في عارِضَيْكَ ثَوْب حِدادِ
وكأني بعاشِقيك وقد بُدِّلْـ ... ـت فيهم مِنْ خلطةٍ بِبِعادِ
حين تَنْبُو العُيونُ عنكَ كما يَنْـ ... ـقَبِضُ السَّمْعُ عن حديثٍ مُعادِ
فاغْتَنِمْ قَبْلَ أن تَصيرَ إلى كا ... ن وتُضحِي في جُملةِ الأضدادِ

وأنشدني محمد بن داود بن الجرّاح له، وفيه رَمَلٌ طُنبوري محدَث أظنُّه لحَجْظَة:

---

(١) وهي مركّبة من كلمتين: امتخط بمعنى مجّ، وحوت بمعنى نون، فتصبح: مجنون.
(٢) مأثوم: عبارة عن كلمتين «ماء» و«ثوم» وجعل بدلها «ماء بصل».

صوت

[السريع]

داءٌ دفـيـنٌ وهـوًى بـادي ... أظْـلـم فَـجـازيـك بـمـرصَـادِ
يـا واحـدَ الأمـة فـي حُـسْـنِـهِ ... أشـمـتَ بـي صـدُّك حُـسَّـادي
قـد كـدتُ مـمـا نـالَ منّـي الـهـوى ... أخْـفَـى عـلـى أعْـيُـنِ عُـوَّادي[1]
عـبـدُكَ يُـخْـيـي موتَـه قُـبـلـةٌ ... تَـجْـعَـلُـهـا خـاتـمـةَ الـزَّادِ

[هجوه قاضيين أعورين]

أخبرني الحسنُ بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرُويه، قال: حدثني أحمد بن عليٍّ الأنباري قال:

كنا يوماً في مجلس يزيد بن محمد المهلّبي بسُرَّ من رأى، فجرى ذكر أبي العِبر، فجعلوا يذكرون حماقاته وسقوطَه، فقلت ليزيد: كيف كان عندَك، فقد رأيته؟ فقال: ما كان إلاَّ أديباً فاضلاً، ولكنه رأى الحماقَةَ أنفقَ وأنفعَ له فتحامق.

فقلت له: أُنشدُك أبياتاً له أنشدَنيها، فانظر لو أراد دِعبِل - فإنه أهجى أهل زمانِنا - أن يقول في معناها ما قدر على أن يزيدَ على ما قال، قال: أنشِدْنيها، فأنشدته قوله: [الوافر]

رأَيـتُ مِـنَ الـعـجـائـبِ قـاضـيَـيْـنِ ... هـمـا أُحـدوثـةٌ فـي الـخـافِـقَـيـن[2]
هـمـا اقْـتَـسـمـا الـعـمـى نِـصْـفَـيْـنِ قَـدّاً ... كـمـا اقْـتَـسَـمـا قَـضـاءَ الـجـانِـبَـيْـن[3]
هـمـا فـألُ الـزّمـانِ بِـهُـلْـكِ يَـحـيـى ... إذا افْـتُـتِـحَ الـقـضـاءُ بـأعـورَيـن[4]
وتـحـسـب مـنـهـمـا مـن هـزَّ رأسـاً ... لِـيَـنْـظُـرَ فـي مـواريـثٍ وديْـن
كـأنّـكَ قـد جَـعَـلْـتَ عـلـيـه دَنّـاً ... فـتـحـت بِـزالَـه مـن فَـردِ عَـيْـن[5]

فجعل يضحكُ من قوله، ويعجب منه، ثم كتب الأبيات.

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ قال: حدثنا محمد بن مَهرويه قال: حدثني ابن أبي

---

(١) العواد: جمع عائد، وهو زائر المريض.
(٢) القاضيان هما: حيان بن بشر وسوار بن عبد الله.
(٣) قدّاً: مناصفة.
(٤) يحيى: هو يحيى بن أكثم الذي ولّى القاضيين المذكورين.
(٥) البِزال: موضع فتح وعاء الخمر.

أحمد، قال: قال لي أبو العِبر: إذا حدّثك إنسان بحديث لا تشتهي أن تسمعَه فاشتغل عنه بنَتْف إبطك، حتى يكون هو في عمل وأنتَ في عمل.

[قتل بسبب بغضه لعلي عليه السلام]

وقال محمد بن داود: حدثني أبو عبد الله الدوادي، قال: كان أبو العِبر شديدَ البغض لعليّ بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه ـ وله في العلويين هجاءٌ قبيح، وكان سببَ ميتته أنه خرج إلى الكوفة ليرمِيَ بالبُنْدق مع الرماة من أهلها في آجامهم، فسمِعه بعض الكوفيين يقول في علي ـ صلوات الله عليه ـ قولاً قبيحاً استحلّ به دمَه، فقتله في بعض الآجام، وغرّقه فيها.

صوت

[الطويل]

لقد طالَ عهدي بالإمامِ محمدٍ ... وما كنت أخشى أن يَطولَ به عهدي
فأصبحتُ ذا بُعْدٍ وداريَ قريبةٌ ... فواعجبا من قُرب داري ومن بُعدي!
فيا ليت أنّ العِيدَ لي عادَ مرّةً ... فإني رَأَيْتُ العِيدَ وَجْهَكَ لي يُبْدِي
رَأَيْتُكَ في بُرْدِ النبيِّ محمدٍ ... كَبَدْرِ الدُّجى بين العِمامةِ والبُردِ

الشعر لمروان بن أبي حفصة الأصغر، والغناء لبنان خفيف رمل بالبنصر.

أخبار مروان بن أبي حفصة الأصغر

[توفي نحو سنة ٢٤٠هـ / نحو سنة ٨٥٥م]

[تقرّب إلى المتوكل بهجاء آل أبي طالب]

هو مروان بن أبي الجنوب بن مروان الأكبر بن أبي حفصة. قد تقدَّم خبره ونسبه، ويكنى مروان الأصغر أبا السّمط، وكان يتشبّه بجَدّه في شعره، ويمدح المتوكل، ويتقربُ إليه بهجاء آل أبي طالب، فتمكَّن منه وقَرُب إليه، وكسب معه مالاً كثيراً، فلما أفضت الخلافة إلى المنتصر تجنّب مذهبَ أبيه في كل أمر، فطرده وحلف ألاَّ يدخل إليه أبداً لما كان يسمعه منه في أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه.

فأخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ وعَمِّي قالا: حدثنا الحَسن بن عُلَيْل العَنَزِيّ قال: حدثني محمد بن عبد الله بن آدم العَبديّ قال: دخل مروان بن أبي الجنوب على المتوكل فأنشده قوله: [الطويل]

سلامٌ على جُمْلٍ وهيهات من جُملِ ... ويا حَبَّذا جُملٌ وإن صرمت حَبْلي

وهي من مشهور شعره، وفيها يقول:

أبوكم عليٌّ كان أفضلَ منكُم ... أباه ذوُو الشورى وكانوا ذَوِي عَدْلِ

وساءَ رَسولَ الله إذ ساءَ بنتَه ... بخِطبتِهِ بنْتَ اللَّعينِ أبي جهلِ

أَرادَ عَلَى بنْتِ النَّبِيِّ تزوُّجاً ... ببنت عَدُوِّ الله، يا لك من فِعْلِ!

فذمّ رَسولُ الله صِهرَ أبيكُم ... على منبر الإِسْلامِ بالمنطقِ الفَصْلِ

وحكّم فيها حاكمَيْنِ أبوكُم ... هما خلعاه خلعَ ذي النَّعلِ للنّعلِ

وقد باعها من بعده الحَسَنُ ابنُه ... فقد أبطلا دعواكما الرَّثَّةَ الحَبْلِ

وخلَّيتُموها وهْيَ في غَيْرِ أَهْلِها ... وطالبتُمُوها حيث صارَتْ إلى الأهْلِ

فوهب له المتوكل مائة ألف درهم.

وقال محمد بن داود بن الجَرَّاح: حدثني محمد بن القاسم قال: حدثني أبو هاشم الجُبَّائي، قال: دخل أبو السِّمط على المتوكل فأنشده قوله: [مجزوء الكامل]

الصِّهْرُ ليس بوارثٍ والبِنْتُ لا ترثُ الإمامَهْ
لو كان حقكُم لهمْ قامَتْ على النَّاسِ القيامةْ
أَصْبَحْتُ بَيْنَ مُحِبِّكُمْ والمُبْغِضِينَ لكم عَلامةْ

فَحشَا المتوكّلُ فمه بجوهر لا يُدْرَى ما قيمته.

وحدثني أحمدُ بنُ جعفر جَحْظة قال: أنشد أبو السّمط المتوكل قوله: [الكامل]

إنـي نَـزَلْـتُ بساحةِ المُتَوَكِّلِ وَنَزلْتِ في أقصى ديار المَوْصِلِ

فقال الفتح بن خاقان: فإذا كانا متباعدين هكذا فمن كان الرسول؟ فقال أبو العَنْبس الصَّيْمريّ: كانت له طيورٌ هُدًى[1] تحمل إليها كتبه! فضحك المتوكل حتى ضرب برجله الأرض وأجزل صلة الصَّيمري ولم يعط أبا السّمط شيئاً، فماتا متهاجرين.

أخبرني عمي والحسن بن علي قالا: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدثنا حمّاد بن أحمد البنيّ قال: أخبرني أبو السّمط مروان بن أبي الجنوب قال: لما صرتُ إلى المتوكل على الله ومدحته ومدحت ولاة العهود الثلاثة، وأنشدته ذلك في قولي:

سقَى الله نَجْداً والسَّلامُ على نَجْدِ ويا حبذا نجدٌ على النَّأي والبعدِ
نَظَرْتُ إلى نَجْدٍ وبَغْدادُ دونها لعلّي أرى نَجْداً وهيهاتَ مِنْ نجدِ!
بلادٌ بها قَوْمٌ هَواهُمْ زِيارتي ولا شَيْءَ أَشْهَى مِنْ زيارتهم عندي

فلما استَتْمَمتُهَا أمر لي بمائة ألف درهم وخمسين ثوباً من خاصّ ثيابه.

[عمرالطنبوري يغني بين يدي المتوكل]

أخبرني عليُّ بن أبي العباس بن أبي طلحة قال: حدثني إبراهيم بن محمد أبو

(١) الحمام الهداء: ضرب من الحمام يدرّب على السفر من مكان إلى مكان.

إسحاق قال: حدثني خالد بن يزيد الكاتب قال: دعاني المتوكل ليلة وقد غنَّى بين يديه عمر الطنبوري في قولي: [مجزوء الكامل]

يا مُقْلَتيَّ قَتَلْتُماني فبقيتُ رحمةَ مَنْ يراني
مَنْ ذا ألومُ وأنتما بِيَدِ الهوى أسلمتُماني

قال: ولم يغنِّه البيت الثالث، وهو:

لَعِبَتْ بنا أيْدِي الخُطُو بِ وغالنا رَيبُ الزَّمانِ[1]

كراهةَ أن يَتطيَّر منه، فجعل ينظر إليّ وأنا واقف، ثم قال لي: ويلك يا خالد، تهرب منا ونحنُ نطلبك، وأنت في غياباتِ صبواتك وغَزلك. يا غلام اسقِه ثلاثة أقداح في القدح المُبْرم ـ وهو الذي لا قرار له، فإذا أخذه الإنسان لم يقدر أن يضعه مِنْ يَدِه ـ فقلت: [مجزوء الرجز]

سَيِّدي لا تَسْقِني أكثر من رِطْل نبيذِ
إنَّ شُرْبي للَّذي يُؤلِمُني غير لذيذِ

فقال: يا غلام، إن لم يشرب فاصفعْه، فقلت: [مجزوء الرمل]

سَيِّدي حَوْصَلتِي ضَيِّقَةٌ عَنْ شُرْبِ رَطْلِ[2]
فمتى زدتُ عليه خفت أن يَذْهَبَ عقلي

فقال الفتح: هو كما قال يا سيّدي لا يُطيق الشرْب. وحضر ابن أبي حفصة، فقال لنا المتوكل: قولا على البديهة، فقلت له: هو يا سيدي شيخ الشعراء ومادحُك، وآباؤه مُدَّاح آبائك، فأنشأ يقول: [المجتث]

يا ليت لي ألفَ عين عَيْناي لا تكفِيان

فقلت له: سَخُنت عينك[3]، أنا لي عين واحدة أدعو الله عليها بالعمى منذ ستين سنة، أقول:

يا عَيْنُ أنت بَلَيْتِني فأراحني الرَّحْمٰنُ منك

(١) الخطوب: الشدائد ومصائب الدهر. غالنا: أهلكنا.
(٢) الحوصلة: أسفل البطن إلى العانة.
(٣) سخُنت عينك: بكت وسال دمعها.

وأنت تتمنى ألفَ عين! ثم قال لي المتوكل: اهجُه، فقلت: إن الرجلَ لم يعرض لي، فأقبل هو عليَّ وقال: قل ما شئتَ، وما عسى أن تقول؟ فقلت: [الهزج]

زاد الــبَــرْدُ يَــوْمَــيْــنِ   فَــقــالَ الــنَّــاسُ: مــا الــقِــصَّــهْ!
فَــقُــلْــنــا: أَنْــشِــدُونــا شِــعْــرَ مــروانَ بــن أبــي حــفــصــهْ
فَــتًــى مِــنْ شَــهْــوةِ الــنَّــيْــكِ   بــحــلــقــوم اسْــتِــه غــصَّــهْ
ولــو يُــرْمــى بــبَــطِّــيــخٍ   لــوافــى دُبْــرَهُ رَصَّــهْ

قال: فضحك المتوكل حتى صفق برجليه الأرض، وأفحم مروان، ثم أمر لي بجائزة فأَخَذْتُها وانصرفت.

[مدح المتوكل فأثابه]

قال ابن أبي طاهر: حدثني مروان بن أبي الجنُوب قال: لما استُخْلِف المتوكل بعثْتُ إلى ابن أبي دُواد بقصيدة مدحتُه فيها وذكرتُ فيها ابن الزيّات ببيتين هما: [الطويل]

وقيل لي: الزَّياتُ لاقى حمامَهُ   فقلت: أتاني الله بالفَتْحِ وَالنصْرِ[1]
لقد حَفَرَ الزَّياتُ بالبغي حُفرةً   فألْقاهُ فيها الله بالكُفْرِ والغَدْرِ

قال: فذكرني ابن أبي دُوَاد للمتوكل، فأمر بإحضاري، فقيل له: نفاه الواثق إلى اليمامة، وذلك لميله إليك. فقال: يُحْمل، فقال له ابنُ أبي دُوَاد: عليه ستة آلاف دينار دَيْن، فقال: يكتب له بها إلى عامل اليمامة، فكتب لي بها وبالحُملان والمعُونة، فقدمت عليه وأنشدتُه قولي:

صوت [الكامل]

رَحَلَ الشَّبابُ وَلَيْتَهُ لَمْ يَرْحَلِ   والشَّيْبُ حَلَّ وَلَيْتَهُ لم يَحْلُلِ

فلما بلغتُ إلى هذا البيت:

كانَتْ خلافةُ جَعْفَرٍ كَنُبُوَّةٍ   جاءت بلا طَلَبٍ ولا بتَمَحُّلِ[2]

---

(١) الحمام: الموت.
(٢) تَمَحل: احتيال للشيء وطلبٌ له.

وَهَبَ الإِلٰهُ لكَ الخلافةَ مثلَ ما وَهَبَ النُّبُوّة للنبيِّ المُرسَلِ

فأمر لي بخمسين ألف درهم. وفي أول هذه القصيدة لعريب ثاني ثقيل بالوسطى.

والصوت المذكور في أول هذه الأخبار من قصيدة قالها أبو السّمط في المنتصر لمّا ولِي الخلافة.

[المنتصر يرفض أن يأذن له بالدخول]

أخبرني بخبره فيها جماعة من أصحابنا، منهم محمد بن جعفر النحويّ صِهْر المبرد، والحسن بن عليّ قالا: حدثنا محمد بن موسى قال: حدثني القاسم بن محمد الكاتب قال: حدثني المرزبان بن الفَروران حاجب المنتصر قال: إن مروان بن أبي حفصة الأصغر المكنى أبا السّمط استأذن على المنتصر لمّا ولي الخلافة، فقال: والله لا أذنت للكافر ابن الزّانية، أليس هو القائل: [الطويل]

وحكَّم فيها حاكِمَيْنِ أبوكمُ هما خَلَعاه خلْع ذي النَّعْلِ للنّعْلِ

قولوا له: والله لا وصلتَ إليّ أبداً! فلما بلغه هذا القول عَمِل هذا الشِّعر:

لقد طال عهدي بالإمام محمد وما كنتُ أَخْشَى أن يطول به عَهْدِي

وذكر الأبيات كلها. قال: وسأل بنانَ بن عمرو، فصنَع فيه لحناً وغنى به المنتصر، فلما سمعه سأل عن قائلها، فأخبرتُه، فقال: أما الوصول إليَّ فلا سبيل إليه، ولكن أعطوه عشرة آلاف درهم يتحمل بها إلى اليمامة:

[يغري المتوكل بأبي الجهم]

أخبرني عليّ بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال: حدثني جعفر بن هارون بن زياد قال: حدثني أحمد بن الفضل الكاتب قال: لما قال عليّ بن الجهم هذه القصيدة في المتوكل: [الخفيف]

اغْتَنِمْ جِدَّةَ الزَّمانِ الجديدِ واجْعَلِ المهرجانَ أيمنَ عِيدِ

أنشدها وأبو السمط بن أبي حفصة حاضر، فغمزه المتوكل على عَليٍّ بن الجَهم وأمَرَه أن يُعْنِتَه[1]. فقال له: يا عليّ، أخبرني عن قولك:

---

(١) يعنته: يربكه ويوقعه في مشقة وإحراج.

واجـعـل الـمـهـرجـان أيـمـن عـيـد

المهرجان عيد أمْ يومُ لهو، إنما العيد ما تَعَبَّد الله به الناس مثل الفطر والأضحى والجمعة وأيام التشريق. فأما المهرجان والنيروز فإنما هما أعياد المجوس، لا يجوز أن يقال لخليفة الله في عباده وخليفة رسول الله في أمته: أجعل المهرجان عيداً. فلم يلتفت إليه وأنشد حتى بلغ قوله: [الخفيف]

نَـحْـنُ أَشْـيـاعُـكُـمْ مـن آل خـراسـا ... نَ أُولــو قُــوّةٍ وبــأسٍ شـديـدِ
نـحـنُ أبـنـاءُ وهـذه الـخِـرَقِ الـسُّـو ... دِ وأَهْـل الـتَّـشَـيُّـعِ الـمَـحْـمُـودِ

فقال له مروان: لم كنتم من أهل التَّشَيّع المحمود ما قَتَل قحطبةُ جدَّك وصَلَبه في عداوة بني العباس. فقال له المتوكل: ويلك، أقتل قحطبةُ جدَّك؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين. فأقبل على محمد بن عبد الله بن طاهر، فقال له: بحياتي الأمرُ كما قال مروان؟ فقال له محمد: وإن كان كما قال، فأيّ ذنب لعليٍّ بن الجهم؟ قد قتل الله أعداءكم وأبقى أولياءكم. فضحك المتوكل وقال: شهدتَ والله بها عليه، فقال مروان في ذلك: [الرمل]

غَـضِـب ابـنُ الـجَـهْـم مـن قـولـي لـه ... إنّ فـي الـحَـقِّ لِـقَـوْم مَـغْـضَـبَـهْ
يـابـنَ جـهـم كـيـف تَـهْـوى مَـعْـشـراً ... صَـلَـبُـوا جَـدَّكَ فَـوْقَ الـخَـشَـبـهْ؟
يـا إمـامَ الـعَـدْلِ نـصـحـي لـكـمُ ... نُـصـحُ حَـقّ غـيـر نُـصْـحِ الـكَـذِبَـهْ
إن جـدّي مَـنْ رَفَـعْـتُـم ذِكْـرَهُ ... بـكـرامـاتٍ لـشـكـري مُـوجِـبَـهْ
وابـنُ جَـهْـم مَـنْ قَـتَـلْـتُـم جَـدَّهُ ... وتَـوَلَّـى ذاك مـنـه قَـحْـطَـبَـهْ
فـخـراسـانٌ رأتْ شِـيـعَـتُـكُـمْ ... أنَّـه أهـلٌ لِـضَـرْبِ الـرّقـبَـهْ
أتُـراه بـعـدهـا يَـنْـصَـحُـكُـمْ ... لا وربِّ الـكـعـبـةِ الـمـحـتـجـبـهْ

[هجاؤه لعلي بن الجهم]

أخبرني عليّ بن العباس بن أبي طلحة قال: حدثني جعفر بن هارون قال: حدثني أحمد بن حمدون بن إسماعيل قال: بلغ المتوكلَ أنّ عليّ بن الجهم خطب امرأةً من قريش فلم يزوّجوه، فسأل عن السبب في ذلك وعن قصته، وعن نسب سامَةَ بن لؤي، فحُدِّث بها، ثم انتهى حديثُهم بأنّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لم يدخلاهم في قريش، وأن عثمان رضي الله عنه أدخلهم فيه، وأن عليّاً رضي الله عنه أخرجهم منه، فارتدُّوا مع الحارث، وأنه قتل مَن ارتد منهم، وسبى بقيتهم، وباعهم

من مَضْقلة بن هبيرة. فضحك المتوكل، وبعث إلى عليّ بن الجهم فأخبره بما قال القوم فأنكر ذلك وقال: هذه الدعوى من الرافضة، وشتم القوم. وكان منهم أبو السّمط فقال له: [المديد]

إنَّ جَهْماً حِينَ تَنْسُبُهُ ... لَيس من عُجْمٍ ولا عَرَبِ
لَجَّ في شتمي بلا سَبَبٍ ... سارقٌ للشِّعرِ والنَّسبِ
مِنْ أُناسٍ يدَّعونَ أباً ... ما له في الأرضِ مِنْ عقبِ

فغضب عليّ بن الجهم ولم يجبه، لأنه كان يحتقره ويَسْتَرِكُّهُ[1]، وأومأ إليه المتوكل أن يزيده فقال: [الوافر]

أنتم مِنْ قُرَيْشٍ يابن جَهْمٍ ... وقد باعوكمُ في مَنْ يزيدُ
أترجو أن تُكاثِرَنا جِهاراً ... بِنِسْبَتِكُم وقد بِيعَ الجدودُ!

قال: وما زال مروان يهجو عليّ بن الجهم فما أجابه عن شيء من شعره أنفة منه.

[مدح أحمد بن أبي دواد فنال مكافأته]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال: حدثنا إسحاقُ بن محمد النخعيّ قال: حدثني الجمَّاز أبو عبد الله قال: دخل مروان الأصغر على أحمد بن أبي دواد وقد أصابه الفالج وتَماثَل قليلاً، فأنشده: [البسيط]

لسانُ أحمدَ سيفٌ مَسَّه طَبَعٌ ... من عِلّةٍ فجلاه عنه جاليها[2]
ما ضرَّ أحمدَ باقي عِلّةٍ دَرَسَتْ ... والله يُذْهِبُ عنه رَسْمَ باقيها[3]
قد كان موسى على عِلاّتِ مَنْطِقِهِ ... رسائلُ الله إذ جاءت يُؤَدِّيها
موسى بنُ عمرانَ لم يَنْقصْ نُبُوَّتَهُ ... ضعفُ اللِّسانِ وقِدْماً كان يُمْضِيها

فوصله أحمد رحمه الله تعالى واعتذر إليه.

أخبرني عمي قال: حدثني مُتوِّج قال: قال أبو السمط: دخلت على عبد الله

---

(١) يستركّه: يستضعفه.
(٢) الطَّبع: الصَدأ.
(٣) درست: امّحت وزالت.

بن طاهرٍ فقال: إني تذكرت في ليلتي هذه ذا اليمينين، فبُت أرقاً حزيناً باكياً، فارْثِهِ في مقامِك هذا بأبيات تجعل لي طريقاً إلى شفاء عِلَّتي ولك حُكمُك، فَفكرت هنيهة ثم قلت: [الكامل]

إنّ المكارمَ إذ تولَّى طاهرٌ ... قطَع الزمانُ يمينَها وشِمالَها
لو كافحتْه يدُ المنونِ مُجاهراً ... لاقتْ لِوَقْع سُيوفِهِ آجالَها
أَرْسى عِمادَ خليفةٍ في هاشمٍ ... ورمى عمادَ خلافةٍ فأزالَها
بَكَتِ الأعِنَّةُ والأسِنَّةُ طاهراً ... ولطالما روّى النَّجِيعُ نِهالَها[1]
ليتَ المنونَ تجانَبَتْ عن طاهرٍ ... ولوت بذِرْوَة من تشاءُ حِبالَها[2]
ما كنت لو سَلِمَتْ يمينا طاهرٍ ... أدري ولا أسَلُ الحوادِثَ ما لها

فقال: أحسنت والله فاحتكِم، فقلت له: خمسون ألف درهم أقضي منها دَيْناً، وأُصلح حالي، وأبتاع ضيعة تلاصق ضيعتي. فأمر لي بها وقال: ربحنا وخسرت، ولو لم تحتكم لزدتك، ولك عندنا عَدٌّ وعَدٌّ بعد عَدّ.

صوت

[مجزوء الخفيف]

لا تَلُمْنِيَ أنْ أجْزَعا ... سَيِّدي قد تَمَنَّعا
وا بَلائي إنْ كانَ ما ... بَيْنَنا قد تَقَطَّعا
إنّ مُوسى بِفَضْلِهِ ... جَمَّعَ الفَضْلَ أجمَعا

الشعر ليوسف بن الصَّيْقل والغناء لإبراهيم خفيف رَمَل بالبِنْصَر.

---

(١) الأعنة: جمع عنان وهو سير اللجام. والنجيع: الدم.

(٢) الذروة: ذروة كل شيء أعلاه.

أخبار يوسف بن الحجاج ونسبه

[توفي نحو سنة ٢٠٠هـ /نحو سنة ٨١٥م]

[اسمه ونسبه]

هو يوسف بن الحجَّاج الصيّقل، يقال إنه من ثَقيف، ويقال إنه مولًى لهم، وذكر محمد بن داود بن الجرّاح أنه كان يلقب لَقوة[١] وأنه كان يصحَب أبا نواس، ويأخذ عنه، ويروي له، وأبوه الحجَّاج بن يوسف محدث ثقة، وروى عنه جماعة من شيوخنا، منهم ابن منيع، والحسن بن الطيب الشجاع، وابن عفير الأنصاري، وكان يوسف بن الصيقل كاتباً، ومولده ومنشؤه بالكوفة

[خبر صوته]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ، عن ابن شَبَّة، قال: قال أحمدُ بنُ صالح الهشاميّ: قال لنا يوسف بنُ الصيقل يوماً، ورأى الشعراء بأيديهم الرِّقاع يطوفون بها، فقال: صنع الله لكم، ثم أَقبل على إبراهيم الموصليّ، فقال له: كنا نهزِل، فنأخذ الرغائبَ، وهؤلاء المساكينُ الآن يَجدُّون، فلا يُعطونَ شيئاً، ثم قال لإبراهيم: أتذكر ونحن بجُرجان مع موسى الهادي، وقد شرب على مستشرف عالٍ جدّاً وأنت تُغَنيه هذا الصوت: [مجزوء الخفيف]

واسْتَدارَتْ رِحالُهم بالرُّدَينيّ شُرَّعَا[٢]

فقال: هذا لحن مليح، ولكني أريد له شعراً غير هذا، فإن هذا شعر بارد،

---

(١) اللقوة: داء يعوج منه الوجه ويميل.

(٢) الرديني: الرمح نسبة إلى ردينة. وهي امرأة كانت تقوّم الرماح.

والتفت إليَّ فقال: اصنع في هذا الوزن شعراً، فقلتُ: [مجزوء الخفيف]

لا تَلُمْنِيَ أَنْ أَجْزَعا سَيِّدي قد تَمَنَّعا

فغنّيتُه فيه بذلك اللحن، ومرّت به إِبل يُنقَل عليها، فقال أَوقِروها لهما مالاً، فأُوقِرَتْ مالاً وحُمِل إلينا، فاقتسمناه، فقال إبراهيم: نعم، وأصاب كلٌّ واحد منا ستينَ ألفَ درهم.

نسبه هذا الصوت الذي غناه

صوت

[مجزوء الخفيف]

فارِسٌ يَضْرِبُ الكتيبةَ حتَّى تَصَدَّعا

في الوَغَى حينَ لا يَرَى صاحبُ القَوْسِ مَنزَعا

واسْتَدارتْ رحالُهمْ بالرُّدَينيِّ شُرَّعا

ثُمَّ ثارَتْ عَجاجَةٌ تَحْتَها المَوْتُ مُنْقَعا[1]

في هذه الأبيات رَمَل ينسب إلى ابن سُرَيج وإلى سِياط[2]، وفيه لابن جامع خفيف رَمَل بالبنصر.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، عن محمد بن عبد الله العَبْديّ، فذكر مثل هذه القصة إلا أنه حكى أنها كانت بالرَّقّة، لا بجُرجان، وأن الرشيد كان صاحبَها لا موسى.

[مدح الرشيد فأجازه]

أخبرني الحسنُ بنُ علي العَنَزيّ، عن محمد بن يونس الربيعيّ، قال: حدثني أبو سعيد الجنديسابوريّ[3]، قال: لما ورد الرشيد الرَّقَّة خرج يوسُفُ بن الصيْقل، وكمن له في نهر جافّ على طريقه، وكان لهارون خدم صغارٌ يسميهم النّمل يتقدّمونه، بأيديهم قِسِيُّ البندُق، يرمون بها من يعارضه في طريقه، فلم يتحرك

(١) العجاجة: الغبار.

(٢) سياط: هو عبد الله بن وهب، كان أحد المقدمين في الغناء والعزف في مكة، وهو أستاذ إبراهيم الموصلي.

(٣) نسبة إلى جنديسابور وهي مدينة بخوزستان. (معجم البلدان ٢/ ١٧٠).

يوسف، حتى وافته قُبَّة هارون على ناقة، فوثب إليه يوسف، وأقبل الخدمُ الصغارُ يرمونه، فصاح بهم الرشيد: كُفّوا عنه، فكَفّوا، وصاح به يوسف يقول:

صوت

[الهزج]

أغَيْشاً تحملُ النا ... قةُ أمْ تَحْمِلُ هرونا
أم الشَّمْسُ أم البَدْرُ ... أم الدُّنيا أم الدِّينا
ألَا كلَّ الذي عدّدْ ... تُ قد أَصْبَحَ مَقْرونا
على مَفْرِقِ هارونَ ... فَداهُ الآدمِيُّونا

فمدّ الرشيدُ يدَه إليه، وقال له: مرحباً بك يا يوسفُ، كيف كنتَ بعدي؟ ادْنُ مني، فدنا، وأمر له بفرسٍ، فركِبه، وسار إلى جانب قبته يُنشده، ويحدّثه، والرشيد يضحَك، وكان طيّبَ الحديث، ثم أمر له بمال، وأمر بأن يُغَنّى في الأبيات.

الغناء في هذه الأبيات لابن جامع خفيف رَمل بالبنصر عن الهشامي.

وقال محمد بن داود: كان يوسف فاسقاً مُجاهراً باللواط، وله فيه أشعار، فمنها قوله:

[مجزوء الكامل]

لا تَبْخَلَنّ على النديـ ... ـم بردْف ذي كشْحٍ هَضِيم
تَعْلُو ويَنْظُرُ حَسْرةً ... نَظَرَ الحمارِ إلى القَضِيمِ
وإذا فرغْتَ فلا تَقُمْ ... حتى تُصَوِّتَ بالنّديمِ
فإذا أجابَ فقلْ هلُـ ... ـمَّ إلى شهادةِ ذي الغريمِ
واتبعْ لِلَذّتِكَ الهوَى ... ودعِ الملامةَ للمُلِيمِ

قال: وهذا الشعر يقولُه لصديق له رآه قد علا غلاماً له، فخاطبه به.

ومن مشهور قوله في هذا المعنى:

[مجزوء الخفيف]

لا تَنيكَنّ ما حيِيتَ ... غُلاماً مُكابَرَهْ
لا تَمُرَّنَّ باسْتِهِ ... دُونَ دَفْعِ المؤامرهْ
إن هذا اللّواطَ دِينٌ ... تَراهُ الأساوره
وهُمُ فيه مُنْصِفو ... نَ بحُسنِ المُعاشره

ومن قوله في هذا المعنى أيضاً هذه الأبيات:

[الرمل]

ضَعْ كذا صَدْرَك لي يا سَيِّدي ... واتّخذْ عندي إلى الحَشْرِ يدَا

إنّـمـا رِدْفُـكَ سَـرْجٌ مُـذهَـبٌ كُـشِـفَ الـبِـزْيـونُ عـنـه فـبـدا[١]
فـأعِـرْنِـيـهِ ولا تَـبْـخَـلْ بـه لـيـس يُـبْـلـيـهِ رُكـوبـي أبـدا
بَـلْ يُـصَـفِّـيـهِ وَيَـجْـلـوهُ ولا أثَـرٌ تـراه فـيـه أبـدا
فـاذْنُ يـا حِـبُّ وطِـبْ نَـفْـسـاً بـه إنَّ ذاكَ الـدَّيْـنَ تُـقْـضـاهُ غـدا

[هجا القيان]

أخبرني إسماعيل بن يونس، قال: حدثني عُمر بن شبَّة عن أحمد بن صالح الهاشمي، قال: هجا يوسف بن الصيقل القِيانَ، فقال: [مجزوء الكامل]

احْـذَرْ فَـدَيْـتُـكَ مـا حَـيِـيـ تَ حـبـائـلَ الـمـتَـشـاكـلاتِ
فـلـهُـنَّ يُـفْـلِـسْـنَ الـفَـتـى وكـفـى بـهـنّ مُـفَـلِّـسـاتِ
ويـل امْـرِىءٍ غِـرٍّ تَـجـيـ ه رقـاعُـهـنّ مُـخَـتَّـمـاتِ
ورقـاعُـهُـنَّ إلـيـهـمُ بـرُقَـى الـقِـحَـابِ مُـسَـطَّـراتِ[٢]
وعـلـى الـقـيـادةِ رُسْـلُـهـ نَّ إذا بُـعِـثْـنَ مـدرَّبـاتِ
يـهـدمْـنَ أكـيـاسَ الـغـنـيّ مِـنَ الـمـؤونـةِ والـهِـبـاتِ
حَـفْـرَ الـعُـلـوجُ سَـواقـيـاً لـلـمـاء فـي الأرضِ الـمَـوَاتِ[٣]
فـيـصـيـرُ مِـنْ إفْـلاسِـهِ ومِـنَ الـنـدامـةِ فـي سُـبـاتِ

قال: وشاعت هذه الأبيات وتَهاداها الناس، وصارت عَبَثاً بالقِيان لكلِّ أحد، فكانت المغنية إذا عثَرتْ قالت: تعِس يوسُف!

[الرشيد يختاره للجائزة والموالي يزكّونه]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ، قال: أخبرني عيسى بنُ الحسن الآدمي قال: حدثني أحمدُ بنُ أبي فنَنَ، قال: أحضر الرشيدُ عشرَةَ آلاف دينار من ضرب السَّنة ففرّقَها، حتى بقيت منها ثلاثةُ آلاف دينار، فقال: ائتوني شاعراً أهَبُها له، فوجدوا منصوراً النَمَريّ ببابه، فأُدخِل إليه، فأنشده، وكان قبيح الإنشاد، فقال له الرشيدُ: أعانك الله على نفسك، انصرفْ، فقال: يا أمير المؤمنين، قد دخلت إليك دَخْلتين، لم

(١) البزيون: السندس، وهو رقيق الديباج.
(٢) القحاب: جمع قحبة وهي البغيّ.
(٣) العلوج: جمع علج وهو الشديد الغليظ من الرجال.

تُعطني فيهما شيئاً، وهذه الثالثةُ، وواللهِ لئن حرمتني لا رفعتُ رأسي بينَ الشعراء أبداً. فضحك الرشيدُ، وقال: خذْها، فأخذها، ونظر الرشيد إلى الموالي ينظر بعضُهم بعضاً، فقال: كأني قد عرفتُ ما أَردتم، إنما أردتُم أن تكون هذه الدنانير ليوسف بن الصَّيْقل، وكان يوسُفُ منقطعاً إلى الموالي ينادِمُهم، ويمدَحهم، فكانوا يتعصَبون له، فقالوا: إي والله يا أمير المؤمنين، فقال: هاتوا ثلاثَة آلاف دينار، فأُحضِرتْ، فأقبل على يُوسُفٍ، فقال: هات، أَنشِدْنا، فأنشَدَه يُوسُف:

تصدَّتُ له يوم الرُّصافَة زينبُ

فقال له: كأنكَ امتدحْتنا فيها، فقال: أجلْ، والله يا أميرَ المؤمنين! فقال: أنتَ ممن يوثَقُ بنِيَّته، ولا تُتَّهَم مُوالاتُه، هاتِ من مُلَحك، ودع المديح، فأنشدَه قولَه:

صوت [المجتث]

العَفْوُ يا غَضْبانُ	ما هكذا الخِلاّنُ
هَبْنِي ابتُليتُ بذَنبٍ	أمَا لَه غُفْرانُ؟
وإنْ تَعاظَمَ ذَنْبٌ	فَفَوْقَهُ الهجرانُ
كم قد تقرّبْتُ جَهدي	لو يَنْفَعُ القُرْبانُ
يا ربّ أنتَ على ما	قد حلَّ بي المستعانُ
ويْلي أَلَسْتَ تَراني	أهْذي بها يا فلانُ؟

فقال الرشيدُ: ومَن فُلان هذا ويلك؟ فقال له الفضل بن الربيع: هو أبان مولاك يا أمير المؤمنين، فقال له الرشيد: وَلِمَ لَمْ تُنشِدْني كما قلتَ يا نَبَطي؟ فقال: لأني غَضبان عليه، قال: وما أغضبك؟ قال: مدّت دِجلة، فهدمتْ داري وداره، فبنى داره، وعلاَّها، حتى سترت الهواء عني، قال: لا جرمَ، ليعطينَّك الماصُّ بظرَ أمِّه عشرةَ آلاف درهم، حتى تبني بناءً يعلو على بنائه، فتستُر أنتَ الهواءَ عنه، ثم قال له: خذ في شعرك، فأنشده نحواً من هذا الشعر، فقال للفضل بن الربيع: يا عباسي، ليس هذا بشعر ما هو إلا لَعِب، أعطوه ثلاثة آلافِ درهم مكان الثلاثة الآلاف الدينار، فانصرف الموالي إلى صالح الخازن، فقالوا له: أعطه ثلاثة آلاف دينار كما أمر له أولاً، فقال: أَسْتأمرُه، ثم أفعل، فقالوا له: أعطه إياها بضماننا،

فإن أُمضِيَتْ له وإلا كانت في أموالنا، فدفعها إليه بضمانهم، فأُمضيتْ له، فكان يوسف يقول بعد ذلك: كنا نلعب، فنأخذُ مثل هذه الأموال، وأنتم تقتلون أنفسكم، فلا تأخذونَ شيئاً!

صوت

[الكامل]

هَبَّتْ قُبَيْلَ تَبَلُّجِ الفَجْرِ هندٌ تقولُ ودمعُها يَجري
أنّى اعْتَراكَ وكنت في عهديَ لا سَربَ الدُّموعِ وكنتَ ذا صَبْرِ

الشعرُ لرجل من الشُّراة[1] يقال لَه عَمرو بن الحسن مولَى بني تميم، يقولُه في عبد الله بن يحيى الذي تسمّيه الخوارجُ طالبَ الحقِّ، ومن قُتلَ من أصحابه معه يَرثيهم. والغناء لعبد الله بن أبي العلاء ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن الهشامي.

(١) الشراة: فرقة من الخوارج تسمَّوا كذلك مدَّعين أنهم اشتروا الجنة بأرواحهم.

خبر عبد الله بن يحيى وخروجه ومقتله

[توفي نحو سنة ١٣٠هـ /نحو سنة ٧٤٨م]

[اجتهاده وجهاده في سبيل مبدئه]

أخبرني بذلك الحسنُ بن عليّ الخفّاف، قال: حدثنا أحمدُ بنُ الحارث الخرّاز عن المدائني عن محمد بن أبي محمد الخزامي، وخلّاد بن يزيد، وعبد الله بن مصعب، وعمرو بن هِشام، وعبد الله بن محمد الثَّقفيّ، ويعقوب بن داود الثقفيّ، وخريم بن أبي يحيى، أن عبد الله بن يحيى الكِنْدي أحد بني عمرو بن معاوية كان من حَضْرَموْت، وكان مجتهداً عابداً، وكان يقولُ قبل أن يخرجَ: لقيني رجل، فأطال النظرَ إليّ، وقال: ممّن أنت؟ فقلت: من كِنْدة، فقال: من أيِّهم؟ فقلت: من بني شيطان، قال: والله لتملكَنّ، ولتبلغَنّ خيلُك وادي القُرى[1]، وذلك بعد أن تذهب إحدى عينيكَ. فذهبتُ أتَخوَّف ما قال، وأستخيرُ الله، فرأيت باليمن جَوْراً ظاهراً، وعَسفاً شديداً، وسيرة في الناس قَبيحة. فقال لأصحابه: ما يحلّ لنا المقامُ على ما نرى، ولا يسعنا الصبرُ عليه، وكتب إلى عُبيدة بن مُسلم بن أبي كَريمة الذي يقالُ له كُودين مولى بَني تميم، وكان ينزل في الأزْد، وإلى غيره من الإباضيّة[2] بالبصرة يُشاورُهم في الخروج، فكتبوا إليه: إن استطعتَ ألا تقيمَ يوماً واحداً فافعلْ، فإن المبادرَة بالعملِ الصالح أفضلُ، ولستَ تدري متى يأتي عليكَ أجلُك؟ ولله خيرَةٌ من عباده يبعثُهم إذا شاء لنُصرة دينه، ويخُصُّ بالشهادة منهم مَن يَشاء. وشخَص إليه أبو حمزة المختار بن عَوف الأزدي أحدُ بني سلِمة، وبلْجُ بن

(١) وادي القرى: وادٍ بين المدينة والشام. (انظر معجم البلدان ٥/ ٣٤٥).

(٢) الإباضية: فرقة من الخوارج تنسب إلى عبد الله بن إباض التميمي.

عُقبة السّقُوري في رجالٍ من الإباضية، فقدموا عليه حضْرَموت، فحثُّوه على الخروج، وأتوْه بكتُب أصحابه: إذا خرجتم فلا تَغُلُّوا، ولا تغدِروا، واقتدُوا بسلفكم الصالحين، وسيرُوا سِيرَتَهم، فقد علمتم أن الذي أخرجَهم على السلطان العيثُ[1] لأعمالهم. فدعا أصحابه، فبايعوه، فقصدوا دار الإمارة، وعلى حَضرموت إبراهيم بن جَبَلة بن مَخْرمة الكِنديّ، فأخذوه، فحبَسوه يوماً، ثم أطلقوه، فأتى صَنعاءَ، وأقام عبد الله بن يحيى بحضرموت، وكثُرَ جمعه، وسمّوْه «طالب الحق».

فكتبَ إلى من كان من أصحابه بصنعاء: إني قادمٌ عليكم. ثم استخلف على حَضْرموت عبدَ الله بن سعيد الْحَضرميّ، وتوجّه إلى صَنعاء سنة تسعٍ وعشرين ومائة في ألفين، وبلغ القاسمَ بن عمر أخا يوسفَ بن عمر ـ وهو عامل مَرْوان بن محمد على صَنعاء ـ مسيرُ عبد الله بن يحيى، فاستخلف على صنعاء الضحّاكَ بن زَمْل، وخرج يريد الإباضية في سلاح ظاهر وعُدّة وجمعٍ كثير، فعسكر على مسيرة يوم من أبْين[2] وخلّف فيها الأثقالَ، وتقدّمت المقاتلةُ، فلَقِيَهُ عبد الله بن يحيى بلَحْج ـ قرية من أبين ـ قريباً من الليل، فقال الناسُ للقاسم: أيها الأمير، لا تقاتل الخوارج ليلاً، فأبى، وقاتَلهم، فقَتلوا من أصحابه بشراً كثيراً، وانهزموا ليلاً، فمَرّ بعسكره، فأمرهم بالرحيل، ومضى إلى صنعاء، فأقام يوماً، ثم خرج فعسكر قريباً من صنعاء، وخندقَ وخلّف بصنعاء الضحاكَ بن زَمْل، فأقبل عبد الله بن يحيى، فنزلَ جَوْنَيْن[3] على ميلين من عسكر القاسم، فوجّه القاسمُ يزيدَ بن الفيض في ثلاثة آلاف من أهل الشام وأهل اليمن، فكانت بينَهم مناوشةٌ ثم تحاجزوا، فرجع يزيد إلى القاسم، فاستأذنه في بياتِهم[4]، فأبى أن يأذن له، فقال يزيد: والله لئن لم تُبيِّتْهم ليَغمّنّك، فأبى أن يأذنَ له، وأقاموا يومين لا يلتَقُون، فلمّا كان في الليلة الثالثة أقبل عبدُ الله بن يحيى، فوافاه مع طلوع الفجر، فقاتلهم الناسُ على الخندق، فغلبتهم الخوارج عليه، ودخلوا عسكرَهم، والقاسم يُصلّي، فركب، وقاتَلَهم الصَلْتُ بنُ يوسف، فقُتِل في المعركة، وقام بأمْرِ الناس يزيدُ بنُ الفيض، فقاتلهم،

---

(١) العيث: الإفساد.

(٢) أبين: مخلاف باليمن ومنه عدن. (انظر معجم البلدان ١/ ٨٦).

(٣) جونين: قرية من نواحي البحرين قرب عين محلّم. (معجم البلدان ٢/ ١٨٩).

(٤) البيات: مهاجمة العدو ليلاً.

حتى ارتفع النهار، ثم انهزم أهلُ صنعاء فأراد أبرَهَةُ بن الصبّاح اتّباعهم، فمنعه عبدُ الله بنُ يحيى، واتَّبع يزيدُ بن الفيض القاسمَ بن عمر، فأخبره الخبر فقال القاسم:

[الطويل]

ألا لَيْتَ شِعري هل أذودَنَّ بالقَنَا ... وبالهُنْد وانيّات قَبْل مماتي[1]
وهل أُصْبَحَنَّ الحارثَيْنِ كِلَيهما ... بِطَعْنٍ وضَرْبٍ يَقْطَعُ اللهَواتِ

قال: ودخل عبد الله بن يحيى صنعاءَ، فأخذ الضّحاكَ بن زَمْل وإبراهيم بن جَبَلة بن مَخْرمة فحبَسهما، وجمع الخزائنَ والأموال، فأَحرزها، ثم أرسل إلى الضحاك وإبراهيم، فأرسَلهما، وقال لهما: حبستُكما خوفاً عليكما من العامة، وليس عليكما مكروه، فأقيما إن شِئتُما أو اشخصا، فخرجا.

فلمَّا استولى عبد الله بن يحيى على بلاد اليمن خطب الناسَ، فحمد الله جلّ وعزّ وأثنى عليه وصلَّى على نبيه ﷺ، ووعظ، وذكَّر، وحذَّر، ثم قال: إنّا ندعوكُم إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه وإجابة من دعا إليهما، الإِسلام دينُنا، ومحمد نبيُّنا والكعبةُ قِبْلَتنا، والقرآن إمامُنا، رضِينا بالحلال حلالاً لا نبغي به بديلاً، ولا نشتري به ثمناً قليلاً، وحرَّمنا الحرامَ، ونبذنَاه وراء ظهورنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإلى الله المُشْتَكى، وعليه المُعَوّل. من زَنى فهو كافر، ومن سَرق فهو كافر، ومن شَرِب الخمر فهو كافر، ومن شكّ في أنه كافر فهو كافر، ندعوكم إلى فرائضَ بيّنات، وآياتٍ مُحْكمَات[2]، وآثارٍ مُقتدًى بها، ونشهد أن الله صادق فيما وعد؛ عَدْلٌ فيما حكم وندعو إلى توحيد الربِّ، واليقين بالوعيد والوعدِ، وأداء الفرائض، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والولاية لأهل وِلاية الله، والعَداوةِ لأعداء الله. أيها الناس إنّ مِن رحمة الله أن جعل في كلِّ فَترة بقايا من أهل العلم يَدْعون من ضلَّ إلى الهدى، ويَصبرُون على الألم في جَنْبِ الله تعالى، يُقتَلون على الحق في سالفِ الدهور شُهداء، فما نَسِيَهم ربُّهم، وما كان ربُّك نَسِيّاً. أُوصيكم بتقوى الله، وحسنِ القيام على ما وكّلكم اللهُ بالقيام به، فأبلوا لله بلاءً حسناً في أمره وزجره، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

قالوا: وأقام عبدُ الله بن يحيى بصنعاء أشهراً، يُحسنُ السّيرة فيهم ويُلينُ جانبه

---

(١) الهندوانيات: السيوف المنسوبة إلى الهند.

(٢) الآيات المحكمات: الآيات الظاهرة البينة التي ليست متشابهة.

لهم ويكفَّ عن الناس، فكثر جمعه، وأتته الشّراة من كل جانب، فلما كان وقتُ الحجِّ وجَّه أبا حمزة المختار بن عوف، وبلْج بن عقبة، وأبرَهة بن الصَّبَّاح إلى مكة في تسعمائة، وقيل: بل في ألف ومائة، وأمره أن يقيمَ بمكة إذا صدَر الناسُ، ويُوَجِّه بلْجاً إلى الشأم، وأقبل المختار إلى مكة، فقدمها يومَ التَّرْوية[1]، وعليها عبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك، وأمه بنتُ عبدِ الله بن خالد بن أسيد، فكره قتالهم.

وحدثنا من هذا الموضع بخبر أبي حمزة محمدُ بنُ جرير الطّبري، قال: حدَّثنا العباس بن عيسى العَقِيلي، قال: حدثنا هارون بن موسى العواري، قال: حدثنا موسى بن كثير مولى الساعديِّين، قال: كان أول أمر أبي حمزة، وهو المختار بن عوف الأزدي ثم السُّلميّ من أَهل البصرة أنه كان يوافي في كلِّ سنة يدعو إلى خلافِ مَرْوان بن محمد وآل مروان، فلم يزل يختلفُ كلَّ سنة حتى وافى عبدُ الله بن يحيى في آخر سنة، وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة، فقال له: يا رجل، إني أسمع كلاماً حسناً، وأراكَ تدعو إلى حق، فانطلقْ معي، فإني رجلٌ مطاعٌ في قومي. فخرج به، حتى ورد حَضْرَمَوْت، فبايعه أبو حمزة على الخِلافة، قال: وقد كان مرَّ أبو حمزة بمعدِن بني سُليم، وكثير بن عبد الله عامل على المَعْدِن، فسمع بعضَ كلامه، فأمرَ به فجُلدَ أربعين سوطاً، فلما ظهر أبو حمزة بمكة تغيَّب كثيرٌ حتى كان من أمره ما كان، ثم رجع إلى موضعِه، قال: فلما كان في العام المقبل تمامَ سنة تسع وعشرين لم يعلم الناس بعرفةَ إلا وقد طلعت أعلام عمائم سُودٍ خُرَّميّة[2] في رُؤوس الرماح، وهم سبعمائة، هكذا قال هذا.

وذكر المدائني أنهم كانوا تسعمائة أو ألفاً ومائة، ففزع الناسُ منهم حين رأوهم، وقالوا لهم: ما لكم؟ وما حالكم؟ فأخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان والتبرِّي منهم. فراسلهم عبد الواحد بن سليمان، وهو يومئذ على المدينة ومكة والموسم، ودعاهُم إلى الهدْنة، فقالوا: نحن بحجِّنا أضَنّ وعليه أشحُّ، فصالحهم على أنهم جميعاً آمنون بعضُهم من بعض، حتى ينفِر الناس النَّفْر الأخير، وأصبحوا من غدٍ، فوقفوا على حِدَةٍ بعرفة، ودفع عبدُ الواحد بالناس، فلما كانوا بمنىً قالوا

(١) يوم التروية: الثامن من ذي الحجة.
(٢) الخُرميَّةُ: أتباع بابك الخُرميّ.

لعبد الواحد: إنك قد أخطأتَ فيهم، ولو حملتَ عليهم الحاجّ ما كَانوا إلا أكلَة رأس[1]، فنزل أبو حمزة بقرن الثّعالب من مِنًى، ونزل عبد الواحد منزِلَ السلطان، فَبعثَ عبدُ الواحد إلى أبي حمزة عبدَ الله بن حسن بن حسن بن عليّ، عليهم السلام، ومحمدَ بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وعبدَ الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر وعبيد الله بن عمرو بن حفص العمري، وربيعةَ بن عبد الرحمن، في رجال من أمثالهم، فلما دنَوْا من قرن الثعالب لقيتهم مسالح أبي حمزة، فأخذوهم، فَدُخِلَ بهم على أبي حمزة، فوجدوه جالساً، وعليه إزار قطواني[2]، قد ربطه الحَوَرة[3] في قفاه، فلما دَنَوْا تقدّم إليه عبدُ الله بنُ حسن ومحمدُ بن عبد الله بن عمرو، فنَسَبهما، فلمّا انتسبا له عبَسَ في وَجْهَيْهما وبَسَر وأظهر الكراهة لهما. ثم تقدم إليه بعدهما البكْري والعمريّ فنَسَبهما، فلما انتسبا له هشّ إليهما، وتبسّم في وجوههما، وقال: والله ما خرجنا إلا لنَسيرَ بسيرة أبويكما، فقال له عبدُ الله بن حسن بن حسن: والله ما جئناك لتفاضلَ بين آبائنا، ولكن بعثَنا إليك الأميرُ برسالة، وهذا ربيعةُ يخبركَها، فلما ذكر ربيعةُ نَقْضَ العهد، قال بلج وإبراهيم ـ وكانا قائدين له ـ: الساعةَ الساعةَ، فأقبل عليهما أبو حمزة، وقال: معاذ الله أن ننقض العهد أو نخيسَ به، والله لا أفعل ولو قُطِعتْ رقبتي هذه، ولكن تنقضي هذه الهدنةُ بيننا وبينكم. فلما أبى عليهم خرجوا، فأبلغوا عبدَ الواحد. فلما كان النَّفْرُ الأول[4] نَفَر عبد الواحد، وخلّى مكةَ لأبي حمزة، فدخلها بغير قِتال.

قال هارونُ: وأنشدني يعقوب بن طلحة الليثي أبياتاً هُجِيَ بها عبد الواحد لشاعر لم نحفِلْ به: [الكامل]

زارَ الحَجيجَ عصابةٌ قد خالَفُوا ... دِينَ الإلهِ ففرّ عَبْدُ الواحِدِ
تَرَكَ الإمارةَ والحلائلَ هارِباً ... ومضى يُخبِّطُ كالبَعيرِ الشارِدِ
لو كان والِدُهُ تَخَيَّرَ أُمَّهُ ... لَصَفَتْ خلائقُهُ بعِرْقِ الوالِدِ
تركَ القتالَ وما بهِ من عِلَّةٍ ... إلا الوهون وعرفةٌ من خالِدِ[5]

(١) هم أكلة رأس: كناية عن القلّة.
(٢) قطراني: نسبة إلى قطوان وهو موضع بالكوفة مشهور بصناعة النسيج والثياب.
(٣) الحَوَرَة: لعل المراد هنا القصارون الذين يحورون الثياب.
(٤) النفر الأول: ثاني أيام التشريق، ينفر الحاج فيه من منى إلى مكة.
(٥) الوهون: الضعف.

ثم مضى عبدُ الواحد حتى دخل المدينة، فدعا بالدّيوان، وضرب على الناس البعث، وزادهم في العطاء عشرةً عشرةً.

قال هارون: أخبرني بذلك أبو ضَمرة أَنسُ بنُ عِياض أنه كان فيمن اكتَتَب، قال: ثم محوتُ اسمي.

قال هارون: وحدثني غير واحد من أصحابنا أن عبد الواحد استعمل عبدَ العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على الناس، فخرجوا، فلما كانوا بالحرّة[١] لقيتهم جُزُرٌ[٢] منحورة، فمضَوْا، فلما كانوا بالعقيق[٣] تعلق لواؤهم بسَمُرة[٤]، فانكسر الرمحُ، وتشاءم الناسُ بالخروج، ثم ساروا، حتى نزلوا قُديداً[٥]، فنزلوها ليلاً؛ وكانت قرية قديد من ناحية القصر والمِنبر اليوم، وكانت الحياضُ هناك، فنزل قوم مغتَرُّون ليسوا بأصحاب حرْب، فلم يرُعْهم إلا القومُ قد خرجوا عليهم من الفصل، فزعم بعض الناس أن خزاعةَ دلّتْ أبا حمزة على عورتهم، وأدخلوهم عليهم، فقتلوهم، وكانت المقتلةُ على قريش، وهم كانوا أكثرَ الناس، وفيهم كانت الشوكة[٦]، فأُصيب منهم عدد كثير.

قال العباس: قال هارون: فأخبرني بعضُ أصحابنا، أنَّ رجلاً من قريش نظر إلى رجل من أهل اليمن يقول: الحمد لله الذي أقرَّ عيني بمقتل قُريش، فقال له ابنه: الحمد لله الذي أذلّهم بأيدينا! فما كانت قريش تظنُّ أن من نزل على عمانَ من الأَزْد عربيّ، قال: وكان هذان الرجلان مع أهل المدينة، فقال القرشي لابنه: يا بني، هلُمّ نبدأ بهذين الرجلين، قال: نعم يا أبتِ، فحمَلا عليهما، فقتلاهما، ثم قال لابنه: أيْ بُنيّ تقدّم، فقَاتَلا حتى قُتِلا.

وقال المدائني: القرشي كان عمارةَ بن حَمزة بن مصعب بن الزبير، والمتكلِّم بالكلام مع ابنه رجل من الأنصار. قال: ثم ورد فُلاّل[٧] الجيش المدينةَ، وبكى

(١) الحرّة: موضع قريب من المدينة. (انظر معجم البلدان ٢/ ٢٤٧).
(٢) الجزر: جمع جزور وهو ما يصلح لأن يُذبح من الإبل.
(٣) العقيق: موضع بناحية المدينة فيه عيون ونخل. (معجم البلدان ٤/ ١٣٩).
(٤) السَّمُرة: واحدة السمر وهي ضرب من شجر الطلح.
(٥) قديد: اسم موضع قرب مكة. (معجم البلدان ٤/ ٣١٣).
(٦) الشوكة: القوة والبأس.
(٧) فلاّل: جمع فلّ وهم: المنهزمون.

الناسُ قتلاهم، فكانت المرأة تقيمُ على حَمِيمها النُّواحَ، فلا تزال المرأة يأتيها الخبرُ بمقتل حميمها، فتنصرِف، حتى ما يبقى عندها امرأة، فأنشدني أبو حمزة هذه الأبيات في قتلى قُدَيد الذين أُصيبوا من قومه لبعضِ أصحابه: [البسيط]

يا لَهْفَ نَفْسي ولَهْفٌ غير نافعةٍ على فوارسَ بالبَطْحاءِ أنجادِ
عَمْرٌو وعَمْرٌو وعبدُ الله بينَهما وابناهما خامسٌ والحارثُ السادِي[1]

[توجيه الجيوش لقتال أبي حمزة]

قال المدائني في خبره: كتب عبد الواحد بن سليمان إلى مروان يعتذر من إخراجه عن مكة، فكتب مروانُ إلى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ـ وهو عامله على المدينة ـ يأمره بتوجيه الجيش إلى مكة، فوجّه ثمانية آلاف رجل من قريش والأنصار والتجار، أغمار[2] لا عِلمَ لهم بالحرب، فخرجوا في المصَبَّغات والثياب الناعمة واللهوِ، لا يظنُّون أن للخوارج شوكةً ولا يشكون أنهم في أيديهم. وقال رجل من قريش: لو شاء أهلُ الطائفِ لكفوْنا أمرَ هؤلاء، ولكنهم داهنوا[3] في أمر الله تعالى. والله إن ظَفِرنا لنسيرنّ إلى أهل الطائفِ، فلنسْبِيَنّهم، ثم قال: مَنْ يشتري مني سبي أهلِ الطائف؟ فلما انهزم الناسُ رجع ذلك الرجلُ القائلُ: مَن يشتري منّي سبي أهلِ الطائف في أولِ المنهزمين، فدخل منزله، وأراد أن يقول لجاريته: أغلقي البابَ، فقال لها: غاقِ باقِ دَهَشاً، ولم تفهم الجاريةُ قولَه، حتى أومأ إليها بيده، فأغلقتِ البابَ، فلقَّبَهُ أهلُ المدينة بعد ذلك «غاقِ باقِ».

قال: وكان عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز يعرِض الجيشَ بذي الحُلَيفة، فمرَّ به أميَّةُ بن عَنْبَسة بن سعيد بن العاص، فرحَّب به، وضَحِك إليه، ومرّ به عمارة بن حمزة بن مُصعب بن الزبير، فلم يكلِّمه، ولم يلتفت إليه، فقال له عمران بن عبد الله بن مطيع ـ وكان ابن خالته، أُمّاهما ابنتا عبد الله بن خالد بن أَسيد ـ: سبحان الله! مر بك شيخٌ من شيوخ قريش، فلم تنظرْ إليه، ولم تُكلِّمه، ومرّ بك غلام من بني أُمية، فضَحِكْتَ إليه ولاطفتَه! أما والله لو قد التَقى الجمعانِ لعَلمتَ أيَّهما أصبر! قال: فكان أمية بن عَنْبَسة أوّل من انهزم، ونكَّب فرسه ومَضَى، وقال

(١) السادي: أي السادس بقلب السين ياء قلباً غير مطرد للقافية.
(٢) الأغمار: القليلو التجربة.
(٣) داهن: أظهر غير ما يضمر، غشّ.

لغلامه: يا مجيب، أما والله لئن أجْرَزْتُ نفسي هذه الأكلُبَ من الشُّراة إني لعاجز.
وقاتلَ يومئذ عمارة بن حَمزة بن مصعب، حتى قُتل، وتمثّل: [الطويل]

وإنــي إذا ضَــنَّ الأمــيــرُ بــإذْنِــهِ على الإذْنِ مِنْ نَفْسي إذا شئتُ قادرُ

والشعر للأغرّ بن حمَّاد اليَشْكُري.

قال: ولما بلغَ أبا حمزة إقبالُ أهل المدينة إليه استخلَف على مكة إبراهيم بن الصبَّاح، وشَخَص إليهم، وعلى مقدمته بَلْجُ بن عُقْبة، فلما كان في الليلة التي وافاهم في صَبيحَتها ـ وأهلُ المدينة نُزُولٌ بقُدَيد ـ قال لأصحابه: إنكم لاقُو قومِكم غداً، وأميرهم ـ فيما بلغني ـ ابن عثمان أول مَنْ خالفَ سيرة الخلفاء، وبدَّل سنة رسول الله ـ ﷺ ـ وقد وضَحَ الصبحُ لذي عَيْنَين، فأكثروا ذكرَ الله تعالى، وتلاوةَ القرآن، ووطِّنوا أنفسكم على الصّبرِ. وصبَّحَهم غداة الخميس لتسعٍ أو لسبعٍ خلونَ من صفر سنة ثلاثين ومائة، فقال عبد العزيز لغلامه: أبغِنا عَلَفاً. قال: هوَ غالٍ، قال: ويحَك! البواكي علينا غداً أغلى.

[مضيّ أبي حمزة إلى المدينة وقتاله أهلها]

وأرسل إليهم أبو حمزة بلْجَ بن عقبة ليدعوهم، فأتاهم في ثلاثين راكباً، فذكّرهم الله؛ وسألهم أن يكُفُّوا عنهم؛ وقال لهُم: خَلُّوا لنا سبيلَنا؛ لنسير إلى من ظلمكم؛ وجار في الحكْم عليكم؛ ولا تجعَلوا حدّنا بكم؛ فإنا لا نريد قتالكم؛ فشتَمهم أهلُ المدينة، وقالوا: يا أعداء الله، أنحن نُخَلِّيكم ونَدَعُكُم تُفسدون في الأرض! فقالت الخوارجُ: يا أعداء الله، أنحن نُفسدُ في الأرض! إنما خرجنَا لنكُفَّ أهل الفساد، ونقاتل مَن قاتلنا واستأثرَ بالفيء[1]، فانظروا لأنفسكم، واخلعوا مَن لم يجعل الله له طاعة، فإنه لا طاعةَ لمن عَصَى الله، وادخلوا في السَّلم، وعاونوا أهل الحَقِّ، فقال له[2] عبد العزيز: ما تقولُ في عثمانَ؟ قال: قد برىء المسلمون منه قبْلي، وأنا متّبع آثارَهم، ومقتَدٍ بهم، قال: فارجعْ إلى أصحابك، فليْس بيننا وبينهم إلا السيفُ.

(١) الفيء: الغنيمة من غير قتال.
(٢) الضمير في له يعود إلى بلج بن عقبة.

فرجع إلى أبي حمزة، فأخبره، فقال: كُفُّوا عنهم، ولا تقاتلوهم حتى يبدَأوكم بالقتال، فواقفوهم، ولم يقاتلوهم فرمى رَجلٌ من أهل المدينة في عسكر أبي حمزة بسَهم، فجرَح رجلاً، فقال أبو حمزة: شأنكم الآن بهم، فقد حلّ قتالهم، فحملوا عليهم، وثبت بعضُهم لبعض، ورايةُ قريش مع إبراهيم بن عبد الله بن مطيع. ثم انكشف أهل المدينةِ، فلم يَتْبعوهم، وكان على مُجنِّبتهم ضميرُ بن صخر بن أبي الجَهم بن حُذيفة، فكرّ وكرّ الناسُ معه، فقَاتلوا قليلاً، ثم انهزموا، فلم يُبعدوا، حتى كرُّوا ثالثةً، وقاتلهم أبو حمزة، فهزمهم هزيمة لم تُبق منهم باقية، فقال له عليّ بن الحُصَين: اتبع القوم، أو دَعني أتبعهم، فأقتلَ المدْبر[١]، وأذَفِّف على الجريح[٢]، فإن هؤلاء أشَرُّ علينا من أهل الشأم، فلو قد جاءوك غداً لرأيت من هؤلاء ما تكره، فقال: لا أفعلُ، ولا أخالفُ سيرةَ أسلافنا. وأخذ جماعةً منهم أُسَراء، فأراد إطلاقهم، فمنعه عليّ بن الحصين، وقال له: إنّ لأهل كُلِّ زمان سيرةً، وهؤلاء لم يؤسَروا وهم هُرَّاب، وإنما أُسروا وهم يقاتلون، ولو قُتِلوا في ذلك الوقت لم يحرُم قتلهم، وكذلك الآن قتلُهم حَلال، فدعا بهم، فكان إذا رأى رجلاً من قريش قتله، وإذا رأى رجلاً من الأنصار أطلقه، فأُتيَ بمحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، فنسبه، فقال: أنا رجل من الأنصار، فسأل الأنصارَ عنه، فشهدوا له، فأطلقه، فلما ولّى قال: والله لأعلم أنه قرشيّ وما حُذاوةُ[٣] هذا حُذاوةَ أنصاريّ، ولكنْ قد أطلقته.

قال: وبلغتْ قتلى قُدَيد ألفين ومائتين وثلاثين رجلاً، منهم من قريش أربعمائة وخمسون رجلاً، ومن الأنصار ثمانون، ومن القبائل والموالي ألفٌ وسبعمائة، قال: وكان في قتلى قريش من بني أسد بن عبد العُزّى أربعونَ رجلاً، وقُتل يومئذ أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، خرج يومئذ مقنّعاً، فما كلّم أحداً، وقاتل حتى قُتل، وقتل يومئذ سُمَيّ مولى أبي بكر الذي يَروِي عنه مالكُ بنُ أنس. ودخل بلْجٌ المدينة بغير حرب، فدخلوا في طاعته، وكفّ عنهم، ورجع أبو حمزةَ إلى مكة، وكان على شُرطته أبو بكر بن عبد الله بن عمرو من آل سُراقة من بني عَدِيّ، فكان أهل المدينة يقولون: لعن الله السُّراقِيّ، ولعن بلْجاً العراقي.

(١) المدبر: الفارّ من المعركة.
(٢) أذفف على الجريح: أقتله.
(٣) حذاوة: شبه.

[نائحة المدينة تبكي قتلى قديد وعمرو بن الحسن يذكر الوقعة]

وقالت نائحةُ أهل المدينة تبكيهم: [مجزوء الكامل]

مـا لـلـزَّمـانِ ومـا لِـيَـهْ ... أفـنـت قُـدَيـدُ رِجـالـيَـهْ
فـلأبـكِـيـنَّ سَـرِيـرَةً ... ولأبـكـيـنَّ عـلانـيـهْ
ولأَبْـكِـيَـنَّ إذا خَـلَـوْ ... تُ مَـعَ الـكـلابِ الـعـاوِيـهْ
ولأُثْـنِـيَـنَّ عـلـى قُـدَيْـ ... ـدَ بِـسُـوءِ مـا أبـلانِـيـهْ

في هذه الأبيات هزَج قديم يشبه أن يكون لطُوَيس أو بعض طبقته.

وقال عمرو بن الحسن الكوفيّ مولى بني تميم يذكر وقعة قُديد وأمرَ مكة ودخولهم إياها، وأنشدنيها الأخفش عن السّكريّ والأحول وثعلب لعمرٍو هذا، وكان يستجيدُها ويُفضّلُها: [الكامل]

مـا بـالُ هَـمِّكَ لـيسَ عـنك بـعـازبِ ... يَمري سوابقَ دَمْعِكَ المُتَساكبِ[١]
وتَـبِـيـتُ تَـكْـتَـلِـيءُ الـنُّـجـومَ بـمـقـلـةٍ ... عبْرى تُسَرُّ بكلِّ نجم دائبِ[٢]
حَـذرَ الـمـنـيّـةِ أن تَـجـيءَ بـداهـةً ... لـم أَقْـضِ مـن تَـبـعِ الـشُّـرَاةِ مآربي
فـأقـودُ فـيـهـم لـلـعِـدا شَـنِـجَ الـنّـسـا ... عَبْلَ الشَّوى أسوانَ ضمر الحالِبِ[٣]
مـتـحـدِّراً كـالـسِّـيـد أخـلـصَ لـونَـه ... ماءُ الحسيكِ مع الجِلاَلِ اللاتِبِ[٤]
أَرمـي بـه مـن جَـمْـعِ قَـوْمـي مَـعْـشَـراً ... بُـوراً إلـى جَـبْـرِيّـةٍ ومَـعـايـبِ[٥]
فـي فِـتـيـةٍ صُـبُـرٍ أَلـفَّـهُـمُ بـه ... لَفَّ القداحِ يَدَ المُفيضِ الضاربِ
فـنـدور نـحـنُ وهُـم وفـيـمـا بـيـنَـنـا ... كَأسُ المَنونِ تقول: هلْ من شاربِ؟
فَـنـظَـلُّ نَـسْـقِـيـهـم ونَـشْـرَبُ مـن قَـنـاً ... سُمْرٍ ومُرْهَفَةِ النُّصولِ قواضبِ
بَـيْـنـا كـذلـكَ نـحـنُ جـالَـتْ طَـعْـنَـةٌ ... نَجْلاءُ بينَ رُهَا وبينَ ترائبِ[٦]

---

(١) عزب الهم: انتهى واختفى.

(٢) تكتلىء: تراقب. وعبرى: تذرف الدموع.

(٣) فرس شنج النسا: سريع العدو. وعبل الشوى: القويّ الأطراف ضخمها. وكل ما في البيت وصف للفرس الجواد.

(٤) السِّيد: الذئب. الجلال: من مراكب النساء. واللاتب: اللاصق.

(٥) البور: جمع بائر، وهو الهالك.

(٦) الترائب: عظام الصدر.

جَـوْفـاءُ مـنـهَـرةٌ تـرى تـامـورَهـا ظُبتَـا سِنـانٍ كـالـشِّهـابِ الـثـاقـبِ[١]
أُهْـوي لـهـا شِـقَّ الـشِّـمـالِ كـأنَّـنـي حَفَضٌ لَقًى تَحْتَ العَجاجِ العاصبِ[٢]
يـا رب أوحـيـهـا ولا تـتـعـلَّـقَـنْ نفسِي المنونَ لَدَى أكُفٍّ قرائبِ[٣]
كم من أُولي مِقةٍ صحبْتُهم شَرَوْا فخذلتُهمْ ولبئسَ فعلُ الصاحبِ
مـتـأوِّهـيـن كـأنّ فـي أجـوافِـهـم نـاراً تُـسَـعِّـرُهـا أكُـفُّ حَـواطـبِ
تَـلْـقـاهُـم فَـتَـراهُـم مِـنْ راكـعٍ أو سـاجـدٍ مـتـضـرِّعٍ أو نـاحـبِ
يَـنْـلُـو قـوارعَ تَـمْـتَـري عَـبـراتِـه فـيجـودُهـا مَرْيَ الـمَرِيِّ الـحـالـبِ[٤]
سُـيُـرٍ لـجـائـفـةِ الأمـورِ أطـبَّـةٍ للصَّدعِ ذي النبأ الجليلِ مدائبِ[٥]
ومُـبـرَّئـيـنَ مِـنَ الـمـعـايـبِ أحـرزوا خُـصـلَ الـمـكـارم أتـقـيـاءَ أطـايـبِ
عَـرّوْا صَـوارِمَ لـلـجـلادِ وبـاشَـروا حـدَّ الـظـبـاةِ بـآنُـفٍ وحـواجـبِ
نـاطـوا أمـورَهُـم بـأَمْـرِ أخٍ لـهـم فرمى بهم قُحَم الطريقِ اللاحبِ[٦]
مُـتسربِلـي حَـلَـق الـحـديـدِ كـأنـهـم أُسْدٌ على لُحْق البطونِ سلاهبِ[٧]
قِيدت مِنَ اعلى حضرموتَ فلم تَزَلْ تَـنـفـي عـداهـا جـانـبـاً عَـنْ جـانِـبِ
تَـحْـمـي أعـنّـتَـهـا وتَـحْـوي نَـهْـبَـهـا لله أكـرمُ فِـتْـيَـةٍ وأسـائـبِ
حـتـى وَرَدْنَ حـيـاضَ مَـكّـةَ قُـطّـنـاً يـحـكِـيـنَ واردةَ الـيـمـامِ الـقـاربِ[٨]
مـا إنْ أتَـيْـنَ عـلـى أخـي جَـبْـريـةٍ إلا تـركـنَـاهـمُ كـأمـسِ الـذاهـبِ
فـي كُـلِّ مُـعْـتَـرَكٍ لـهـا مـن هـامـهـم فِـلَـقٌ وأيـدٍ عُـلِّـقـتْ بـمـنـاكـبِ
سـائِـلْ بِـيَـوْمِ قُـديـدَ عـن وقـعَـاتِـهـا تُـخْـبِـرْكَ عـن وقـعـاتِـهـا بـعـجـائـبِ

وقال هارونُ بن موسى في رواية محمد بن جرير الطبري عن العباس بن عيسى عنه: ثم دخل أبو حمزة المدينةَ سنة ثلاثين ومائة، ومضى عبد الواحد بن سليمان إلى الشأم، فرقِيَ المنبرَ، فحمد الله، وأثنى عليه: وقال: يا أهل المدينة،

(١) منهرة: واسعة. والتامور: هنا الوعاء.
(٢) الحَفَض: الدابة تحمل المتاع. واللقى: الملقى. والعجاج: الغبار.
(٣) القرائب: الأقارب.
(٤) القوارع: المصائب. وتمتري الدمع تسيله.
(٥) أطبة: عارفون.
(٦) قحم الطريق: مصاعبه. واللاحب: الواسع.
(٧) لُحق البطون: ضامرو البطون. والسلاهب: مفردها السلهب: الفرس الطويل.
(٨) القارب: الطالب الماء ليلاً.

سألناكم عن وُلاتكم هؤلاء، فأسأتم ـ لعمرُ الله ـ فيهم القولَ، وسألناكم: هل يَقتلون بالظَّن؟ فقلتم: نعم، وسألناكم: هل يستحلُّون المال الحرام والفرْجَ الحرام؟ فقلتم: نعم، فقلنا لكم: تعالَوا نحن وأنتم، فنناشدهم الله أن يتنحّوا عنّا وعنكم، ليختار المسلمونَ لأنفسهم؛ فقلتُم: لا تفعلون، فقلنا لكم: تعالَوا نحن وأنتم نلقاهم، فإن نظهرْ نحنُ وأنتم نأتِ بمن يقيمُ فينا كتابَ الله وسنةَ نبيه، وإن نَظفَر نعمل في أحكامكم، ونَحملُكم على سنة نبيكم، ونقسِم فيئَكم بينكم، فإن أبيتُم، وقاتلتمونا دونَهم، فقاتلناكم، فأبعدكم الله، وأسحقكم. يا أهل المدينة، مررتُ بكم في زمان الأحول هِشام بن عبد الملك، وقد أصابتْكم عاهةٌ في ثماركم فركبتم إليه تسألونه أن يضع خراجَكُم عنكم، فكتب بوضعها عنكُم، فزاد الغَنِيّ غِنًى، وزاد الفقير فقراً، فقلتُم: جزاكم الله خيراً، فلا جزاه الله خيراً، ولا جزاكم.

[أبو حمزة يخطب بأهل المدينة]

قال هارون: وأخبرني يَحيى بنُ زكريا أن أبا حمزة خَطب بهذه الخُطبة، رقِي المنبرَ، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: أتعلمونَ يا أهلَ المدينة، أنّا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أَشَراً ولا بَطراً ولا عَبثاً ولا لهْواً. ولا لدولة ملك نُريد أن نخوضَ فيه، ولا ثأرٍ قديم نِيلَ منا، ولكنّا لمّا رأينا مصابيحَ الحقِّ قد عُطِّلت، وعُنِّف القائلُ بالحق، وقُتِل القائمُ بالقِسط، ضاقتْ علينا الأرضُ بما رَحُبَتْ، وسَمِعنا داعياً يدعو إلى طاعة الرحمن وحُكم القرآن، فأجَبْنا داعيَ الله **﴿ومَن لا يُجِب داعيَ الله فليس بمُعجزٍ في الأرض﴾**[١] فأقبلْنا من قبائِلَ شتّى، النَفرُ منا على بعير واحد، عليه زادُهم وأنفسُهم، يتعاورُون[٢] لِحافاً واحداً، قليلُون مستضعَفون في الأرض، فآوانا الله، وأيّدَنا بنصره، وأصبحنا ـ والله ـ بنعمتِه إخواناً، ثم لقينا رجالَكم بقُدَيْد، فدعوناهم إلى طاعة الرحمنِ، وحُكْم القرآن ودعَوْنا إلى طاعةِ الشيطان، وحُكْم مَروان، وآلِ مَرْوان، شَتّان ـ لعمرُ الله ـ ما بينَ الغَيّ والرُّشد، ثم أقبلوا يُهْرعون، ويَزِفُّون، قد ضربَ الشيطانُ فيهم بِجِرانه[٣]، وغَلَت بدمائهم مراجلُه، وصَدَق عليهم ظَنُّه، وأقبل أنصارُ الله عصائبَ وكتائب بكل مهنّد ذي

---

(١) سورة الأحقاف، الآية ٣٢.

(٢) يتعاورون: يتداولون.

(٣) ضرب بجرانه: ثبت واستقر.

رونَق، فدارتْ رحانا واستدارت رحاهم، بضربٍ يرتابُ منه المبطلون. وأنتم يا أهلَ المدينة، إن تنصروا مروانَ وآلَ مروان يُسْحِتْكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ويشفِ صدورَ قوم مُؤمنين، يا أهل المدينة، إن أوَّلكم خيرُ أوّل، وآخركم شرّ آخر، يا أهل المدينةً، الناسُ منا ونحن منهم إلا مشركاً عابدَ وَثن، أو كافراً من أهل الكتاب، أما إماماً جائراً. يا أهل المدينة، مَن زعم أن الله تعالى كلَّف نفساً فوق طاقَتِها، أو سألها عمَّا لم يُؤتِها فهو لله عدوّ، ولنا حَرْبٌ. يا أهل المدينة، أخبروني عن ثمانيةِ أسهم فرضَها الله تعالى في كتابه على القويِّ للضّعيف فجاء التاسعُ، وليس له منها ولا سهم واحد، فأخذ جميعَها لنفسِه مُكابراً مُحارباً لربّه، ما تقولون فيه وفيمن عاونه على فِعله؟ يا أهل المدينة، بلغني أنكم تنتقصون أصحابي، قلتم: هم شباب أحداث، وأعراب جفاة، ويحكم يا أهل المدينة! وهل كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ، إلا شباباً أحداثاً! شَباب والله مكْتَهِلون في شَبابهم، غَضيضةٌ عن الشرِّ أعينُهم، ثقيلةٌ عن الباطل أقدامُهم، قد باعوا أنفُساً تَموتُ غداً بأنفسٍ لا تموتُ أبداً، قد خلَطوا كَلاَلَهم بكَلالِهم، وقيامَ ليلِهم بصيام نَهارهم، مُنحنيةً أصلابُهم[1] عَلَى أجزاءِ القرآن، كلّما مروا بآيةِ خوفٍ شَهِقوا خوفاً من النار؛ وإذا مروا بآية شوقٍ شَهِقوا شوقاً إلى الجنة، فلما نظروا إلى السيوف قد أُنضِيتْ؛ وإلى الرماح قد أُشرِعتْ وإلى السهام قد فُوِّقَت؛ وأُرعدت الكتيبةُ بصواعِقِ الموت استخَفُّوا وعيد الكتيبةِ عند وعيد الله، ولم يستَخِفُّوا وعيدَ الله عند وعيد الكتيبة؛ فَطُوبى لهم وحُسنُ مآب! فكم من عينٍ في منقار طائر طالما بَكَى بها صاحِبُها من خَشْيةِ الله، وكم من يدٍ قد أُبِينَتْ عن ساعدها طالما اعتمدَ عليها صاحبُها راكِعاً وساجداً. أقولُ قولي هذا، وأستغفرُ الله من تَقصيرنا، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أُنيب.

قال هارون: وحدثني جدّي أبو عَلْقَمة، قال: سمعت أبا حَمزة على منبر النبي ﷺ يقولُ: من زَنى فهو كافر، ومن سَرَق فهو كافر، ومن شك أنه كافر فهو كافر:

بَرِح الخفاءُ فأينَ ما بكَ يذهبُ

قال هارونُ: قال جدّي: كان أبو حمزة قد أحسن السيرة في أهل المدينة،

---

(١) أصلابهم: ظهورهم.

حتى استمالَ الناسَ، وسمع بعضُهم كلامَه في قوله: من زَنى فهو كافر، قال هارون: قال جدي: وسمعت أبا حمزة يخطب بالمدينة، فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أهلَ المدينةِ؛ ما لي رأيت رسمَ الدين فيكم عافياً[١]، وآثارَه دارِسَة! لا تَقبلون عليه عِظَة، ولا تفقَهون من أهله حُجَّة، قد بَلِيتْ فيكم جِدّتُه، وانطمست عنكم سنّتُه، تروْن معروفه مُنكراً، والمُنكَر من غيره مَعروفاً، إذا انكشفت لكم العِبر، وأُوضحتْ لكم النُّذُر، عمِيتْ عنها أبصارُكم، وصُمّت عنها أسمَاعكُم، ساهينَ في غَمرة، لاهينَ في غَفْلة، تَنْبسطُ قلوبُكم لِلْباطل إذا نُشِر، وتنقبضُ عن الحق إذا ذُكِر، مستوحِشَةً من العلم، مستأنِسَةً بالجهل، كلما وقعت عليها موعِظَةٌ زادَتْها عن الحق نُفوراً، تحمِلون منها في صدورِكم كالحجارة أو أشدّ قسوة من الحجارة، أوَ لم تَلِنْ لكتاب الله الذي لو أُنْزِلَ على جَبَل لرأيتَه خَاشعاً مُتَصدِّعاً من خَشيةِ الله! يا أهلَ المدينةِ، ما تُغنِي عنكم صحَّةُ أبدانِكم إذا سَقِمت قلوبُكم إن الله قد جعل لكل شيء غَالباً يُقادُ له، ويطيعُ أمرَه، وجعل القلوبَ غالبةً على الأبدان، فإذا مالت القلوبُ مَيلاً كانت الأبدانُ لها تَبعاً، وإنّ القلوبَ لا تلين لأهلِها إلا بِصحّتها، ولا يصحِّحُها إلا المعرفةُ بالله، وقوّةُ النِّية، ونفاذُ البصيرة. ولو استشعرتْ تَقوى الله قلوبُكم لاستعملتْ بطاعة الله أبدانكم. يا أهلَ المدينة، دارُكم دارُ الهِجرة، ومَثْوى رسول الله ﷺ، لمّا نَبَتْ به دارُه، وضاق به قرارُه، وآذاه الأعداءُ، وتجهّمَتْ له، فَنَقله إلى قوم ـ لعَمْري لم يكونوا أمثالكم ـ مُتوازرين مع الحقِّ على الباطلِ، ومختارين للآجلِ على العاجلِ، يصبرون للضّرَّاء رجاءَ ثوابِها، فنَصروا الله، وجاهدوا في سبيله، وآوَوْا رسول الله ﷺ، ونصروه، واتَّبعوا النورَ الذي أُنْزل معه، وآثروا الله على أنفسهم ولو كانت بهم خَصاصَةٌ[٢]، قال الله تعالى لهم ولأمثالهم ولمَن اهتدى بهُداهم: **﴿ومَن يوقَ شُحّ نفسِه فأولئك هم المفلحون﴾**[٣]، وأنتم أبناؤهم، ومن بَقِيَ من خَلفهم، تَتْركون أن تقتَدوا بهم أو تأخذُوا بسنّتِهم، عُمْي القلوب، صُمّ الآذان، اتّبعتُم الهَوى، فأرداكم عن الهُدَى وأَسْهاكم، فلا مواعظُ القرآن تزجرُكم فتزدَجروا، ولا تعِظُكم فتعتَبروا، ولا تُوقظكم فتَستيقظوا، لبئس الخَلَفُ أنتم! من قوم مَضَوْا قبلكم، ما سِرتُم بسيرتهم،

---

(١) عافياً: زائلاً، ممحوّاً.

(٢) خصاصة: فقر وحاجة.

(٣) سورة الحشر، الآية ٩.

ولا حَفِظتم وصيَّتَهم، ولا احتذيتم مثالَهم، لو شُقّت عنهم قبورُهم، فعُرِضَت عليهم أعمالُكم لَعَجِبوا كيف صُرِفَ العذابُ عنكم. قال: ثم لَعَن أقواماً.

قال هارون: وحدثني داود بن عبد الله بن أبي الكِرام، وأخرَجَ إليّ خط ابن فَضالة النحوي بهذا الخبر: إن أبا حمزةَ بلغه أن أهلَ المدينة يَعيبون أصحابَه لحداثة أسنانهم، وخِفّة أحلامهم، فبلَغه ذلك عنهم؛ فصَعِد المنبر، وعليه كِساء غليظٌ، وهو متنكِّبٌ قوساً عربية، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: يا أهلَ المدينة، قد بلغتْني مقالتُكم في أصحابي، ولولا معرفَتي بضعفِ رأيكم وقلَّةِ عقولكم لأحسنتُ أدبكم، ويحكم! إن رسول الله ﷺ أُنزِل عليه الكتابُ، وبُيِّنَ له فيه السُّنَن، وشرع له فيه الشرائع، وبُيِّنَ له فيه ما يأتي ومَا يذَر، فلم يكن يتقدّمُ إلا بأمر الله، ولا يُحجم إلا عن أمر الله، حتى قبضه الله إليه - ﷺ - وقد أدَّى الذي عليه، لم يدعْكم من أمركم في شُبهة، ثم قام من بعده أبو بكر؛ فأخذ بسُنّته، وقاتل أهلَ الرِّدّة؛ وشمّر في أمر الله؛ حتى قبضه الله إليه والأمة عنه راضُون، رحمةُ الله عليه ومغفرتُه؛ ثم وَلِي بعده عُمر، فأخذ بسنة صاحبَيْهِ، وجنَّد الأجنادَ، ومصَّر الأمصارَ؛ وَجَبى الفيء؛ فقسَّمه بين أهله؛ وشمَّر عن ساقه، وحَسَر عن ذراعه، وضرب في الخمر ثَمانين، وقام في شهر رمضان، وغزا العدُوَّ في بلادهم؛ وفتح المدائنَ والحُصونَ؛ حتى قَبضهُ الله إليه والأمة عنه راضُون، رحمةُ الله عليه ورضوانُه ومغفرته، ثم وَلِي من بعده عُثمانُ بنُ عفان فعَمِل في ستِّ سنين بسُنّة صاحبيه؛ ثم أحدث أحداثاً أبطل آخرُ منها أولاً، واضطرب حبلُ الدين بعدها، فطلبها كلُّ امرىء لنفسه، وأسرّ كلُّ رجل منهم سريرةً أبداها الله عنه؛ حتى مَضَوْا على ذلك، ثم وَلِيَ عليّ بن أبي طالب، فلم يبلغ من الحق قَصْداً؛ ولم يرفع له مناراً ومضى؛ ثم وَلِي معاويةُ بن أبي سفيان لعينُ رسول الله ﷺ وابنُ لعينه، وحِلْف من الأعراب، وبقيةٌ من الأحزاب، مؤلَّف طليق، فسفك الدمَ الحرامَ، واتّخذ عباد الله خَوَلاً، ومالَ الله دُوَلاً، وبغى دينه عِوَجاً ودغَلاً[1]، وأحلّ الفرج الحرام، وعَمِل بما يشتهيه؛ حتى مَضَى لسبيله، فعل الله به وفَعَل، ثم ولي بعده ابنُه يزيدُ: يزيدُ الخمور، ويزيدُ الصّقور، ويزيدُ الفهود، ويزيدُ الصيود، ويزيدُ القُرود، فخالف القرآنَ، واتّبع الكهَّان، ونادم القِردَ، وعَمِل بما يشتهيه حتى مضى على ذلك

---

(١) الدغل: الفساد.

لعَنَهُ الله، وفعلَ به وفعلَ، ثم وَلِيَ مروانُ بن الحكم طريدٌ لعينُ رسول الله ـ ﷺ ـ وابنُ لعينه؛ فاسقٌ في بطنه وفرْجِه، فالعنُوه والعنُوا آباءه. ثم تداولها بنو مروان بعده؛ أهلُ بيتِ اللعنة، طُرَداءُ رسول الله ـ ﷺ ـ وقومٌ من الطلقاء ليسوا من المهاجِرينَ والأنصارِ ولا التابعين لهم بإحسان، فأكلوا مالَ الله أكلاً، ولَعِبوا بدين الله لَعِباً، واتّخذوا عبادَ الله عبيداً، يُورّث ذلك الأكبرُ منهم الأصغَر. فيا لها أمةً، ما أضيعَها وأضعفَها! والحمد لله ربّ العالمين، ثم مَضَوا على ذلك من أعمالهم واستخفافِهم بكتابِ الله تعالى؛ قد نَبذُوه وراءَ ظهورهم، لعنَهم الله؛ فالعنوهم كما يستَحِقُّون؛ وقد وَلِي منهم عمرُ بن عبد العزيز؛ فبلغ؛ ولم يَكدْ؛ وعجَزَ عن الذي أظهَرَه، حتى مَضَى لسبيلِه ـ ولم يذكُرْه بِخَير ولا شرٍّ ـ ثم وَليَ يزيد بنُ عبد الملك، غلامٌ ضعيفٌ سفيه غيرُ مأمونٍ على شيء من أمور المسلمين، لم يبلغ أشدّه، ولم يُؤنِسْ رُشدهُ، وقد قال الله عز وجلّ: ﴿**فإن آنسْتُم منهم رُشداً فادفعوا إليهم أموالهم**﴾[1]، فأمرُ أمة محمدٍ في أحكامها وفروجها ودمائها أعظمُ من ذلك كلّه، وإن كان ذلك عند الله عظيماً، مأبون في بطنه وفَرجه، يشربُ الحرام، ويأكلُ الحرام، ويلبسُ الحرامَ، ويلبسُ بردتين قد حِيكَتا له، وقُوِّمتا على أهلهما بألف دينار وأكثر وأقلّ، قد أُخِذَتْ من غير حِلّها وصُرِفتْ في غير وجهها، بعد أن ضُرِبتْ فيها الأبشار[2]، وحُلِقتْ فيها الأشعار، واستُحلَّ ما لم يُحلَّ الله لعبدٍ صالح، ولا لنبي مُرسَل، ثم يُجلسُ حَبَابة عنْ يمينه، وسَلاّمة عن شِماله تُغنّيانه بمزامير الشّيطانِ، ويشربُ الخمر الصُّراح المحرمة نصّاً بعينها، حتى إذا أخذت مأخذَها فيه، وخالطت روحَه ولحمَهُ ودَمه، وغلبتْ سَوْرتُها على عَقله مزّق حُلّتيْه، ثم التفت إليهما فقال: أتأذنانِ لي أن أطيرَ؟ نَعَم، فَطِرْ إلى النار، إلى لعنة الله وناره حيث لا يردُّك الله.

ثم ذكر بني أمية وأعمالهم، وسيرَهم، فقال: أصابُوا إمرة ضائعةً وقوماً طَغَاماً[3] جُهّالاً، لا يقومون لله بحق، ولا يفرّقون بين الضلالة والهُدَى، ويروْن أن بني أمية أربابٌ لهم، فملكوا الأمرَ، وتسلّطوا فيه تسلُّطَ رُبوبيّة، بطشُهم بطشُ الجبابرة، يحكمون بالهَوَى، ويقتُلون على الغضب، ويأخذُون بالظنّ، ويُعطّلون

---

(١) سورة النساء، الآية ٦.

(٢) الأبشار: جمع بشرة، وهي الجلد.

(٣) الطغام: أوغاد الناس، وأرذالهم.

الحدود بالشفاعات، ويؤمِّنُون الخَونةَ ويُقصُون ذَوي الأمانةِ، ويأخذون الصدقَةَ في غير وقتها على غير فَرضِها، ويضعونَها في غيرِ موضعِها، فتلك الفرقَةُ الحاكمةُ بغير ما أنزل الله، فالعَنوهم، لعنَهُم الله!

وأما إخوانُنا من هذه الشيعة فليسوا بإخوانِنا في الدين، لكن سمعتُ الله عز وجل قال في كتابه: **﴿يا أيها الناسُ إنا خلقناكم من ذكر وأُنثى وجعلناكم شُعوباً وقبائلَ لتعارفُوا﴾**[1] شيعةٌ ظاهرتْ بِكتاب الله، وأعلنت الفِريةَ[2] على الله لا يرجِعون إلى نَظَر نافذٍ في القرآن، ولا عقلٍ بالغ في الفِقه، ولا تفتيشٍ عن حقيقةِ الصّواب، قد قلّدوا أمرهم أهواءَهم، وجعلوا دينَهم عصبيّة لحزبٍ لزموه، وأطاعوه في جميع ما يقوله لهم، غَيّاً كان أو رُشداً، أو ضَلالةً أو هُدًى، ينتظرون الدُّوَل في رَجْعةِ الموتى، ويؤمنون بالبعث قبلَ الساعةِ، ويدّعون علم الغيب لمخلوق، لا يعلم أحدُهم ما في داخل بيته، بل لا يعلم ما ينطوي عليه ثوبُه أو يحويه جسمه، يَنقمون المعاصيَ على أهلها، ويُعلَمون إذا ظهروا بها، ولا يعرفون المخرجَ منها، جُفاة في الدين، قليلةٌ عقولُهم، قد قلّدوا أهل بيتٍ من العربِ دينَهم، وزعموا أن موالاتهم لهم تُغنيهم عن الأعمال الصالحة، وتُنجيهم من عِقاب الأعمال السيئة **﴿قاتلهم الله أنّى يُؤفَكون﴾**[3] فأيَ هؤلاء الفِرق يا أهل المدينة تَتّبعون؟ أو بأيَ مذاهِبهم تَقتَدون؟ وقد بلغني مقالَتُكم في أصحابي، وما عبتموه من حَداثة أسنانهم، ويحكُم! وهل كان أصحابُ رسول الله ـ ﷺ ـ المذكورون في الخَير إلا أحداثاً شَباباً؟ شبابٌ والله مكتَهِلون في شبابهم، غَضيضَةٌ عن الشرّ أعينُهم، ثقيلةٌ عن الباطل أرجلهم، أنضاءُ[4] عبادة قد نظر الله إليهم في جَوْف الليل مُنحنِيةً أصلابُهم على أجزاء القرآن، كلما مرَّ أحدُهم بآية من ذكر الله بكى شَوقاً، وكلما مرّ بآية من ذكر الله شَهِق خوفاً، كأن زفيرَ جهنمَ بين أُذُنيه، قد أكلت الأرضُ جباهَهم ورُكبَهم، ووصلوا كَلالَ الليل بكلال النهار. مصفرَّةً ألوانُهم، ناحلةً أجسامُهم من طول القيام وكثرة الصيام، أنضاءُ عبادةٍ، مُوفُون بعهد الله، مُنْتَجزُون لوعد الله، قد شَرَوْا أنفسهم، حتى إذَا التقت الكتيبتانِ وأبرقت سُيوفُها وفُوّقت سِهامُها وأُشرِعتْ رماحُها، لقُوا

(١) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٢) الفرية: الكذب، الافتراء.

(٣) سورة التوبة، الآية ٣٠.

(٤) أنضاء عبادة: مهزولون من العبادة.

شَبا الأسنّة، وشَائكَ السهام، وظُباة السيوفِ بنُحورهم ووُجوههم وصُدورهم، فمضى الشابُّ منهم قدماً حتى اختلفت رجلاه على عُنُق فرسه، واختضَبتْ محاسنُ وجههِ بالدماء، وعُفِّر جبينُه بالثرى، وانحطَّتْ عليه الطير من السماء، وتمزقتْه سِباعُ الأرض، فكم من عين في مِنقار طائر، طالما بكى بها صاحبُها في جَوْف الليل من خوف الله! وكم من وجهٍ رقيق وجَبين عتيق قد فُلِق بعَمَد الحديد. ثم بكى وقال: آه آه على فِراق الإخوان، رحمةُ الله على تلك الأبدان، وأدخل الله أرواحَهم الجِنان.

قال هارون: بلغني أنه بايعه بالمدينة ناسٌ منهم إنسان هُذَلِيّ، وإنسان سُراقِي وسَكْسبُ الذي كان معلم النحو، ثم خرج، وخلّف بالمدينة بعض أصحابه، فسار حتى نزل الوادي، وكان مروان قد بعثَ ابن عطية.

[مروان يجهّز الجيوش لحرب أبي حمزة]

قال هارون: حدثني أبو يحيى الزُّهْري أن مروانَ انتخَبَ من عسكره أربعةَ آلاف استعمل عليهم ابن عطية، فأمره بالجدِّ في السير، وأعطى كلَّ رجل من أصحابه مائةَ دينار، وفرساً عربيّاً، وَبغلاً لثِقله، وأمره أن يَمضي، فيقاتِلَهم.

وقال المدائني: بعث عبد الملك بن عطية السعدي، أحد بني سعد بن بكر في أربعة آلاف، معه فرسانٌ من أهل الشأم ووجوههِم، منهم شُعَيب البارقي، وروميٍ بن عامر المُرّي، وقيل: بل هو كِلابيّ، وفيهم ألفٌ من أهل الجزيرة، وشَرطوا على مروانَ أنهم إذا قتلوا عبد الله بن يحيى وأصحابه، رجعوا إلى الجزيرة، ولم يقيموا بالحجاز، فأجابهم إلى ذلك؛ قالوا: فخرج؛ حتى إذا نزل بالمعَلَّى[1]، فكان رجلٌ من أهل المدينة يقال له العلاء بن أفلح مولى أَبي الغَيْث يقول: لَقِيَني وأنا غلام في ذلك اليوم رجل من أَصحاب ابن عطية؛ فسألني: ما اسمك يا غلام؟ فقلت: العلاء، فقال: ابنُ من؟ فقلت: ابنُ أفلح، قال: أَعربيٌّ أم مولى؟ قلت: بل مولى، قال: مولى مَن؟ قلت: مولى أَبي الغَيْث، قال: فأينَ نحنُ؟ قلتُ: بالمعلّى، قال: فأين نحن غداً؟ قلتُ: بغالِب[2]، قال: فما كلّمني،

(١) المعلّى: موضع بالحجاز (معجم البلدان ٥/١٥٨).
(٢) غالب: موضع بالحجاز. (معجم البلدان ٤/١٨٣).

حتى أردفَني خلفَه، ثم مضى بي، حتى أدْخَلني على ابن عطية، فقال: سل هذا الغلام: ما اسمه؟ فسألني، فرددت عليه القولَ الذي قلت، فسُرّ بذلك؛ ووهب لي دراهم.

وقال أبو صخر الهذليُّ حين بلغه قدومُ ابن عطية: [الرجز]

قُلْ للذينَ استُضعِفوا لا تعجَلوا ... أَتاكُمُ النَّصْرُ وجيشٌ جَحْفَلُ
عشرونَ ألفاً كلّهم مُسربَلُ ... يقدُمهم جَلْد القُوى مُستَبسِلُ
دُونَكُم ذا يَمنٍ فأقبِلُوا ... وواجِهوا القَوْمَ ولا تستَخْجِلوا
عبدُ المَليكِ القُلَّبِيُّ الحُوّلُ ... أَقْسَمَ لا يُفْلَى ولا يُرَجَّلُ
حتى يَبِيدَ الأعْوَرُ المُضَلِّلُ ... ويُقْتَلَ الصَّباحُ والمفَضَّلُ

الأعورُ عبد الله بن يحيى رئيسُهم.

[انتصار أهل المدينة ومقتل أبي حمزة وانكسار الخوارج]

قال المدائني عن رجاله: وبعثَ أبو حمزةَ بلجَ بن عقبة في ستمائة رجل ليقاتلَ عبدَ الملك بن عطية، فلقيه بوادي القُرى لأيام خلتْ من جُمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة فتواقفوا، ودعاهم بلْجٌ إلى الكتاب والسنة، وذَكَر بني أميةَ وظُلمَهم، فشتَمهم أهلُ الشام، وقالوا: أنتم يا أعداءَ الله أحق بهذا ممن ذكرتُم وقلتم، فحَمل عليهم بلْجٌ وأصحابُه، فانكشف طائفة من أهل الشام، وثبت ابن عطية في عصبةٍ صبروا معه، ونادى يا أهلَ الشام يا أهلَ الحِفاظ ناضِلوا عن دينكم وأميركم! فكَروا، وصَبروا صبراً حسناً، وقاتلوا قِتالاً شَديداً، فقُتِل بلْجٌ وأكثرُ أصحابه، وانحازت قطعة من أصحابه نحو المائة إلى جبل اعتصموا به، فقاتلهم ابنُ عطية ثلاثةَ أيام فقتَلَ منهم سبعين رجلاً ونجا ثلاثون، فرجعوا إلى أبي حمزة، ونصب ابنُ عطية رأسَ بلْجٍ على رُمح قال: واغتمّ الذين رجعوا إلى أبي حمزة من وادي القُرى إلى المدينة، وهم الثلاثون، ورجعوا وجزعوا من إنهزامهم، وقالوا: ما فررنا من الزَّحف، فقال لهم أبو حمزة: لا تجزعوا، فأنا لكم فِئَة وإليّ انصرفتم.

قال المدائني: وخرج أبو حمزة من المدينة إلى مكة، واستخلف رجلاً يقال له المفضّل عليها، فدعا عمرُ بن عبد الرحمن بن أسيد بن عبد الرحمن بن يزيد بن الخطاب الناس إلى قتالهم، فلم يجد كبيرَ أمرٍ؛ لأن القتل قد كان شاع في الناس،

وخرج وجُوه أَهل البلدِ عنه؛ فاجتمع إلى عمرَ البربرُ والزّنج وأهل السوق والعبيد، فقاتل بهم الشُّراة، فقُتل المفضّل وعامّةُ أصحابه، وهرب الباقون؛ فلم يبق في المدينة منهم أحد؛ فقال في ذلك سُهيْل أبو البيضاء مولى زينب بنت الحكم بن العاصي: [مجزوء الرمل]

لَـيْـتَ مَـروانَ رآنـا يـومَ الاثـنـيـنِ عَـشِـيَّـهْ
إذ غَـسَـلْـنـا الـعـارَ عـنّـا وانـتـضـيْـنـا الـمَـشْـرَفِـيّـهْ[١]

قال: فلما قدم ابنُ عطية المدينة أتاه عمر بن عبد الرحمن بن أَسيد، فقال له: أصلحك الله! إنّي جمعتُ قَضِّي وقَضيضي[٢]، فقاتلت هؤلاء، فقتلنا مَن امتنعَ من الخروج عن المدينة وأخرجنا الباقين، فلقيه أهل المدينة بقَضِّهم وقضيضِهم.

قال: وأقام ابنُ عطيةَ بالمدينة شهراً، وأبو حمزة مقيم بمكة، ثم توجّه إليه فقال له عليّ بنُ حُصين العنبريّ: إني قد كنت أشرتُ عليك يوم قُدَيد وقبله أن تقتل هؤلاء الأسرى كلهم، فلم تفعل، وعرّفْتُك أنهم سيغدِرون فلم تقبل، حتى قتلوا المفضّل وأصحابَنا المقيمين بالمدينة، وأنا أشيرُ عليك اليومَ أن تضع السيفَ في هؤلاء، فإنهم كَفَرة فجَرَة، وَلو قدِم عليك ابن عطية لكانوا أشدَّ عليك منه، فقال: لا أرى ذلك، لأنهم قد دخلوا في الطاعة، وأقروا بالحكْم، وَوَجب لهم حقُّ الولاية، قال: إنهم سيغدِرون، فقال: أبعدهم اللهِ، **﴿فمن نكثَ فإنما ينكُث على نفسِه﴾**[٣].

قال: وقَدم عبد الملك بن عطية مكةَ، فصيّر أَصحابه فِرقتين، ولقيَ الخوارج من وجهين، فصيّر طائفةً بالأبطح، وَصار هو في الطائفةِ الأُخرى بإزاء أَبي حمزة، فصار أبو حمزة أَسفلَ مكة، وصيّر أبرهةَ بن الصبَّاح بالأبطح في ثمانين فارساً، فقاتلهم أبرهة فانهزم أهل الشأم إلى عَقَبة مِنى؛ فوقفوا عليها؛ ثم كرُّوا؛ وقاتلهم فقُتل أبرهةُ، كمَن له هبَّار القُرشيّ، وَهو على جبل دمشق عندَ بئر ميمون، فقتله، وَتفرق الخوارجُ، وَتبعهم أهلُ الشأم يقتلونهم، حتى دخلوا المسجد، والتقى أَبو حمزة وابن عطية بأسفل مكة، فخرج أهل مكة مع ابن عطية، فقُتِل أبو حمزة على

---

(١) المشرفية: السيوف المصنوعة في المشارف.
(٢) قضّهم وقضيضهم: أي كلهم، صغيرهم وكبيرهم.
(٣) سورة الفتح، الآية ١٠.

فَم الشِّعب[١] وَقُتِلَتْ معه امرأته، وهي ترتجز وَتقول: [الرجز]

أنـا الـجُـعَـيْـدَاءُ وَبِـنْـتُ الأَعْـلَـمْ مَنْ سالَ عَنِ اسْميَ فاسمي مَرْيَمْ
بِـعْـتُ سِـواريّ بِـسَـيْـفٍ مِـخْـذَمْ[٢]

قال: وَتفرّقت الخوارجُ فأسر أهلُ الشام منهم أَربعمائة، فدعا بهم ابنُ عطية، فقال: ويلَكم! ما دعاكم إلى الخروج مع هذا؟ قالوا: ضمن لنا الكَنّة: يريدون الجَنَّة، وهي لغتُهم. فقتلهم، وصلَبَ أبا حمزة وأبرهةَ بن الصبَّاح ورجلَين من أصحابهم على فَم الشُّعب: شِعب الخَيْف ودخل علي بن الحصين داراً من دُور قريش، فأحدق أهل الشام بالدار فأحرقوها، فلما رأى ذلك رمى بنفسه من الدار، فقاتَلهم وأُسر فقُتل، وصُلِب مع أبي حمزة، ولم يزالوا مصلَّبين حتى أفضى الأمْر إلى بني العباس، وحجَّ مهلهِل الهُجَيميّ في خلافة أبي العباس، فأنزل أبا حمزة ليلاً، فدفنه، ودفن خشبته.

قال المدائني: وكان بمكة مُخَنَّثان، يقال لأحدهما سبكت، وللآخر صَقْرة، فكان صقرة يرجُف[٣] بأهل الشام، وكان سبكت يرجُف بالإباضية، فعرف الخوارج أمرهما، فوجهوا إلى سبكت، فأخذوه فقتلوه، فقال صقرة: يا ويله هو والله أيضاً مقتول، وإنما كنت أنا وسبكت نتكايد ونتكاذَب، فقتلوه، وغداً يجيء أهل الشام، فيقتلونَني. فلما دخل ابنُ عطية مكة عرف خبرَهما، فأخذ صقْرةَ، فقتله.

وقال هارون في خبره: أخبرني عبد الملك بنُ الماجَشون، قال: لما التقى أبو حمزة وابن عطية قال أبو حمزة: لا تقاتلوهم حتى تختبروهم فصاح بهم: ما تقولون في القرآن والعمل به؟ فصاح ابن عطية: نضعه في جوف الجوالق[٤]، قال: فما تقولونَ في مال اليتيم؟ قال: نأكل ماله ونفجُر بأمّه، [ثم أجاب][٥] في أشياء بلغني أنه سأله عنها، فلما سمعوا كلامَهم قاتلوهم، حتى أمسَوا، فصاحت الشُّراةُ: ويحك، يابن عطية! إن الله ـ جل وعز ـ قد جعل

---

(١) فم الشعب: على طريق مكة.
(٢) السيف المخذم: القاطع.
(٣) يرجف: يخوض في الفتنة والأخبار السيئة.
(٤) الجوالق: وعاء من خيش، يوضع فيه القمح ونحوه.
(٥) زيادة ليست في الأصل يقتضيها المعنى.

الليل سكَناً، فاسكن ونسكن، فأبى وقاتلَهم، حتى قتلَهم جميعاً.

قال هارون: أخبرني موسى بن كثير أن أبا حمزة خطب أهلَ المدينة، وودَّعهم، ليخرجَ إلى الحرب، فقال: يا أهل المدينة، إنا خارجون لحرْب مرْوان، فإن نظهرْ نعدِلْ في أحكامكم؛ ونحمِلْكم على سنَّة نبيكم، ونقسِم بينكم، وإن يكن ما تمَنَّوْن لنا ﴿فسيعلمُ الذين ظلموا أيَّ مُنقَلبٍ ينقلبون﴾[١]، قال: ووثب الناسُ على أصحابه حين جاءهم قتلُه، فقتلوهم، فكان بشكست ممن قُتلوا، طلبوه فرقيَ في درجة كانت في دار أُذينة، فلحقوه فأنزلوه منها، وهو يصيح: يا عباد الله، فيم تقتلونني؟

قال: وأنشدني بعضُ أصحابنا: **[المتقارب]**

لـقـد كـان بـشـكـسْـتُ عـبـد الـعـزيـزِ مِـنَ اهـلِ الـقِـراءةِ والـمَـسْـجِـدِ
فـبُـعـداً لـبـشـكـسْـتِ عـبـد الـعـزيـزِ وأمّـا الـقُـرانُ فـلا يَـبـعَـدِ

قال هارون: وأخبرني بعض أصحابنا أنه رأى رجلاً واقفاً على سطح يرمي بالحجارة فقيل: ويلَك! أتدري من ترميُ مع اختلاط الناس؟ قال: والله ما أبالي مَن رميت! إنما هو شامٍ وشارٍ[٢]، والله ما أبالي أيَّهما قتلتُ!

وقال المدائني: لما قَتل ابنُ عطية أبا حمزة بعث برأسه مع عُروة بن زيد بن عطية إلى مَروانَ، وخرج إلى الطائف، فأقام بها شهرين، وتزوج بنتَ محمد بن عبد الله بن أبي سويد الثقفي، واستعمل على مكة روميَّ بن عامر المُرّي، وأتى فَلُّ أبي حمزة إلى عبد الله بن يحيى بصنعاء. فأقبل معه أصحابُه ـ وقد لقبوه طالبَ الحق ـ يريد قتالَ ابن عطية، وبلغ ابنَ عطيةَ خبرُه، فشخَصَ إليه، فالتقوا بكسة[٣]، فأكثر أهلَ الشام القتلَ فيهم، وأخذوا أثقالهم وأموالَهم، وتشاغلوا بالنهب، فركب عبد الله بن يحيى فكشفهم، فقتَل منهم نحو مائة رجل، وقتل قائدٌ من قوّادهم يقال له يزيد بن حَمل القُشَيريّ من أهلِ قِنّسْرين، فذمرهم[٤] ابن عطية، فكرُّوا، وانضم بعضُهم إلى بعض. وقاتلوا حتى أمسَوْا، فكفّ بعضُهم عن بعض، ثم التقوْا من غد

(١) سورة الشعراء، الآية ٢٦.
(٢) الشاري: واحد الشراة، وهم الخوارج.
(٣) كسة: موضع.
(٤) ذمّر: حضّ، شجع.

في موضع كثيرِ الشجر والكَرْم والحيطان، فطال القتالُ بينهم، واستحرّ[١] القتلُ في الشراة، فترجّل عبدُ الله بنُ يحيى في ألف فارس، فقاتلوا، حتى قُتِلوا جميعاً عن آخرهم، وانهزم الباقون، فتفرّقوا في كلّ وجه. ولَحِقَ من نجا منهم بصنعاء، وولوا عليهم حمامة،فقال أبو صخر الهُذَليّ: [الطويل]

قَتَلْنا دُعيساً والذي يَكْتَني الكُنى أبا حَمْزَةَ الغاوي المُضِلَّ اليَمانيا
وَأَبْرَهَةَ الكِنديَّ خاضتْ رِماحُنا وبلْجاً صبحناهُ الحُتوفَ القَواضيا[٢]
وَما تَرَكَتْ أَسْيافُنا منذ جُرِّدَتْ لمروَانَ جبّاراً على الأرضِ عاديا

قال المدائني: وَبعث عبدُ الملك بن عطية رأسَ عبدِ الله بن يحيى مع ابنه يزيدَ بن عبد الملك إلى مروَان.

[رثاء الخوارج]

وقال عمرو بن الحصين ـ وَيقال الحسن العنبري ـ مولى لهم يرثي عبد الله بن يحيى وأبا حمزة ـ وَهذه القصيدة التي في أولها الغناء المذكور أول هذه الأخبار ـ: [الكامل]

هبّتْ قُبيلَ تَبَلُّجِ الفَجْرِ هِنْدٌ تقولُ وَدمعُها يَجري
أن أَبْصَرَتْ عَيْني مَدامعَها يَنْهَلُّ واكِفُها على النَّحرِ[٣]
أَنّى اعْتَراكَ وكُنْتَ عَهْديَ لا سَرِبَ الدُّموعِ وكنتَ ذا صَبْرِ
أَقَذًى بِعَيْنِكَ ما يُفارِقُها أم عائِرٌ أم ما لها تُذري؟[٤]
أَم ذِكرُ إخوانٍ فُجِعْتَ بهم سَلَكُوا سَبيلَهُمُ على خُبْرِ
فأَجَبْتُها بل ذِكْرُ مصرَعِهم لا غيرُه عبراتُها تَمري
يا ربِّ أَسْلِكْني سَبيلَهُمُ ذا العَرْشِ واشْدُدْ بالتُّقى أزري
في فِتْيَةٍ صَبَّروا نُفُوسَهمُ للمشرفيّةِ وَالقَنا السُّمْرِ
تالله أَلْقى الدَّهرَ مِثْلَهُمُ حتى أَكُونَ رَهينةَ القَبرِ
أُوفي بِذِمَّتِهم إذا عَقَدُوا وَأعِفُّ عند العُسْرِ واليُسرِ

---

(١) استحرّ القتل: اشتدّ.
(٢) الحتوف: جمع حتف، وهو الموت.
(٣) وكف: سال.
(٤) العائر: العوار.

مُتَأَهِّلينَ لِكُلِّ صالِحةٍ … ناهينَ مَنْ لاقَوْا عَنِ النُّكْرِ
صُمْتٌ إذا احتضروا مجالِسَهم … وُزُنٌ لقولِ خَطيبِهِم وُقُرِ(١)
إلاّ تجيبهمُ فإنهمُ … رُجُفُ القُلوبِ بحضْرةِ الذِّكْرِ
مُتَأوِّهونَ كأنَّ جَمْرَ غَضاً … للخَوْفِ بين ضُلُوعِهم يَسري
تَلْقاهمُ إلاّ كأنّهمُ … لِخُشوعِهِم صَدَروا عَنِ الحَشْرِ
فَهُمُ كأنّ بهم جَوى مَرَضٍ … أو مسّهمْ طَرْفٌ مِنَ السِّحرِ
لا ليلُهم لَيْلٌ فيلبَسُهم … فيه غَواشي النَّوْمِ بالسُّكْرِ
إلاّ كذا خُلساً وآونةً … حذرَ العقابِ وهم على ذُعْرِ
كم مِنْ أخٍ لك قد فُجِعْتَ به … قوّامُ ليلتِهِ إلى الفَجْرِ
مُتَأوِّهٍ يَتْلو قوارِعَ مِن … آيِ القُرانِ مفزَّعِ الصَّدْرِ
نَصِبٍ تَجيشُ بناتُ مُهجته … بالموت جَيْش مُشَاشَةِ القِدْرِ(٢)
ظمآن وقدة كُلّ هاجرةٍ … تَرّاكِ لذّتِهِ على قَدْرِ
تَرَّاك ما تَهْوَى النفوسُ إذا … رُغْبُ النفوسِ دَعتْ إلى النَّذْرِ
ومبرَّأٍ مِنْ كُلِّ سيِّئةٍ … عَفِّ الهَوى ذُو مِرّةٍ شَزْرِ(٣)
والمُصْطَلي بالحَرْبِ يَسْعَرُها … بغُبارِها وبفِتيةٍ سُعْرِ
يَجْتاحُها بأقلّ ذي شُطَبٍ … عَضْبِ المضَارِبِ قَاطِعِ البَتْرِ
لا شَيْءَ يَلْقَاهُ أَسَرَّ له … مِنْ طَعْنَةٍ في ثُغْرةِ النَّحرِ
نجلاء مُنهرة تَجيشُ بما … كانت عواصي جَوفِهِ تَجري
كخليلكَ المُخْتارِ أذْكِ به … مِنْ مُقْتَدٍ في الله أو مُشْرِ
خوّاض غَمْرةٍ كُلِّ مَتلفة … في الله تحت العِثْيرِ الكُدْرِ(٤)
ترّاك ذِي النَّخواتِ مُخْتَضِباً … بِنَجِيعِهِ بالطَّعنةِ الشَّزْرِ
وابن الحصينِ وهل له شَبَهٌ … في العرفِ أنّى كان والنُّكْرِ
بسَّامةٍ لم تُحْنَ أضلُعُهُ … لذوي أُخوَّتِه على غِمْرِ
طلق اللِّسانِ بِكُلِّ مُحْكَمَةٍ … رآب صَدْعِ العَظْمِ ذي الوقرِ(٥)

---

(١) وُقُر: جمع وقور، وهو الرزين.

(٢) النَّصِب: المتعب. والمشاشة: رأس العظم اللين. وجيش: جيشان وغليان.

(٣) ذو مرّة: قويّ.

(٤) العثير: الغبار.

(٥) الوقر: الصدع.

لم يَنْفَكِكْ في جَوْفِهِ حَزَنٌ تغلي حرارتُه وتستَشْري
ترقى وآونة يُخَفِّضُها بتنفّسِ الصُّعَداءِ والزَّفْرِ
ومُخالطِي بَلْج وخالصتي سُمُّ العَدُوِّ وجابر الكَسْرِ
نِكْلِ الخصوم إذا هُمُ شَغِبوا وسِداد ثَلمة عورة الثّغْرِ
والخائضُ الغمراتِ يخطِر في وسط الأعادي أيّما خَطْرِ
بمشطَّبٍ أو غير ذي شُطَب هامَ العِدَا بِذُبابِهِ يَفْري[1]
وأخيكَ أبرهة الهجان أخي الْـ حَرْبِ العَوانِ مُلقِّح الجَمْرِ
بمُرِشَّةٍ فَرْعٍ تَثُجُّ دَماً ثجَّ الغويِّ سُلافَةَ الخَمْرِ[2]
والضارب الأخدودِ ليس لها حَدٌّ يُنَهْنِهُها عَنِ السَّحْرِ[3]
ووليِّ حكمهم فجِعتُ به عمرو فَوا كَبِدي على عَمرو!
قَوَّالِ مُحكَمةٍ وذي فَهَم عَفِّ الهوى متثبّتِ الأمْرِ
ومسيّب فاذكر وصيّتَهُ لا تَنْسَ إمّا كُنْتَ ذا ذُكْرِ
فكلاهُما قد كان مُحْتَسِباً لله ذَا تَقوى وذا بِرِّ
في مُخْبِتينَ ولم أُسَمِّهِمُ كانوا يدي وهُمُ أُولو نَصري
وهُمُ مساعرُ في الوغَى رُجحٌ وخِيارُ مَنْ يَمشي على العَفْرِ[4]
حتى وَفَوا لله حيث لَقُوا بِعُهودٍ لا كذبٍ ولا غَدْرِ
فتخالَسوا مُهجاتِ أنفسهم وعُداتهم بقواضبٍ بُتْرِ
وأَسِنَّةٍ أُثْبِتْنَ في لُدُنٍ خَطِّيةٍ بأكفّهم زُهْرِ
تَحْتَ العَجاجِ وفوقهم خِرَقٌ يَخْفِقْنَ مِنْ سُودٍ ومِنْ حُمْرِ[5]
فَتَفَرَّجَتْ عنهم كماتُهُمُ لم يُغمِضوا عَيْناً على وِتْرِ[6]
فَشِعارُهم نِيرانُ حربِهِمُ ما بين أعلى الشَّحْرِ فالحِجْرِ[7]

---

(١) ذباب السيف: حدّه. ويفري: يشقّ.
(٢) تثج: تسيل.
(٣) الأخدود: الشق المستطيل في الأرض.
(٤) العَفر: التراب.
(٥) العجاج: الغبار. والخرق: هنا الرايات.
(٦) الكماة: جمع كميّ وهو المحارب الشجاع. والوتر: الثأر.
(٧) الشَّحر: موضع على الخليج الفارسي بين عدن وعمان. (معجم البلدان ٣/ ٣٢٧). الحِجْر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام. (معجم البلدان ٢/ ٢٢١).

صَـرْعَـى فَـحـاجِـلَـةٌ تَـنُـوشُـهُـم وخَـوامِـعٌ لـحُـمـاتِـهِـمْ تَـفْـري[١]

[مسير جيش الأمويين إلى صنعاء ومصرع قائده ابن عطية]

قال المدائني: وكتب مروانُ إلى ابن عطية يأمره بالمسير إلى صنعاءَ، ليقاتل مَن بها من الخوارج، فاستخلفَ ابنَه محمد بن عبد الملك على مكة، وعلى المدينة الوليدَ بنَ عروة بن عطية، وتوجّه إلى صنعاءَ، ورجع أهل الجزيرة جميعاً إلى بلدهم، وكذلك كان مروان شَرَط لهم، فلما قرُب من صنعاء هرب عامل عبد الله بن يحيى عنها، فأخذ أهلُ صنعاء أثقاله وحملين من مالٍ كان معه، فسَلّموا ذلك إلى ابن عطية، وتتبع أصحابَ عبد الله بن يحيى في كل موضع يقتُلهم، وأقام بصنعاء أشهراً، ثم خرج عليه رجل من أصحاب عبد الله بن يحيى في آل ذي الكلاع، يقال له يحيى بن عبد الله بن عمر بن السبّاق في جمع كثير بالجند، فبعثَ إليه ابنُ عطية ابنَ أخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطية، فلقيه بالحرب، فهزمه، وقتل عامة أصحابه، وهرب منه فنجا، وخرج عليه يحيى بن كَرْب الحميري بساحل البحر، وانضمت إليه شُذّاذُ الإباضية، فبعث إليه أبا أمية الكِنديّ في الوضاحية[٢]، فالتقَوْا بالساحِل، فقتل من الإباضية نحوَ مائة رجل، وتحاجزوا عند المساء فهربت الإباضية إلى حَضْرموت، وبها عامل لعبد الله بن يحيى يقال له: عبد الله بن معبد الجرْمي، فصار في جيش كثير، واستفحل أمرُه، وبلغ ابنَ عطية الخبرُ، فاستخلف ابنَ أخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطية على صنعاء، وشخص إلى حضرموت وبلغ عبدَ الله بن معبد مسيرُ عبد الملك إليهم، فجمعوا الطعامَ وكلَّ ما يحتاجون إليه في مدينة شبام[٣]، وهي حصن حضرموت مخافة الحِصار. ثم عزموا على لقاء ابن عطية في الفلاة، فخرجوا حتى نزلوا على أربع مراحل من حضرموت، في عدد كثير في فلاة. وأتاهم ابن عطية، فقتَلهم يومه كلَّه، فلما أمسى وقد بلغه ما جمعوا في شبام حَدر عسكره في بطن حضرموت إلى شبام ليلاً. ثم أصبح، فقاتلَهم

(١) الفحاجلة: جمع فحجل وهو الذي تتدانى صدور قدميه. وتنوشهم: تتناولهم. والخوامع: جمع خامعة: الضبعة.

(٢) الوضاحية: قرية منسوبة إلى بني وضّاح. (انظر معجم البلدان ٥/ ٣٧٨).

(٣) شبام: اسم لعدة مواضع. (انظر معجم البلدان ٣/ ٣١٨).

حتى انتصف النهارُ، ثم تحاجزوا، فلما أمسوا، تبع عسكره. وأصبح الخوارج، فلم يروْا للقوم أثراً. فاتّبعوهم وقد سبقوهم إلى الحِصْن، فأخذوا جميعَ ما فيه ومَلَكوه، ونصب ابنُ عطية عليهم المسالِح، وقطع عنهم المادّة والمِيرة[1]، وجعل يقتل مَن يقدر عليه ويَسبي ويأخذُ الأموال. ثم ورد عليه كتابُ مروان بن محمد يأمره بالتعجّل إلى مكة، ليحُجّ بالنَّاس، فصالح أهل حضرموت على أن يردّ عليهم ما عرفوا من أموالهم، ويولي عليهم مَن يختارون، وسالَموه، فرضي بذلك، وسالَمَهم، وشخَص إلى مكة متعجّلاً مُخِفّاً[2]. ولما نفَذ كتابُ مروان ندِمَ بعد ذلك بأيام، وقال: إنا لله! قتلتُ والله ابنَ عطية؛ هو الآن يخرج مُخِفّاً مُتَعَجِّلاً، ليلحق الحج، فيقتله الخوارجُ. فكان كما قال: تعجَّل في بضعة عشر رجلاً، فلما كان بأرض مُراد تلفَّفت عليه جماعةٌ، فمن كان من تلك الجماعة إباضيّاً عرفه، فقال: ما ننتظر بهذا أن ندرك ثأر إخواننا فيه، ومن لم يكن إباضياً ظنّه من الإباضية، وأنه منهزم، فلما علم أنهم يريدونَه قال لهم: ويحكم! أنا عاملُ أمير المؤمنين على الحجّ، فلم يلتفِتوا إلى ذلك، وقتلوه، ونصبتِ الإباضية رأسَه، فلما فتشوا متاعه، وجدوا فيه الكتابَ بولايته على الحَجّ، فأخذوا من الإباضية رأسَه، ودفنوه مع جسده.

قال المدائني: خرج إليه جُمانة وسَعيد ابنا الأخْنَس، في جماعةٍ من قومهما من كِندةَ، وعرفه جُمانة لمّا لقيَه، فحمل عليه هو وأخوه ورجل آخر من هَمْدان، يقال له رُمَّانة، وثلاثة من مُراد، وخمسة من كِندة، وقد توجّه في طريق مع أربعة نفرٍ من أصحابه، وتوجّه باقيهم في طريق آخر، فقصدوا حيث توجَّه ابن عطية، ووجّهوا في آثار أصحابه نحو أربعين رجلاً منهم، فأدركوهم فقتلوهم، وأدرك سعيدٌ وجُمانة وأصحابُهما ابنَ عطية، فعطف عبد الملك على سعيد، فضربه وطعنه جُمانة، فصرعه عن فرسه، ونزل إليه سعيد، فقعد على صدره، فقال له ابنُ عطية: هل لك يا سعيدُ في أن تكون أكرم العرب أسيراً؟ فقال: يا عدوَّ الله، أترى الله كان يمهلك؟ أو تطمع في الحياة وقد قتلتَ طالبَ الحقّ وأبا حمزة وبلْجاً وأبرَهة! فقتله وقتل أصحابَه جميعاً. وبعثوا برأسه إلى حضرموت، وبلغ ابنَ أخيه ـ وهو بصنعاء ـ خبرُه، فأرسل شُعيباً البارقيّ في الخيل، فقتل الرجالَ والصّبيان، وبقر بطونَ

---

(١) الميرة: زاد يجمع للسفر ونحوه.

(٢) مخفّاً: مُسرعاً.

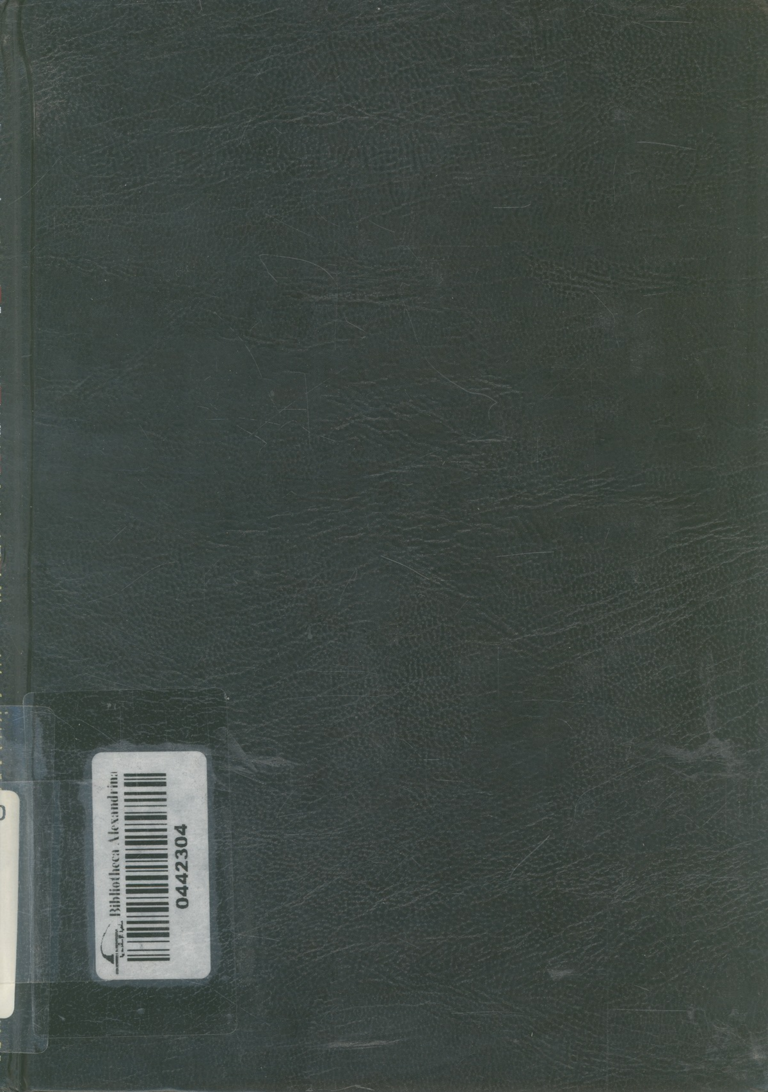
النساء، وأَخذ الأموالَ، وأخربَ القُرى، وجعل يتتبع البريَّ والنَّطِف[١]، حتى لم يَبْقَ أحدٌ من قتلة ابن عطية ولا من الإباضية إلا قتله، ولم يزل مقيماً باليمن إلى أن أفضى الأمرُ إلى بني هاشم، وقام بالأمر أبو العباس السفاح.

تم الجزء الثالث والعشرون من كتاب الأغاني ويليه الجزء الرابع والعشرون وأوله خبر عبد الله بن أبي العلاء.

(١) النَّطِف: المريب.

الفهرس

أخبار نُصْيب الأصغر ٥
أخبار أبي شراعة ونسبه ٢١
أخبار ابن البواب ونسبه ٣٤
أخبار محمد بن عبد الملك الزيات ونسبه ٤٠
أخبار أبي حشيشة ونسبه ٦٣
أخبار عنان ٧٢
أخبار الحسن بن وهب ونسبه ٨٠
أخبار أحمد بن يوسف ونسبه ٩٩
أخبار العطوي ونسبه ١٠٣
أخبار مرة ونسبه ١٠٩
أخبار علي بن أمية ونسبه ١١٢
أخبار عمر الميداني ونسبه ١١٧
أخبار سليمان بن وهب ١١٩
أخبار أبان بن عبد الحميد ونسبه ١٢٩
أخبار تويت ونسبه ١٤٠
أخبار محمد بن الحارث ونسبه ١٤٥
أخبار ماني الموسوس ونسبه ١٤٩
أخبار بكر بن خارجة ونسبه ١٥٥
أخبار إسماعيل القراطيسي ونسبه ١٥٩
أخبار أبي العبر ونسبه ١٦١
أخبار مروان بن أبي حفصة الأصغر ونسبه ١٦٨
أخبار يوسف بن الحجاج ونسبه ١٧٦
خبر عبد الله بن يحيى وخروجه ومقتله ١٨٢


Bibliotheca Alexandrina
04442304